

# التصوير الفني في سيرة عمر الفاروق:

دراسة مقارنة بين 'الفراروق عمر' لحرسين هيكمل 'وعبقرية عمر' للعقاد

أطروحة مقدمة إلى جامعة كاليكوت

لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

(نسخة منقحة)

قدمها

عبد الوهاب ك.

تحت إشراف

د. عبد الله نجيب م.

أستاذ مساعد، كلية سلم السلام العربية، أريكود

ومشرف البحث، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية ممباد



قسم اللغة العربية وآدابها

كلية أم. إي. أس. ممباد (حكم ذاتي)

جامعة كاليكوت

2023



## المحتويات

العنوان	رقم الصفحة
المقدمة.....	٥
الباب الأول: السير في الأدب العربي.....	١٥
الفصل الأول: مفهوم السيرة وتعريفاتها وأنواعها.....	١٦
الفصل الثاني: تطور فن السيرة في الأدب العربي.....	٣٠
الفصل الثالث: أدبيات السيرة الغيرية.....	٤٣
الفصل الرابع: أهداف السيرة الغيرية وشروطها.....	٥٢
الفصل الخامس: عمر بن الخطاب في الأدب العربي.....	٦٤
الباب الثاني: تحليل كتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل.....	٨١
الفصل الأول: محمد حسين هيكل حياته وشخصيته.....	٨٢
الفصل الثاني: السير الإسلامية لمحمد حسين هيكل.....	٨٩
الفصل الثالث: ميزات كتاب 'الفاروق عمر'.....	٩٦

١٣٣	الباب الثالث: تحليل كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد .....
١٣٤	الفصل الأول: عباس محمود العقاد حياته وشخصيته.....
١٤٧	الفصل الثاني: دراسة عن سلسلة 'عبقريات' العقاد.....
١٦١	الفصل الثالث: ميزات كتاب 'عبقرية عمر' .....
٢١١	الباب الرابع: التصوير الفني في 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر' .....
٢١٢	الفصل الأول: مفهوم التصوير الفني .....
٢٢٤	الفصل الثاني: التصوير الفني في 'الفاروق عمر' .....
٢٣٨	الفصل الثالث: التصوير الفني في 'عبقرية عمر' .....
٢٦٦	الفصل الرابع: المقارنة بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر' .....
٢٨٩	خاتمة البحث.....
٢٨٩	خلاصة البحث.....
٢٩١	نتائج البحث .....
٢٩٣	الاقتراحات والتوصيات.....
٢٩٤	المصادر والمراجع.....

## المقدمة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فهذه الدراسة المعنونة بـ"التصوير الفني في سيرة عمر الفاروق: دراسة مقارنة بين 'الفاروق عمر' لحسين هيكل 'وعبقرية عمر' للعقاد" قدمها الباحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الفلسفة في اللغة العربية وأداها إلى جامعة كاليفورنيا كيرالا، الهند.

تعد السيرة فناً من الفنون الهامة التي نالت مكاناً مرموقاً في الدراسات العربية والغربية على حد سواء، وتنقسم السيرة إلى السيرة الغيرية والسيرة الذاتية. وتعتبر السيرة الغيرية أقدم من السيرة الذاتية زمنياً لأنها ظهرت مع ظهور التاريخ الإنساني والأدب فكان ذلك منذ ظهور الحضارات والثقافات. وبدأ الرجال الذين يسكنون في قصور الحكام والأمراء والسلاطين يدونون ما كان يعمل الملوك والأمراء من أعمال البطولة ودونوا ما كان يحدث في زمانهم من تطور ونماء، وقاموا بكتابة تاريخ ملوكهم وسلاطينهم وحروبهم وكذلك دونوا تاريخ رجالات الدول ومعظم هذه الكتابات تأتي تحت السيرة الغيرية.

وكان للقرآن الكريم دور كبير في تعميق الإحساس التاريخي عند العرب والمسلمين، حيث قص عليهم القرآن قصص الأمم الخالية من الأنبياء وغيرهم، ووصلهم بتلك الأمم، والقرآن استهدف منها عبرة الأمم ولفت أنظارها إلى تعظيم الله وعبادته بحقه. وتعتبر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم البداية الحقيقية الأولى لفن السيرة عند العرب والمسلمين.

وقد أرجع الباحثون السيرة النبوية إلى سيرة ابن إسحاق وابن هشام، وعدوهما البداية الأولى لكتابة السيرة النبوية بشكل تام ومختلف عن الكتابات الأخرى من أصحاب السير وتقوم قيمة سيرة ابن إسحاق عالية في تاريخ السير عند المسلمين لأن ما كُتب بعده لم يختلف كثيراً في جوهره عما كتبه ابن إسحاق. وتعد سيرة

ابن إسحاق أساساً للمعلومات المقررة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله. وكان هذا الكتاب مصدراً لكل من ابن هشام وابن جرير الطبري في كتابيهما. وفي زمن ازدهار الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ألفت السيرة في نطاق أوسع، فظهر نوع جديد في أدب السيرة هو قاموس السيرة. وأقدم الأمثلة على ذلك 'كتاب الطبقات الكبرى' لابن سعد. وقد ركز فيه على حياة النبي ﷺ والصحابة والتابعين. فظهر كتاب 'الشفاء' للقاضي عياض 'والمواهب اللدنية' للقسطلاني من هذا النوع. وتطورت السيرة في العصر الحديث تطوراً مذكوراً، فألفت سير عديدة للشخصيات الإسلامية المبرزين في أسلوب أدبي حيث لفتت هذه السيرة انتباه القراء وراغبهم إليها. وقدرة الأدب في بعث المشاعر وتحريكها حفظت السيرة من الإهمال والضياع. وقد ساهم كثير من الكتاب في هذا النوع، ومنهم: طه حسين، وعباس محمود العقاد، ومحمد حسين هيكل، وأبو الحسن علي الندوي، وتوفيق الحكيم، ومحمد الغزالي، وشوقي ضيف.

وكتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل محاولة للكشف عن قيام الإمبراطورية الإسلامية خلال سيرة عمر ﷺ أو بكلام آخر هو سيرة لعمر بن الخطاب ﷺ وفي الوقت نفسه سيرة لعصره. واستخدم فيه طريقة أدبية مخالفة للطرق المعبدة في هذا المجال. وكتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد تحليل لحياة عمر الفاروق ﷺ، وبدلاً من إلقاء الضوء على جميع الأحداث التي وقعت في حياة عمر ﷺ، يركز العقاد على الدفاع عن عمر ﷺ والإسلام من اتهامات المعارضين، وكذلك ركز على تحليل نفسية عمر ﷺ. واستخدم أسلوباً تحليلياً أدبياً علمياً.

## تحليل العنوان

عنوان هذا البحث: التصوير الفني في سيرة عمر الفاروق: دراسة مقارنة بين 'الفاروق عمر' لحسين هيكل 'وعبقرية عمر' للعقاد.

التصوير: التصوير مصدر للفعل صَوَّرَ، ومن مادة (ص و ر) الصورة: في الشكل، والجمع: صُورَ، وصُورَ، وصُورَ، وقد صورته فتصوّر. وتصورت الشيء: وتوهمت صورته، فتصوّر لي، والتصاویر: التماثل. قال ابن

الأثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته. وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا، أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا، أي: صفته. والتصوير اصطلاحاً: هو إبراز الصورة إلى الخارج بشكل فني.

الفن: من مادة "فنن" ويقال: فن فلان رأيه إذا لونه ولم يثبت على رأي واحد، والأفانين هي الأساليب: وهي أجناس الكلام وطرقه، ورجل متفنن أي ذو فنون. والفن اصطلاحاً: هو الحدق والمهارة. وهو في الأدب: جودة العرض، وحسن السبك، وجمال الأسلوب، وقوة العاطفة، ونشاط الخيال.

التصوير الفني: يراد به الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل تجاربه الشعورية إلى قرائه. وهو التعبير الذي يرسم للمعنى صورة، وهو لا يخاطب الذهن وحده بل يخاطب الحس والوجدان ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس.

السيرة: سار يسير سيرة والسيرة السنة والطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وفي التنزيل العزيز: "سنعيدها سيرتها الأولى"، وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل. وهي قصة حياة إنسان فرد ترك من الأثر في الحياة ما جذب إليه التاريخ.

عمر الفاروق: هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب محمد ﷺ وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم نفوذاً وتأثيراً. توفي ٢٣ هـ.

دراسة: مصدر من درس يدرس "درس الكتاب يدرسه درساً ودراسة" والمعنى قرأ الكتاب وفهم معانيه، المراد بالدراسة في البحث هو دراسة موضوعية تحليلية فنية نقدية.

مقارنة: على وزن مفاعلة من قرن يقرن من باب ضرب "وقرنت الشيء بالشيء وصلت به" أي جعل بينهما وصلاً وعلاقة. يقال قارن الشيء الشيء مقارنة وقرانا جعل كلا منهما مصاحباً للآخر، والمقارنة المقايسة بين الشئيين أو أكثر في وجه الشبه والاختلاف فيما بينهما، والمقارنة في النقد الأدبي هي تفتيش الأعمال

الأدبية واكتشاف الوصلات بين عمليين أو مؤلفين، كما يقال هذه الدراسة تقارن بين أعمال جبران خليل جبران ومصطفى لطفى المنفلوطي.

الفاروق عمر: من أبرز كتب السيرة لمحمد حسين هيكل ألفه سنة ١٩٤٤. هذا الكتاب من سلسلة دراساته حول التاريخ الإسلامي التي بدأها بـ «حياة محمد» و«الصديق أبو بكر»؛ حيث ينتقل المؤلف في كتابه «الفاروق عمر» لمناقشة حياة عمر بن الخطاب، وذلك منذ المدة السابقة لدخوله إلى الإسلام حتى وفاته. وتناول الإنجازات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية التي تحققت خلال فترة حكمه.

محمد حسين هيكل: شاعر وأديب وصحافي وسياسي مصري كبير (١٨٨٨-١٩٥٦) صاحب أول رواية عربية باتفاق النقاد الأدب العربي الحديث، كما أنه قدم التاريخ الإسلامي من منظور جديد يجمع بين التحليل العميق والأسلوب الشائق. وكان في ذات الوقت رائدا من رواد العمل السياسي العام في مصر الحديثة، يكافح من أجل استقلال مصر.

عبقرية عمر: كتاب ألفه عباس محمود العقاد عن عمر بن الخطاب سنة ١٩٤٢. وهو من سلسلة السير "عبقرات". واستخدم فيه الكاتب طريقة جديدة وتجنب الطريقة المتبعة في كتابة السيرة. بدلا من إلقاء الضوء على جميع الأحداث التي وقعت في حياة عمر، ركز على تحليل نفسية عمر وركز على رد تهمة أعداء الإسلام.

عباس محمود العقاد: أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري (١٨٨٩-١٩٦٤) حائز على جائزة الدولة التقديرية المصرية سنة ١٩٦٠. وهو عضو سابق في مجلس النواب المصري، وعضو في المجمع اللغة العربية. وصاحب عديد من السير للشخصيات الإسلامية وغير الإسلامية البارزين.

## الدراسات السابقة

وقد دارت الدراسات وأجريت البحوث وألفت كتب كثيرة حول محمد حسين هيكل وعباس محمود العقاد



وعن كتابيهما 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'. ومع ذلك لم يجد الباحث أي دراسات سابقة في موضوع البحث بأكمله إلا بعض الدراسات عن الأدبيين وبعض أعمالهما الأدبية، بل لا توجد أي دراسة مختصة بالموضوع تعالج التصوير الفني في هذين الكتابين.

ومن أهم الدراسات السابقة التي لها صلة بالبحث ما يلي:

١. د. شاهد عزيز، دراسة مقارنة لكتابات محمد حسين هيكل وشبلي النعماني في السيرة، جامعة بابا غلام شاه بادشاه، جامو وكشمير، ٢٠١٦.
٢. د. أحمد موسى محمد زعرب، اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل دراسة أدبية تحليلية نقدية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة. ٢٠١٧.
٣. القصاص، محمد بن جلال. عمالة عباس العقاد للفكر الغربي. أسرة قراء دار السلام. د. ت.
٤. عبد الحميد ب ك، مساهمة عباس محمود العقاد في تطور النثر الإسلامي. المكتبة المركزية للجامعة كننور، ٢٠١٥.

### مشكلة البحث

أجرى الباحث البحث بهدف الحصول على حل أسئلة البحث الأساسية التالية:

١. ما مفهوم السيرة لغة واصطلاحاً؟
٢. ما هي عناصر الأدب في السيرة؟
٣. ما هي أهم المؤلفات التي تناولت سيرة عمر بن الخطاب وما هي ميزاتها؟
٤. ما هي ميزات السير عند محمد حسين هيكل؟
٥. كيف يتميز هيكل عن غيره من الكتاب في تناول سيرة عمر بن الخطاب في 'الفاروق عمر'؟
٦. ما هي ميزات سلسلة 'عبقريات' عباس محمود العقاد؟

٧. كيف يتميز العقاد عن غيره من الكتاب في تناول سيرة عمر بن الخطاب في 'عبقرية عمر'؟

٨. ما هي عناصر التصوير الفني المستخدمة في كتاب 'الفاروق عمر'؟

٩. ما هي عناصر التصوير الفني المستخدمة في كتاب 'عبقرية عمر'؟

١٠. ما هي أوجه التشابه والاختلاف بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'؟

### فرضية البحث

توجد عناصر التصوير الفني متوفرة في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لدى الكاتبين الشهيرين عباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل، إلا أن عباس محمود العقاد أكثرهما فيها، بحيث تجذب القراء إلى قراءة السيرة كثيرا.

### منهج البحث

المنهج الذي اتبعه الباحث في إعداد هذه الدراسة يعتمد على الموازنة والمقارنة في أكثره كما يعتمد على التحليل والوصف والنقد وفقا للمقام، وقام الباحث بجمع المعلومات من المصادر مثل كتب السير لمحمد حسين هيكل، و'عبقرية' عباس محمود العقاد والمراجع من كتب السيرة وغيرها من الكتب المؤلفة حول السيرة وقام بقراءة متأنية، محللا كتب السيرة عن عمر ابن الخطاب ﷺ عبر العصور.

### أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع

يقوم معظم المجتمعات على قيم ومعتقدات معينة تشكل حياة الناس وأفكارهم وممارساتهم بالشكل الكامل. وتنتقل هذه القيم من خلال التعاليم الرسمية وغير الرسمية وعملية التنشئة الاجتماعية. ويستعرض هذا البحث الأسلوب الأدبي الذي نقل من خلاله د. عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل إلى قرائه سيرة شخصية إسلامية عظيمة.

وفي العصر الحديث كان هناك اعتراف متزايد للقيم الأدبية في السيرة فصارت عاملة مهمة ومحددة في كتابتها. بعدما كانت قيمتها ضئيلة عند القراء والكتاب. وقام كل من الدكتور عباس محمود العقاد والدكتور محمد حسين هيكل بنقل وبيان العناصر التاريخية ضمن السياقات الاجتماعية والثقافية بأسلوب أدبي خالص مما أدى إلى تداخل التاريخ مع الأدب. نتيجة لهذه التفاعلات بين العناصر التاريخية والأدب، بدأ الناس قراءة كتب السير بتقدير كبير.

واختار الباحث هذا الموضوع للبحث بدوافع بحثية وفكرية في تقديم أطروحة حول التصوير الفني في كتابة السيرة، وهناك علاقة بين التاريخ والأدب حتى يعد التاريخ من الأدب بمعناه العام. وإذا كتب التاريخ بأسلوب فني بعيدا من أسلوبه الجامد الجاف زاده جمالا، ويتقرب من الأدب أكثر. وهذه الظاهرة لا يخلو منها تاريخ المجتمع الإسلامي الذي يشتمل على سير الشخصيات الإسلامية البارزة. والباحث كان معجبا من شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ طفولته لأنه كان مشهورا بقوة إيمانه وصرامته التي لا تنزعزع ويعتبره الكثيرون منشئ العديد من الإصلاحات الإسلامية والمادية، وكان عمر رضي الله عنه مثلا يضرب به في العدل. وزاد إعجاب الباحث لما طالع على بعض سير عمر رضي الله عنه في اللغة العربية وغيرها. والرسالة التي قدمها الباحث لنيل البكالوريوس هي معنونة بـ "سياسات عمر بن الخطاب رضي الله عنه" فكل هذا دفعه أن يختار هذا الموضوع.

## أهداف البحث:

الأهداف الرئيسية للبحث هي:

١. دراسة مفهوم السيرة وتطورها وأدبيتها.
٢. معرفة ميزات أهم المؤلفات التي تناولت سيرة عمر بن الخطاب.
٣. معرفة ميزات السير لمحمد حسين هيكل ولعباس محمود العقاد.
٤. اكتشاف ميزات الكتابين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'.

٥. كشف عناصر التصوير الفني في 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'.

٦. اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'.

## خطة البحث

قد قسم الباحث هذا البحث إلى أربعة أبواب ويبدأ هذا البحث بمقدمة ويتناول فيها الباحث تحليل العنوان والدراسات السابقة وأسئلة الدراسة ومنهج البحث وأهمية الدراسة وأهدافها وخطة البحث. والباب الأول بعنوان "السير في الأدب العربي" يشتمل على توطئة وخمسة فصول ومنها الفصل الأول هو مفهوم السيرة وتعريفاتها وأنواعها والفصل الثاني هو تطور فن السيرة في الأدب العربي والفصل الثالث هو أدبيات السيرة الغيرية والفصل الرابع هو أهداف السيرة الغيرية وشروطها. والفصل الخامس هو عمر بن الخطاب في الأدب العربي.

والباب الثاني الموسوم بـ "تحليل كتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل" يحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول، والفصل الأول هو محمد حسين هيكل حياته وشخصيته والفصل الثاني هو السير الإسلامية لمحمد حسين هيكل والفصل الثالث هو ميزات كتاب 'الفاروق عمر'.

والباب الثالث المعنون بـ "تحليل كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد" يحتوي على ثلاثة فصول والفصل الأول يدور حول عباس محمود العقاد حياته وشخصيته والفصل الثاني هو دراسة عن سلسلة 'عبقرية العقاد' والفصل الثالث يتناول ميزات كتاب 'عبقرية عمر'.

والباب الرابع المعنون بـ "التصوير الفني في 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'" يحتوي على أربعة فصول والفصل الأول منها يتناول مفهوم التصوير الفني والفصل الثاني يدور حول التصوير الفني في 'الفاروق عمر' والفصل الثالث يدور حول التصوير الفني في 'عبقرية عمر' والفصل الرابع هو المقارنة بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'.

وينتهي هذا البحث بخاتمة ويناقش فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها والتوصيات والاقتراحات التي تعين على الدراسات المتقدمة في مجال البحث كما زود الباحث رسالته بقائمة المصادر والمراجع.

## كلمة الشكر

وفي الأخير يتقدم الباحث بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من أعانه في إنجاز هذا البحث ولا سيما إلى الأستاذ الفاضل الدكتور المشرف عبد الله نجيب أم على إشرافه على هذا البحث، وكان له الفضل في التوجيه والإرشاد إلى طريق العلم الصحيح ورغم انشغالاته الكثيرة لم يبخل على الباحث بالنصائح والتوجيهات القيمة.

ويقدم الباحث أجزل الشكر والامتنان إلى جميع أساتذة قسم اللغة العربية بكلية يم إي يس ممباد وخاصة إلى رئيس القسم الدكتور سابق إم. ك. والدكتور فردوس مون على تفضلهم بالمساعدات والإرشادات القيمة لإجراء بحثه بشكل ناجح.

ويقدم الباحث الشكر إلى الأستاذ عبد الله الندوي على تزويده الباحث بالإرشادات والتوجيهات والمراجع اللازمة للبحث ويعبر عن خالص الشكر والامتنان للأستاذ عارف زين على اقتراحاته النيرة منذ اختيار موضوع البحث إلى نهاية مطافه، كما يقدم أجزل الشكر والعرفان إلى الدكتور عبد المجيد والأستاذ محمد طيب السلمي والأستاذ أنور الصلاحي لمساعدتهم بالنصائح الغالية. ويقدم الباحث الشكر إلى والده ووالدته اللذين سهرتا على تربيته وتعليمه منذ أن بدأت حياته وإلى زوجته على صبرها الجميل في توفير جو مناسب للبحث والشكر موصول إلى كل من أعان الباحث من قريب أو من بعيد في مسيرته البحثية من الأساتذة والأصدقاء والأقرباء، وبالله التوفيق



## الباب الأول: السير في الأدب العربي

- الفصل الأول: مفهوم السيرة وتعريفاتها وأنواعها
- الفصل الثاني: تطور فن السيرة في الأدب العربي
- الفصل الثالث: أدبيات السيرة الغيرية
- الفصل الرابع: أهداف السيرة الغيرية وشروطها
- الفصل الخامس: عمر بن الخطاب في الأدب العربي

## الفصل الأول

### مفهوم السيرة وتعريفاتها وأنواعها

السيرة والترجمة الشخصية فن من فنون الأدب، تعد السيرة من أعلى الفنون شأنًا وتعبيرًا عن طبيعة العصر الذي أنشئت السيرة فيه. والنثر العربي أملاً المكتبات العربية والغربية وغيرهما بحزمة من كتب السير والتراجم. وتكشف كتب السيرة العربية أمام القارئ عن طبيعة العصر الذي يكتب عنه، ومن طبيعته السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية وغيرها التي لا توجد بهذه السهولة بين سطور الكتابات النثرية الأخرى.

السيرة هي مجموعة من الأحداث التي جرت في الماضي يعيدها كاتب السيرة لتكون عبرة وعظة للأجيال المتوالية، فمعرفة الماضي هي السبيل لتشخيص الحاضر ولتنظيم المستقبل.

وكلمة السيرة شاع استعمالها من حيث تناولها لقصة فرد من الأفراد ذي أهمية في التاريخ أو قصة جماعة لها مكانة عالية في تاريخ الشعب أو أحداث إنسانية، يمثل كاتب السيرة من خلال أحداث حياته الطبيعة الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية لذلك العصر وهي تشكل مجموعة من الأحداث التي جرت في الماضي، ويعاد سردها لتكون عبرة وعظة للأجيال المتعاقبة.<sup>١</sup> وإن هذا النوع من الأدب يوصل أدبنا بتاريخ الحضارة العربية وتيار الفكر العربي لأنها صورة للتجربة الصادقة الحية.

بناء على هذا في الجملة فإن حدود السيرة هي "الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته، من طفولة ونضج وأمراض وغيرها، فهي صور للوجود الحيواني الجسماني، وقد يرتبط بها كثير من العواطف

الإنسانية."<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> العطار، مها. السيرة الفنية في الأدب العربي حتى أوائل الثمانينات. دمشق: مطبعة الدوادي، ١٩٩٥. ص ٩.

<sup>٢</sup> نفس المرجع، ص ١٣.



## السيرة لغة

### ما ورد في لسان العرب

قد ورد في لسان العرب " السير: الذهاب، سار يسير سيرا وتسيارا ومسيرة وسيرورة والتسيار: تفعال من السير، سايره أي جراه فتسايرا. وبينهما مسيرة يوم. وسيره من بلده: أخرجه وأجلاه. وسيرت الجُل عن ظهر الدابة: نزعته عنه. والسيرة: ضرب من السير، والسيرة: الكثير السير. والسيرة السنة والطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة، والسيرة الهيئة، وفي التنزيل العزيز: "سنعيدها سيرتها الأولى"، وسير سيرة: حدث أحاديث الأوائل.<sup>٣</sup>

### ما ورد في القاموس المحيط

ورد في القاموس المحيط "السير: الذهاب كالمسير والتسيار والمسيرة والسيرورة والسيرة: الضرب من السير والسيرة بالكسر: السنة والطريقة والهيئة."<sup>٤</sup>

يتبين من خلال المعاني للكلمة السيرة اقتراب بين مفهوم السيرة اللغوي وبين مفهوم السيرة الاصطلاحي. وجاءت كلمة السيرة بمعنى الهيئة أي الطبيعة أو الحال التي يكون عليها الإنسان إذ السيرة تتناول أحوال الإنسان في المراحل المختلفة وطبيعة أطواره من السنين لعمره. وجاءت السيرة بمعنى حديث الأوائل: هذا المعنى هو أكثر اقترابا ووضوحا وتعبيرا عن مفهوم السيرة لأن السيرة تتناول قصة حياة من عاشوا في الأجيال السابقة ومن أتموا أجلهم، كالبطل الذي عاش في الماضي أيما كان الفاصل الزمني بين كاتب السيرة والبطل قل أو كثر، فالماضي بالنسبة إلى الكاتب هو تاريخ. ولكن من الملاحظ أن المعاجم القديمة لم تربط بين مفهوم السيرة اللغوي وبين مفهومها الاصطلاحي.

<sup>٣</sup> ابن منظور: لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤، مادة سير.

<sup>٤</sup> القاموس المحيط: مادة السير

## السيرة اصطلاحاً

قد تعددت تعريفات للسيرة لم يوضع تعريف يتفق عليه جميع النقاد والأدباء بل وضع كل كاتب تعريفاً وفقاً لفهمه طبيعة السيرة، ويظهر هذا مرونة هذا النوع الأدبي وضعف الحدود الفاصلة بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى.

السيرة في تعريفها العام هي: بحث يستعرض فيه الكاتب حياته أو حياة أحد المشاهير، مبرزا من خلاله المنجزات التي تحققت في مسيرة حياته أو حياة المتحدث عنه.

أما السيرة في الأدب فهو: "نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته."<sup>٥</sup>

كما سبق الذكر وُضعت تعريفات عديدة للسيرة وفقاً لفهم الكاتب طبيعة السيرة منها:

تعريف الدكتور: ماهر فهمي: "إنها إعادة بناء حياة إنسانية، أو بمعنى آخر، هي أصلاً عملية تركيبية، وقدرة كاتب السيرة على التركيب مثل قدرة الأثري على تركيب هيكل قديم من بقايا المبعثرة."<sup>٦</sup>

تعريف الدكتور إحسان عباس: "هي الرغبة في تاريخ حياة فرد من الأفراد أو جانب كبير من حياته تحقيقاً لنظرة خاصة أو فلسفة محدودة."<sup>٧</sup>

ويلاحظ من هذا التعريف ليس من الواجب على كاتب السيرة أن يأتي كل الجوانب لحياة المترجم عنه قد يكون كاتب السيرة يركز على جانب خاصة أو فلسفة معدودة حسب رغبته في سيرة المترجم عنه.

<sup>٥</sup> عبد النور، جيبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٤٣

<sup>٦</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً. ٢٠١١ كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط. ص ٤٠

<sup>٧</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ٧٣.

الدكتور أنيس المقدسي: "نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته الكاملة."<sup>٨</sup>

تعريف الدكتور أنيس المقدسي يختلف من تعريف الدكتور إحسان عباس من حدود سيرة المترجم عنه حسب هذا التعريف يحاول كاتب السيرة أن يصور جميع جوانب الحياة للمترجم عنه وهذا التعريف أكثر اقتراباً إلى الأدب لأن كاتب السيرة يجمع فيها التحري التاريخي مع الإمتاع القصصي.

وقد عرفها فنياً: "بأنها تفسير للحياة الشخصية في جزئها التاريخي، فهي ليست مجرد أخبار تاريخية، ولا هي مجرد تحليلات نفسية، أو اجتماعية، بل هي كل ذلك مسبوكة في قالب فني ذي طلاوة ورواء، بكلمة واحدة، قصة ذات أثر."<sup>٩</sup>

تعريف الأشر: "ما يترجم الأدباء لحياتهم وحياة أعلامهم، من رجال الأدب والفكر والسياسة، إذ يجمعون الوثائق التي تتصل بها، فيصنفونها، ويدرسونها، دراسة دقيقة يتمثلون فيها الحياة قائمة في الظروف من الزمان والمكان، ويرصدون نموها ومراحل تطورها، ثم يكتبون قصتها من جديد."<sup>١٠</sup>

تعريف الدكتورة مها العطار: "أنها قصة واقعية جرت حوادثها في الماضي، ولكنها تسترجع من الذاكرة ليعاد تمثيلها على مسرح الحياة، فكأن كاتبها يعيش تلك الحياة مرة أخرى فيتقمص شخصية البطل، ويشعر بشعوره، ويحس بأحاسيسه، وربما رأى بعينه أحداث حياته من خلال الوثائق، أو من خلال قصص استمد واقعها من أهله وأصدقائه ومعاصريه يجسم تلك الحياة، وينفخ فيها الروح، لتمثل بإتقان، مراعية في ذلك أطر الزمان والمكان وتطور البطل وتموه."<sup>١١</sup>

<sup>٨</sup> المقدسي، أنيس. الفنون الأدبية وأعلامها: في النهضة العربية الحديثة. ط٦. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠. ص ٥٤٧.

<sup>٩</sup> نفس المرجع، ص ٥٥١.

<sup>١٠</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً. ص ٤٣.

<sup>١١</sup> نفس المرجع، ص ٤٣.

وورد تعريفها في الموسوعة العالمية: "بأنها عرض واقعي لتاريخ حياة فرد من الأفراد، أعدت لتوضيح شخصية المترجم ومزاجه، وذاتيته المميزة."<sup>١٢</sup>

تعريف الدكتور النجار للسير: "أن السيرة قصة تاريخية، لا تشذ أبدا عما يفيد التاريخ من حقائق تعتمد على الوثائق والمدونات والأسانيد القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء، إلا أنها قصة تتعلق بحياة إنسان ترك من الأثر في الحياة ما جذب إليه التاريخ."<sup>١٣</sup>

تعريف الدكتور شوقي المعاملي: "السيرة قصة إنسانية، وهي تاريخ يمثل أروع فنون الكتابة التاريخية، وهي امتداد لحياة عظيم في زمان ومكان معينين، ويمتد الزمان إلى ما وراء جيلها، ثم إنها تمثل مواقف تاريخية، لها حوافرها ومراميها."<sup>١٤</sup>

كلمة السيرة في الأدب تدل على كل عمل يتناول حياة إنسان ما. والسيرة في الأدب متعدد الأشكال والأنواع. السيرة نوعان رئيسان. النقد العربي الحديث اشتمل على المصطلحين الغربيين المركبين تركيباً مزجياً هما.

١. السيرة الذاتية - Auto Biography

٢. السيرة الغيرية<sup>١٥</sup> - Biography

السيرة الذاتية: هي أن يؤلف الكاتب بنفسه قصة حياته ويذكر فيها تجاربه وأخباره من حياته مثل 'الأيام' لطله حسين و'حياتي' لأحمد أمين و'أنا' لعباس محمود للعقاد.

<sup>١٢</sup> نفس المرجع، ص ٤٣

<sup>١٣</sup> النجار، حسين فوزي. التاريخ والسير. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤. ص ٦١.

<sup>١٤</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجاً. ص ٤٤.

<sup>١٥</sup> شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. لبنان: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٢. ص ١٣.

السيرة الغيرية: هي أن يؤلف الكاتب قصة غيره ويذكر فيها تجاربه وأخباره من حياته مثل سيرة محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وغيرهم من أبرز الأشخاص من التاريخ الإنساني. سيتناول الباحث عنهما مفصلا فيما يلي:

## السيرة الذاتية

وقد ظهر مصطلح السيرة الذاتية إلى حيز الوجود لأول مرة، في أوائل القرن التاسع عشر، " في معجم (أوكسفورد) الإنجليزي الذي يرجع تاريخه إلى عام ١٨٠٩م وذلك في مقال ل (روبرت ساوثي) عن حياة المصور البرتغالي (فرانسيسكو فييرا)<sup>١٦</sup>

قد تعددت تعريفات للسيرة الذاتية ومن أدها: " أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه، فيسجل حوادثه وأخباره، ويسرد أعماله وآثاره ويذكر أيام طفولته وشبابه وكهولته وما جرى له فيها من أحداث تعظم وتضؤل تبعا لأهميته."<sup>١٧</sup>

وبين عبد المحسن بدر السيرة: أنها " تحاول تفسير تاريخ حياة مؤلفها في رحلة زمنية محدودة، وتحفظ بالترتيب الزمني للأحداث كما وقعت لصاحبها، ولا يقتصر المؤلف على سرد الأحداث، ولكنه يقف فيها موقف الدارس المحلل كما أن الرابطة التي تربط بين أحداثها مجرد رابطة سطحية تتمثل في وقوع الأحداث بعينها في زمن محدد، وكذلك بعكس الرواية التي لا تكتفي فيها الرابطة الخارجية وحدها، ولكنها تفترض وجود رابطة داخلية بين الأحداث، وتتمثل في إحساس المؤلف الذي تتطور أحداث الرواية لإبرازه."<sup>١٨</sup> ومن أوجز تعريفاتها ما عرفه شرف: "بأن السيرة الذاتية تعني حرفيا ترجمة حياة إنسان، كما يراها هو."<sup>١٩</sup>

<sup>١٦</sup> نفس المرجع، ص ٧.

<sup>١٧</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. دار المعارف، ١٩٥٥. ص ٢٣.

<sup>١٨</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجا. ص ٥٠.

<sup>١٩</sup> شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. ص ٢٧.

## السيرة الغيرية

تعتبر السيرة الغيرية أقدم من السيرة الذاتية زمنا لأنها ظهرت مع ظهور التاريخ الإنساني والأدب فذاك منذ ظهور الحضارات والثقافات. وبدأ الرجال الذين يسكنون في قصور الحكام والأمراء والسلاطين يدونون ما كان يعمل الملوك والأمراء من أعمال البطولة ودونوا ما كان يحدث في زمانهم من تطور ونماء، وقاموا بكتابة تاريخ ملوكهم وسلاطينهم وحروبهم وكذلك دونوا تاريخ رجالات الدول وأن معظم هذه الكتابات تأتي تحت السيرة الغيرية.

## تعريف السيرة الغيرية

السيرة الغيرية تقابل المصطلح الإنجليزي Biography الذي يعني وصفا حيا أو تصوير حياة، فكلمة Bio تعني حياة، وكلمة Graphy تعني وصفا أو تصويرا. لذلك عرف كارلايل أوجز تعريف للسيرة في قوله: "إن السيرة حياة إنسان".<sup>٢٠</sup>

وعرفها حسين فوزي التجار: "هي بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فد، وكشف عن مواهبه، أسرار عبقريته، من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله".<sup>٢١</sup> وعرفها الدكتور عبد الدايم بأنها: "بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته حياة صاحب السيرة".<sup>٢٢</sup>

فالسيرة الغيرية هي قصة تتعلق بفرد من الأفراد عاش في الماضي وخلف من الأثر في الحياة ما لفت إليه التاريخ. والسيرة أكثر امتلاء بالعواطف الزاخرة الجياشة من التاريخ العام والأحاسيس الحية النابضة لأنها تصور جوانب الحياة الشتى للمترجم له وتكشف معالم حياته ليظهر سر نبوغه إذ لا تهتم السيرة الغيرية

<sup>٢٠</sup> نفس المرجع، ص ١٣.

<sup>٢١</sup> نفس المرجع، ص ١٤.

<sup>٢٢</sup> الدايم، يحي إبراهيم عبد. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٤. ص ٣١.

إلا بكل إنسان فريد، فهي إذا قصة إنسان مميز ويحاول كاتب السيرة أن يكشف الجوانب النفسية للمترجم له وأن يخرج ما خطر بباله في مختلف ظروف حياته التي عاشها صاحب السيرة. وتتحرى السيرة الأثر الفعال الذي خلفه المترجم له في الحياة الإنسانية ويعظم تأثيره بقدر ما يعظم العمل.

إن فن السيرة الغيرية في اصطلاح الأدباء المعروف بالترجمة الأدبية أيضا، هو: "بحث يعرض فيه الكاتب حياة أحد المشاهير، فيسرد في صفحاته مراحل حياة السيرة أو الترجمة، ويفصل المنجزات التي حققها وأدت إلى ذيوع شهرته، وأهلهته لأن يكون موضوع الدراسة."<sup>٢٣</sup>

إن الحياة الإنسانية لا تنحصر على النشاط العملي والنشاط الذهني فحسب بل هي تعتمد على النشاط اللغوي باعتبارها فنا أدبيا يذهب عبد العزيز شرف إلى "هي ذلك النوع الأدبي الذي يتناول بالتعريف حياة إنسان ما، تعريفا يقصر أو يطول، فإن جانبا كبيرا من جوانب الحياة في هذه السيرة يقوم على التفكير والتأمل من جهة، والسلوك والعمل من جهة أخرى، ولكنها إلى جانب هذا وذاك فن أدبي جوهره التواصل اللغوي."<sup>٢٤</sup>

عرفها محمد عبد الغني حسن في كتاب التراجم والسير بأنها "ذلك النوع من الأنواع الأدبية الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة المترجم، ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة، من المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له."<sup>٢٥</sup>

---

<sup>٢٣</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجا. كلية الآداب والعلوم: جامعة آل البيت، ٢٠١٢ ص ٢٢.

<sup>٢٤</sup> شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. ص ١٢.

<sup>٢٥</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٩.

أورد نبيل راغب تعريفاً آخراً في كتابه 'دليل الناقد الأدبي' هي " سرد تاريخي مقصود لحياة إنسان أو على الأقل تركز على الجزء الأكبر من حياته، أو الجزء الذي جعل منه شخصية مبرزة، وهذه المواصفات هي التي تمنح السيرة شكلها الأدبي.<sup>٢٦</sup>

### الفرق بين السيرة الذاتية والغيرية

يذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن السيرة الذاتية لا تختلف عن السيرة الغيرية في الهدف والشكل والمضمون إلا أن جماعة من الباحثين الآخرين يذهبون إلى أن بينهما اختلافاً، وقد شرح إحسان عباس رأي الفريقين بقوله

"نحن هنا إزاء فريقين يختلفان اختلافاً بيناً" أما الفريق الأول فيرى أن لا فرق بين السيرة الذاتية والسيرة العامة، في الهدف والشكل والمضمون، إلا أن إحداهما تكتب بصيغة المتكلم والأخرى بصيغة الغائب، كلاهما فن لا علم والدليل على ذلك أنه لو اجتمع عشرون كاتباً على كتابة سيرة لأحد الناس، لتوفرت لدينا عشرون سيرة مختلفة، على الرغم من أن المواد واحدة ولو كتب هؤلاء سير لأنفسهم لطالعنا أيضاً كل هذا العدد من السير الذاتية المتباينة... وأما الفريق الآخر فيقول إن بينهما شركة كالتالي بين كثير من الفنون الأدبية، ولكن القول باتفاقهما التام خاطئ أو بعيد عن الصواب لأن الترجمة الذاتية نقل مباشر إما الترجمة الغيرية – أي ترجمة حياة الآخرين- فإنها نقل عن طريق الشواهد والوثائق وشتان ما هما.<sup>٢٧</sup>

فيذهب إحسان عباس إلى أن الوثائق والشواهد التي يستقي منها كاتب السيرة الغيرية لكتابتها تختلف من وثائق كاتب السيرة الذاتية، مع أن بعض الفريق يذهب إلى أن السيرة الذاتية لا تختلف عن السيرة الغيرية لأن السيرة الذاتية تنبع من نفس الكاتب وهي تعبير لما تجرب الكاتب طوال حياته من مشاعر وأحداث كذلك هي رواية لحياته كما يراه هو قد تتفق أو تختلف مع الآخرين. أما السيرة الغيرية فهي نقل غير مباشر حيث

<sup>٢٦</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والمنتخيل. ص ٢٥

<sup>٢٧</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص: ١٠٢-١٠٣



يعتمد الكاتب على الوثائق والشواهد فحسب ويخفى للكاتب كثير من الجوانب النفسية مترجم له. وليس من الواجب أن تكتب السيرة الذاتية بصيغة المتكلم والسيرة الغيرية بصيغة الغائب، ربما تكتب السيرة الذاتية بصيغة الغائب كما حدث مع سيرة طه حسين (الأيام) بالرغم من أن القارئ استطاع أن يميز بأن هذه لم تكن إلا تجربة شخصية للكاتب.

ولقد حدد المختصون الفرق بين السيرة الذاتية والغيرية، فإبراهيم عبد الدايم مثلاً في إطار كلامه عن الفرق بينهما يقول: " لكن الترجمة الذاتية أوثق صلة بالإنسان من الغيرية، لأن الغيرية تعتمد على النقد الموضوعي وعلى الوثائق والمدونات والملاحظات والقرارات والمشاهدات وغيرها من وسائل النقد غير المباشرة من خارج الذات في حين أن السيرة الذاتية تقاس قيمتها الأدبية بما فيها من الذاتية والنقل المباشر من داخل الذات باعتمادها على التذكر القوي للأفكار والمواقف المؤثرة ولنقط التحول الواضحة."

وقد تماثل السيرة الذاتية بالغيرية في تحليل شخصية فرد من الأفراد وتصويرها، بمعنى البحث عن أعماق مجرى النفس الكامنة تحت المظهر الخارجي، غير أن طريقة التحليل مختلفة في كل منهما، فكتب السيرة الذاتية يخرج الشخصية من الداخل إلى الخارج، فهو يقدم الأحاسيس الحية والعواطف الجياشة، ثم يعرض أثرها الخارجي، أي بروزها في شكل أحداث، وأثرها فيه وغيره وأما كاتب السيرة الغيرية فليس عنده إلا الأحداث الخارجية التي جمع من الوثائق والشواهد وغيرها من المصادر ويتخذها وسيلة لولوج الشخصية من الداخل، فمهما يتعمق داخل الشخصية فهو يقدمها من الخارج إلى الداخل.<sup>٢٨</sup>

ويقوم إحسان عباس بتأكيد هذا الكلام بقوله: "من كل ما تقدم يتبين لنا إلى أي حد تعتمد السيرة التي يكتبها الشخص لنفسه على العنصر الذاتي بينما السيرة العامة قائمة في المقام الأول على الاتجاه الموضوعي."<sup>٢٩</sup>

<sup>٢٨</sup> إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه. ط٦. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦. ص ١٥٣.

<sup>٢٩</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص: ١٠١.

إن أردنا تحديد فرق دقيق بين السيرة الغيرية والذاتية نرى بعد تحليل التعريفات للسيرة الغيرية والذاتية أن معظم الباحثين قد اتفقوا على أن أهم فرق بينهما، هو أن السيرة الذاتية يتم فيها التطابق بين السارد والشخصية الرئيسية والمبدع، أما السيرة الغيرية فلا يمكن أن يتطابق فيها المبدع مع الشخصية الرئيسية. ومن الملاحظ أن لهذا التطابق أثر غير قليل في عمل السيرة.

ويُنصح كاتب السيرة الذاتية أن يؤلفها في حين متأخر من حياته؛ إذا أتم كتابة السيرة مبكراً يفقد الكثير من الأمور والأحداث التي قد تحدث في آخر حياته. وأما في السيرة الغيرية فعلى صاحب السيرة أن يجمع كل ما تمكن له من الوثائق والشواهد التي تساعد على معرفة المترجم له من شتى الجوانب وكذلك أن يعلم بيئة من يترجم له، وأن يعرف أثر تلك البيئة فيهم.<sup>٣٠</sup>

## علاقة السيرة بالتاريخ

والترجمة وسير الأشخاص قديمة قدم الإنسان نفسه، ولا شك أنها ظهرت مع الكتابة في الأمم التي عرفت الكتابة واستخدمتها في مسائل حياتها، أو في مسائل الترف العقلي الذي يعي بعد استكمال الضروريات، وكثيراً ما تأتي الترجمة مع التاريخ موازية له في النشأة، لأنها في الحق نوع من التاريخ للرجال على نسق معين. تتفاوت الأمم في القدرة على الإحساس بالتاريخ كسائر المزايا الإنسانية وقد حاول المؤرخ أشبجلر أن يثبت هذه الميزة لأمة كالمصريين القدماء بينما يرد المؤرخ فرانك فورت هذا الرأي وينكر هذا الإحساس الكبير بالتاريخ عند المصريين القدماء، جدير بأن يلاحظ مع خلاف المؤرخين في الإحساس بالتاريخ عند أمة وأخرى حقيقة هامة وهي أن ذلك الحس التاريخي هو الأب المنجب للسيرة منذ يوم كانت السير جزءاً من التاريخ، ثم نشأ فن السيرة في أحضان التاريخ وترعرعت حتى صار فناً مستقلاً واتخذت طريقة خاصة لها وتأثرت بأفكار الناس عنه على مرور الزمن وتشكل وفق تلك المفاهيم فكانت تسجيلاً للأعمال والأحداث والحروب المتصلة

<sup>٣٠</sup> الحسنات، مريم حماد عليان السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي. ١٣. ٢٠. الجامعة الإسلامية غزة. ص ٣٩.

بالمملوك عند الصينيين والمصريين والآشوريين.<sup>٣١</sup> أما عند اليونان والرومان كانت السيرة تفسيرا لبعض المبادئ السياسية كما في كتابة فلوطارخس عن عظماء اليونان والرومان لعل فلوطارخس فاز في صدده فوزا لو أنه ارتكز على تصوير أحداث الأشخاص أنفسهم وقلل الالتفات الى تصوير حقبة كاملة.<sup>٣٢</sup>

في العصر الحديث بدأ بعض الباحثين المحدثين يتساءل أحقا أن السيرة جزء من التاريخ؟ ومنهم الأستاذ كولنجوود هو ينكر اعتبار السيرة جزءا من التاريخ لأنها تضيع منه القاعدة الصحيحة التي يقوم عليها التاريخ فحدود السيرة هي الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته من طفولة ونضج وأمراض وغيرها وقد يرتبط بها كثير من العواطف الإنسانية ولكن هذا كله ليس تاريخا.<sup>٣٣</sup> والمؤرخ توينبي أيضا يذهب إلى مثل ما ذهب كولنجوود. ويذهب المؤرخ شوتوال إلى أن السيرة كلما كانت تصور حياة فرد من الأفراد في نطاق المجتمع وتتناول أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها أو متأثرة بها السيرة تحقق غاية التاريخية وهي أقرب إلى التاريخ، أما كلما السيرة تركز على الفرد وتعزله عن مجتمعه وتنظر إلى حياة المترجم عنه نظرة مستقلة فإن صلتها بالتاريخ تكون واهية ضعيفة.<sup>٣٤</sup> كلما أصبحت الغاية من السيرة تعليمية أو أخلاقية تبعد السيرة عن هذا الأصل التاريخي.

## الفرق بين الترجمة والسيرة

يظهر بعد ملاحظة استعمال كتاب السيرة ونقادها أن بعضا من المؤرخين استعملوا كلمة "ترجمة" في الاصطلاح بمعنى "سيرة". وهذا الترادف في الدلالة الاصطلاحية لم يكن معتمدا على أساس صحيح من التماثل فيما يحيل عليه، فهناك يوجد فرق بين الترجمة والسيرة. ولم نر الفروق اللغوية ما يفصل الفرق بينهما على وجه التحديد الدقيق. ولكن الأمر الذي يفرق هذين المصطلحين هو استعمال المؤرخين لهذين

---

<sup>٣١</sup> شهبو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جيل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجا ص ٢١.

<sup>٣٢</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص. ١١.

<sup>٣٣</sup> نفس المرجع: ص ١١.

<sup>٣٤</sup> نفس المرجع، ص ١٢.

المصطلحين " فقد جرت عادة المؤرخين أن يسموا الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نفس الكاتب فيه، فإذا طال النفس واتسعت الترجمة سميت سيرة".<sup>٣٥</sup>

" ليس الفرق في طبيعة الآثار الأدبية التي تدل عليها المفردتان بل في الاستخدام الشائع لهما في المصادر العربية حيث كانت "السيرة تحيل على المرويات والمدونات التي عنيت بشخص الرسول محمد صلى الله عليه وسلم-، وأول ما استعملت كلمة السيرة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما كانت الترجمة تحيل على خلاصات موجزة للتعريف بأعلام الحديث والفقه والأدب واللغة والطب والحكمة. الخ"<sup>٣٦</sup>

تختلف السيرة الغيرية والذاتية من حيث الاستعمال لحدثة المصطلح، فالترجمة "كلمة دخيلة إلى العربية من اللغة الآرامية، جرى استعمالها في أوائل القرن السابع الهجري، استعملها ياقوت الحموي في معجم البلدان بمعنى حياة شخص. يرجح هذا الرأي، أن أبا الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني لم يستخدم كلمة ترجمة عند كلامه على حيوات الشعراء وغيرهم. وكان يسبق كلامه بمثل قوله: خبر أبي قطفة ونسبه، أو أخبار بشار بن برد ونسبه".<sup>٣٧</sup>

وعلى مرور الزمان نجد كلمة 'ترجمة' أصبحت تستعمل اصطلاحيا لتحيل على تاريخ الحياة الموجز للفرد وكلمة 'سيرة' يصطلح على استعمالها لتحيل على التاريخ المطول للحياة وإذا كان المتقدمون يفرقون في استعمال بين الكلمتين، فإن الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما كثيرا بل يستعمل إحداها مرادفة لأخرى ومن ثم ظهر الاصطلاح المعاصر " الترجمة الذاتية أو السيرة الذاتية".<sup>٣٨</sup>

وبناء على هذا، فالسيرة هي حكاية موجز لحياة شخصية ذات اعتبار وأهمية في الماضي، تتناول بعض المعلومات الشخصية، وبعض الخصائص العلمية أو العقلية أو غيرها ولشرح بعض الشواهد من حياته

<sup>٣٥</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٢٧.

<sup>٣٦</sup> د إبراهيم، عبد الله. السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي الغربي. ط ١. ١٩٩٢. ص ١٢٥.

<sup>٣٧</sup> الدايم، يحي إبراهيم عبد. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ص ٣١.

<sup>٣٨</sup> نفس المرجع، ص ٣١.

أعمالاً وأقوالاً، ثم بمرور الزمان أصبح مصطلح السيرة مصطلحاً جامعاً لأنواع متنوعة من أشكال السيرة. بينما أن الترجمة هي السرد المقتضب، الذي يقتصر فيه المترجم على ذكر الحوادث الكبرى البارزة في حياة المترجم له، اسماً وكنية، وغيره من المعلومات الأساسية.

فتقترب الترجمة بهذا المعنى أن تكون توثيقاً تاريخياً يؤلفه بعضهم بأسلوب مجود، كما فعل الثعالبي في "يتيمة الدهر"، ويكتبه آخرون بلغة علمية هادئة، ككتاب "الأغاني" هذه التراجم بين أسطر قليلة كما نجد في تراجم ابن أبي أصيبعة لابن وصيف الصابي، وأبي عثمان سعيد بن غالب، وموسى بن سيار، وبين الصفحات الطويلة تورد الأخبار المستفيضة، كترجمة ابن سينا، وعلى رضوان وعبد اللطيف البغدادي.<sup>٣٩</sup>

---

<sup>٣٩</sup> شهيو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجاً. ص ٢٤.

## الفصل الثاني

### تطور فن السيرة في الأدب العربي

لقد كان للقرآن الكريم دور كبير في تعميق الإحساس التاريخي عند العرب والمسلمين، حيث قص عليهم القرآن قصص الأمم الخالية من الأنبياء وغيرهم، ووصلهم بتلك الأمم، وكان هدف القرآن منها العبرة وغيرها من الأمور العبودية والوحدانية.

وتعتبر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم البداية الحقيقية الأولى لفن السيرة عند العرب والمسلمين، وجاء الاهتمام بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم بتأثير من القرآن الكريم، فالقرآن الكريم أوجب على المسلمين دراسة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وإتباع سيرته وإطاعة أوامره. وتعد السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهوراً، وأولها وأولها باهتمام المؤرخين والكتاب، فقد كانت المحور الذي تدور حوله حياة الإسلام ونشأته واتساعه وتطوره وانتشاره بالغزوات والفتوح. فيستحق أن تعالج السيرة النبوية في باب مستقل نظراً لمكانتها ومكانة صاحبها من نفوس العرب والمسلمين، ونظراً للمكان الذي نزلته في التاريخ والأدب، بحثاً فيها وشرحاً لها ولأشعارها، وتعليقاً عليها، وتلخيصاً لها أو توسعاً فيها على مدى العصور إلى زماننا هذا.

ويرى إحسان عباس أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتبت تحت مؤثرات تتميز بعاملين كبيرين هما: أولاً: إن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جزء من السنة، فهي والحديث مصدران هامان من مصادر التشريع، وممنهما تستفاد الأحكام، لذلك لا بد من جلائها في دقة بالغة، لكي تكون أعماله - إلى جانب أقواله - مشرعا واضحا لرجال الشريعة وأهل الإفتاء والقضاة.

ثانيا: إن المسلمين كانوا قد ورثوا نظرة الجاهلية إلى التاريخ، وهي نظرة قائمة على الأيام وطبيعة الحرب وشؤون القتال، ولذلك اهتم كتاب السير قبل كل شيء بمغاري الرسول ﷺ، وتصوير ذلك الدور الحربي الذي أدى إلى انتصار المسلمين في النهاية.<sup>٤٠</sup>

وقد تعدد الذين اهتموا بكتابة سيرة النبي محمد ﷺ، فمنهم عروة بن الزبير (ت ٩٢هـ)، وأبان بن عثمان (ت ١٠٥هـ)، ووهب بن منبه (ت ١١٠هـ)، وعاصم بن قتادة (١٢٠هـ)، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ)، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) وعبدالله ابن حزم (ت ١٣٥هـ)

وموسى بن عقبة (ت ١٤١)، لكن جميع ما كتبه هؤلاء قد باد وتلف مع الزمن، فلم يصل إلينا منه شيء ثم جاء محمد بن إسحاق (ت ١٥٢هـ) ليسجل أوثق ما كتب في السيرة النبوية في ذلك العهد، أما ابن هشام فقد قام بعملية الجمع عن ابن إسحاق (١).

وقد ربط الباحثون السيرة النبوية بسيرة ابن إسحاق وابن هشام، وعدوهما البداية الأولى لكتابة السيرة النبوية بشكل مكتمل ومختلف عن الكتابات الأخرى من أصحاب السير ونستطيع أن نفهم قيمة سيرة ابن إسحاق في تاريخ السير عند المسلمين إذا نحن عرفنا أن ما كُتب بعده لم يختلف كثيرا في جوهره عما كتبه ابن إسحاق. وقد تعدد سيرة ابن إسحاق أساسا للمعلومات المقررة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأعماله.

ولقد عد الباحثون القرن الثاني الهجري التاريخ الفعلي لظهور فن السيرة، الذي بدأ بكتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن أول ما استعمل لفظ السيرة إنما كان في سيرة الرسول الكريم ﷺ، وبقيت مرتبطة به حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث كتب أحمد بن يوسف بن الداية "سيرة أحمد بن

<sup>٤٠</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ١٣

طولون"، وبذلك انتقلت - ولأول مرة - كلمة السيرة، من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الرجال.<sup>٤١</sup>

وفي القرن الرابع الكاتب المؤرخ عبد الله البلوى ألف سيرة أخرى لابن طولون، فلم تعجبه سيرة "ابن طولون" التي كتبت من قبل، حيث كان الكتاب يمر في شرح القصة ثم يرجع إلى ما هو قبلها وأنه كان يخلط أخباره، فأعاد كتابتها بأسلوبه الذي رآه صالحاً لكتابة السيرة. كانت طريقتة تحليل الحوادث والتعليق عليهما ويضيف إليها شعوره ورأيه الخاص له.

ونشأ بجانب الاهتمام بكتابة السيرة النبوية اهتماماً كبيراً بتدوين الحديث الذي لم يدون في عهد الرسول ﷺ خوفاً أن يختلط شيء من الحديث النبوي بالقرآن فلا يعرف أحدهما من صاحبه. وقد كان تدوين الحديث عاملاً هاماً في خدمة كثير من العلوم التي بدت بجانبه لتخدم رسالته، وكان من هذه العلوم المساعدة علم التاريخ، فاتجهوا إلى الغزوات والفتوح وتواريخ الصحابة والوقائع بين على ومعاوية، يكتبون أخبارها في رسائل متفرقة كانت هي الخطوة الأولى لكتابة التاريخ الإسلامي المطول فيما بعد.

"وقد بلغ من عنايتهم بالحديث النبوي أنهم اتجهوا إلى الكلام في رواته ورجاله، فترجموا لهم تراجم وجيزة لم يكن القصد منها إلا بيان قيمة المحدث ومكانته من ذلك الإسناد وأدى ذلك إلى وضع كتب في نقد الرجال المحدثين ووزنهم بموازن دقيقة تجعلهم مؤهلين بحمل أمانة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فوضعوا كتباً في «الجرح والتعديل»، فمن كان في الميزان عدلاً فهو من المعدلين كان مجرحاً انتقل التجريح منه إلى أحاديثه المجرحة. وهكذا خدمت هذه الكتب في رجال الحديث فن التراجم، ونهت الأذهان إلى أن توضع تراجم أخرى لطبقات من الرجال تتفق في لون واحد من العلم أو الفن أو الصناعة،<sup>٤٢</sup> كطبقات

<sup>٤١</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٢٧

<sup>٤٢</sup> نفس المرجع، ص ١٨



الصحابة وطبقات الفقهاء وطبقات المفسرين والقراء وطبقات المحدثين والحفاظ وطبقات النحاة وطبقات الشعراء وطبقات الصوفية وطبقات القضاة وطبقات الأطباء وطبقات الفلاسفة والحكماء.

وكتاب «تاريخ البخاري» المتوفى سنة ٢٥٦هـ، هو من أقدم الكتب في هذا الجنس، وقد جعله في ثلاثة كتب: كبير مرتب على الحروف، وأوسط مرتب على السنين، وصغير. وهو بالطبع غير كتابه «الصحيح» الذي جمع فيه كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ تزيد على سبعة آلاف حديث كما ذكر المؤرخ ابن حجر.

وقد اشتغل ابن سعد عالم مسلم آخر صاحب كتاب «الطبقات» المتوفى ٢٣٠هـ بجمع طائفة من التراجم الإسلامية في كتاب أسماه «الطبقات» وفي هذا العصر نفسه، كان مصاحباً وكاتباً للواقدي المؤرخ المتوفى سنة ٢٠٧هـ، فاستفاد منه في كتابة التاريخ، إلا أنه خالفه في المنهج، فالواقدي يكتب في «المغازي، وفي «فتوح الشام» وغيرها من الفتوح الإسلامية، وابن سعد يكتب في طبقات الصحابة والتابعين كتاباً ضخماً يعد من أقدم المصادر وأوثقها في تاريخ الإسلام والمسلمين. على رغم من ذلك كتب في السيرة النبوية وفي المغازي جزءين من كتابه، على حين يجعل بقية الكتاب وقفا على تراجم البدرين من الصحابة، وتراجم الأنصار والمهاجرين ممن لم يشهدوا غزوة بدر، وتراجم أهل مكة والمدينة والطائف واليمامة والبحرين والكوفيين والبصريين.

ابن سعد لم يكن غافلاً عن تراجم النساء الصحابيات فجعل لهن جزءاً من طبقاته. على أن الاهتمام بالناحية الدينية وناحية رواية الحديث، والصحبة للنبي عليه السلام والتبعية لصحابته لم تمنع قوماً آخرين من المؤرخين وكتاب الطبقات من الاشتغال بتراجم لغير الصحابة ولغير المحدثين، " فقد رأينا محمد بن سلام الجمعي المتوفى سنة ٢٣١هـ، والذي كان معاصراً للبخاري وابن سعد، يترجم لطائفة من شعراء

الجاهلية والإسلام في كتابه المشهور «طبقات الشعراء»، وقد جمع فيه بين أخبار عن الشعراء وبين مختارات من أشعارهم.<sup>٤٣</sup>

ولقد تأثر مؤلفو هذه الطبقات والتراجم بمنهج المحدثين في رواية الأحاديث، فهم لا ينقلون الخبر مجردا فحسب، بل يذكر الأخبار قائلين: حدثنا فلان عن فلان كما كان يفعل أصحاب الحديث، فهم متأثرون في الإسناد إلى حد كبير. ولقد يزيد الإسناد وتعدد الأسماء فيه على الخبر نفسه. يقول صاحب كتاب السير والتراجم " أن أغلب كتب الطبقات هذه جردت من أسانيد وأسماء رواتها لبلغت أقل من نصف الكتاب الأصلي بكثير. وإليك هذا الخبر من كتاب «طبقات الشعراء»: (أخبرنا أبو خليفة، أخبرنا ابن سلام، حدثني ابن جعدبة وأبو اليقظان، عن جويرية بن أسماء قال: مات كثير وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد، فاحتفلت قريش في جنازة كثير، ولم يوجد لعكرمة من يحملة) وإذا كان في هذا الخبر دليل على كثرة الإسناد من ناحية، ففيه من ناحية أخرى دليل على اهتمام الناس بالشعراء واحتفالهم بهم أحياء وأمواتاً! ولعل هذا مما بعث ابن سلام على أن يؤلف كتاباً في طبقات الشعراء على حين كان معاصروه يهتمون بطبقات الصحابة والمحدثين.<sup>٤٤</sup>

والطبقات وكتب التراجم بدأت بعد ذلك تكثر وتنوع ويقوم بها الكتاب بدافع من أنفسهم واستجابة لدواعي العلم، لا تزلفاً إلى وال، ولا تقرباً إلى أمير. ولا إجابة لطلب طالب، أو رغبة راغب، كما حدث في العصور التالية وخاصة حين وفرت الممالك والدويلات الإسلامية، فاضطر العلماء والكتاب إلى أن يقفوا بأبواب الأمراء يطيعون إشاراتهم بتدوين كتاب معين في موضوع معين. وقد كثر ذلك في العصرين الأيوبي والمملوكي. على أننا نرى في العصور المتقدمة من كتاب التراجم والطبقات من استجاب لرغبة الخليفة نفسه، كما فعل أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩هـ في كتابه «طبقات النحويين واللغويين»، فقد قال في مقدمته أن

<sup>٤٣</sup> نفس المرجع، ص ١٩

<sup>٤٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٠

الخليفة الحكم المستنصر بالله الأندلسي أمره بتأليف كتاب يشتمل على ذكر من سلف من النحويين واللغويين في صدر الإسلام، ثم من تلاهم من بعد إلى هلم جرا ، إلى زمانه ، وأن يطبقهم على أزمانهم وبلادهم بحسب مذاهبهم في العلم ومراتبهم ، وأن يذكر - مع ذلك - موالدهم وأسنانهم ومدد أعمارهم وتاريخ وفاتهم على قدر الإمكان في ذلك ، مع ذكر نتف من أخبارهم وفضائلهم ليكون ذلك شكراً لجميل سعيهم ، وحميد مقامهم . كما نرى في العصور المتأخرة مؤرخين مترجمين مثل ابن تغرى بردى المصري المتوفى سنة ٨٨٤هـ، "يذكر في مقدمة كتابه الضخم في التراجم المسمى «المهمل الصافي» أنه صنّف كتابه هذا «غير مستدعي إلى ذلك من أعيان الزمان، ولا مطالب به من الأصدقاء والخلان، ولا مكلف لتأليفه وترصيفه من أمير ولا سلطان». فهو استجابة ذاتية داخلية من الرجل ليكمل به كتاب «الوافي بالوفيات» لمؤلفه الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ ونرى بعد ذلك في القرن الحادي عشر الهجري مؤرخاً مترجماً كابن العماد الحنبلي المتوفى سنة ١٠٨٩هـ يذكر في مقدمة كتابه المشهور في التراجم «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» أنه جمعه لنفسه تذكرة لمن تذكر، وعبرة لمن تأمل وتبصر وكذلك فعل ابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ حين جعل كتابه «وفيات الأعيان» تذكرة لنفسه.<sup>٤٥</sup>

وفي القرن الخامس كتب أبو النصر العتبي (ت ٤٢٧هـ) سيرة السلطان محمود الغزنوي في كتاب سماه (اليميني) نسبة إلى يمين الدولة، وهو لقب السلطان محمود، بين فيه ترجمته وحياته وحياته وأبيه، وكل ما جرى معه من أحداث، وغلب على كتابه أسلوب السجع.

وقد لقيت هذه السيرة السلطان الغزنوي من القبول في البلاد الإسلامية ما جعل الأدباء يتسابقون إلى شرحها كما صنع الشيخ أحمد المنيني الدمشقي المتوفى سنة (١١٧٢هـ) في كتابه المسمى "الفتح الوهبي على تاريخ أبي نصر العتبي"، وليس هذا الشرح الوحيد لهذه السيرة، فقد شرحها جماعة منهم الكرمانى، والخوارزمي، وابن محفوظ، وحميد الدين.

<sup>٤٥</sup> نفس المرجع، ص ٢١

كتبت عديد من السير في القرن السادس الهجري، كتبها المؤرخ المترجم ابن الجوزي لجماعة من عظماء الأمة الإسلامية، فقد كتب سيرة الخليفة عمر بن الخطاب، أفاض فيها، وذكر كثيرا من أخباره، وفضائله، وأوليائه، وإدارته المملكة الإسلامية، وتدوينه الدواوين، وجري في الأخبار على طريقة الإسناد، وسيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز، وسيرة الإمام أحمد بن حبل.

يقول صاحب السير والتراجم " وقد أراد ياقوت الحموي صاحب « . الأدباء»، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ أن يؤكد لنا في مقدمة معجمه النفيس في تراجم العلماء والأدباء والنحاة والشعراء أنه هذا الكتاب «لفرط الشغف والغرام، والوجه بما حوى والهيام، لا لسلطان أجتديه، ولا لصدر أرتجيه». فكأنه هنا يعرض من طرف خفى بأبي بكر الزبيدي الذي صرح بإفادته من كتابه ونقل فوائده إلى معجمه. ولعل ياقوت الحموي كان يرد ردا غير مباشر على الذين عابوا كتابة تراجم للشعراء والأدباء والنحاة واللغويين بدلا من الترجمة للمفسرين والمحدثين،" <sup>٤٦</sup>

والمؤرخ المترجم ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ قد نبه إلى ضرورة الاختلاف في الترجمة لطبقات الرجال لا فرق بين عالم ومحدث وفقه وأديب فيقول: " رأيت المحدثين تختلف مقاصدهم فمنهم من يقتصر على ذكر الابتداء، ومنهم من يقتصر على ذكر الملوك والخلفاء، وأهل الأثر يؤثرون ذكر العلماء، والزهاد يحبون أحاديث الصلحاء، وأرباب الأدب يميلون إلى أهل العربية والشعراء. ومعلوم أن الكل مطلوب، والمحذوف من ذلك مرغوب." <sup>٤٧</sup>

في القرون السابع والثامن والتاسع قل عدد من السير للأموات السابقين، وحلت محلها سير الأحياء من الملوك وأصحاب السلطان، ومؤسسي الدول، كما ظهرت بجانبها سير العلماء المعاصرين.

<sup>٤٦</sup> نفس المرجع، ص ٢١

<sup>٤٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٢

فكتب ابن شداد (ت ٦٣٢هـ) سيرة السلطان الناصر (صلاح الدين الأيوبي) بكتابه المعروف (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، وكتب محمد بن أحمد النسوي (ت ٦٣٢هـ) سيرة السلطان جلال الدين.<sup>٤٨</sup> نرى ابن عربشاه المتوفى سنة ٨٤٥ هـ يكتب 'عجائب المقدور في أخبار تيمور' وهو سيرة لحياة تيمور لنك ملك تاتار، نهج الكاتب فيه أسلوب السجع ككتاب 'اليميني' الذي سبق الذكر ونرى ابن الشهيد الدمشقي المتوفى ٨٧٤ هـ يكتب "الدار الثمين في سيرة نور الدين" ونرى القاضي الأديب محي الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ يكتب سيرة السلطان خليل بن قالاوون في كتابه 'الألطف الخفية'، من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية" نرى فضلا من هذا عشرات من السير أغلبها للملوك والسلاطين كما سبق الذكر. وقليل منها في سير العلماء والصوفية مثل كتابي ابن حجر المتوفى ٨٥٢ هـ في سيرة السيد البدوي والسيد عبد القادر الجيلاني وكتاب السخاوي المؤرخ المتوفى سنة ٨٠٢ هـ في ترجمة سيخه وأستاذه ابن حجر، وكتاب السيوطي المتوفى في مناقب الإمام مالك والإمام أبي حنيفة.<sup>٤٩</sup>

وتطورت السيرة في العصر الحديث تطورا مذكورا، فألفت سير عديدة للشخصيات الإسلامية البارزة في أسلوب أدبي حيث لفتت هذه السيرة انتباه القراء وورغبتهم إليها. وقدرة الأدب في بعث المشاعر وتحريكها حفظت السيرة من الإهمال والضياع. وقد ساهم كثير من الكتاب في هذا النوع، ومنهم: طه حسين، عباس محمود العقاد، محمد حسين هيكل، أبو الحسن علي الندوي، توفيق الحكيم، محمد غزالي، شوقي ضيف.

## السير والتراجم بين العالم الشرقي والعالم الغربي

وظلت أوروبا عقيما لا ينتج شيئا في كتابة التراجم والسير منذ عصور الظلام التي غشت علمها في القرون الوسطى، على حين أخذ التاريخ الإسلامي يأخذ مكانه في الوجود كما أخذ الإسلام - دين العرب وغير العرب يظهر في كل أرض استظلت بلواء الإسلام. وقد جعل القرآن الكريم الإحساس التاريخي في قلوب العرب

<sup>٤٨</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجا. ص ٥٨.

<sup>٤٩</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٢٩

وبدأت التراجم تظهر منذ القرن الثاني للهجرة، ثم أخذت على توالي عددا من هذا النوع، حتى بلغت من الكثرة في التراث العربي حدا لم تبلغه في أي تراث لأمة أخرى معروفة التاريخ في القديم والحديث. وليس هذا الكلام يلقي هنا من غير تدليل ولا تمثيل.

فقد ظلت إنجلترا على حالها حتى ثبتت قدمها في فن التراجم معطلة في هذا الباب عشرات من القرون، إلى أن ظهر صمويل بيبس ١٦٣٣ - ١٧٠٣ م فكتب يومياته ومذكراته التي يعتبرونها أول خطوة في كتابة التراجم الذاتية وما تلاها من أنواع التراجم. وظلت فرنسا كذلك إلى أن ظهر في القرن السابع عشر أيضاً المؤرخ ريتز فألف مذكراته سنة ١٦٧٢.

فحين بدأ فن التراجم يظهر في إنكلترا وفرنسا بصورة بطيئة كانت التراجم العربية الإسلامية قد وصلت حداً من الكثرة والتنوع وسعة المجال والافتنان في موضوعات التراجم لا يتمكن القياس به بداية غير منتظمة الخطى في الآداب الأوروبية. في القرن الثاني عشر الميلادي كان كتاب «الاعتبار» للفارس العربي المسلم أسامة بن منقذ ٤٨٨ - ٥٨٤ هـ يعتبر نموذجاً عالياً للمذكرات والتراجم الذاتية قبل أن يكتب بيبس الإنجليزي وريتز الفرنسي مذكراتهما بقرون. وفي القرن نفسه كان الشاعر عمارة اليمنى يؤلف كتاب «النكت العصرية» ويترجم فيه لنفسه كما يترجم لغيره من الوزراء ورجال الحكم في أخريات العصر الفاطمي. وفي القرن الثالث عشر الميلادي كان كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ يسجل كسباً رائعاً في ميدان التراجم للرجال على اختلاف ألوانهم وثقافتهم، فعلى حين كان يفخر مؤرخو الآداب الغربية بكتاب بلوتارك الذي جمع فيه ستاً وأربعين ترجمة إغريقية ورومانية كان ابن خلكان يمتلئ بقرابة ثمانمائة ترجمة جمعت إلى ضبط الوفيات الدقة في الترجمة لم يكن يعرفها الغرب ذلك الحين، مع تقديم كل ما يعين من المعلومات على تكوين صورة صحيحة للمترجم له في غير إسراف ولا تهويل.<sup>٥٠</sup>

<sup>٥٠</sup> نفس المرجع، ص ١٢

وحين ظهرت في إنكلترة عددا من التراجم التي تعد على أصابع اليد، والتي كتبها إيزاك والتون في القرن السابع عشر كانت كتابة التراجم قد بلغت قممها في الآداب العربية قبل ذلك بزمن طويل في أخريات العصر العباسي وفي العصرين المملوكي والعثماني، وظهرت تلك المجموعات ذات قيمة تاريخية من كتب التراجم التي تترجم للرجال على اختلاف طبقاتهم، وترجم للقرون مائة فمائة، وترجم للبلدان وأعلامها، وترجم لألوان من الناس تجمعهم صفة واحدة - كتراجم العميان، أو تراجم المسمين باسم متفق - وتفنت في ترتيب التراجم منها التراجم حسب العصور والتراجم لسنة لسنة وطبقات الصحابة وطبقات الفقهاء وطبقات المفسرين والقراء وطبقات المحدثين والحفاظ وطبقات النحاة وطبقات الشعراء وطبقات الصوفية وطبقات القضاة وطبقات الأطباء وطبقات الفلاسفة والحكماء.

والحق أن التراجم العربية الإسلامية قد فاقت - من حيث تنوعها وكثرتها وأسلوبها في ترتيب الأعلام المترجمة، وطريقتها البديعة في تبويب موضوعات التراجم والاهتمام بها حتى في كتب التاريخ العام وكتب الشروح اللغوية، والترجمة لأعيان كل بلد أو كل مدينة في كتاب واحد، والترجمة لأعلام النساء بجانب أعلام الرجال، ودقة في تحقيق تاريخ والمولد الوفيات والمواليد قدر ما سمحت به ظروف حياتهم الاجتماعية، والاستشهاد والاستدلال بأثار المترجم لهم في الشعر والنثر، وضبط الأعلام وتحقيق المتشابه منها - قد فاقت في كل ذلك غيرها من التراجم في الآداب الأخرى في القديم والحديث.<sup>51</sup>

فما علمنا في تاريخ التراجم العالمية عناية بضبط الأعلام كما في كتب التراجم العربية، حتى لقد كتبت في ذلك كتب كثيرة قائمة بذاتها كما سبق الذكر. وإذا كان للكتابة العربية وطريقتها في القديم صعوبة في فهم الحروف العربية طراً على الأعلام من وهم أو اشتباه مثل أعلام الشعراء: حباب، جناب، خباب، فإن كتاب التراجم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه المشكلة الطارئة من رسم الحروف، فصنفوا كتباً ومعاجم للتراجم تزيل الوهم، وتصحح الاسم، كما فعل الأمدى المتوفى سنة ٣٧٠ في كتابه "المؤتلف والمختلف".

<sup>51</sup> نفس المرجع، ص ١٢

من تمام الحق في قضية التراجم بين القديم والحديث، وبين العرب والفرنجة أن يذكر هنا مع الإعجاب ذلك المنهج الصحيح الذي اصطنعه الأوروبيون بأخرة من الزمان في الترجمة للرجال. وقد بدأ ذلك المنهج يستقيم ومعالمه منذ القرن الثامن عشر، أو بعبارة أخرى منذ ألف جونسون كتابه «حياة الشعراء، ومنذ ألف بورويل كتابه «حياة الدكتور جونسون، الذي يعده مؤرخو الآداب العالمية مفرداً في بابيه، كما يعدونه رائعة من روائع التراجم على اختلاف العصور.

وأخذت التراجم والسير منذ القرن الثامن عشر تتأثر بالتطور والتقدم العالمي الجديد في ميادين السياسة والتجارة والصناعة. فجعلت الديمقراطية الناس سواء لا تفضل أحداً على أحد حين يترجم لصغيرهم وكبيرهم بغض النظر عن مكانهم، واختلفت تلك النظرة من النظرة المقدسة للملوك حين يترجم لهم على أنهم وحدهم هم الناس - أو فوق الناس، واستحدثت أساليب جديدة في التراجم تلائم روح العصر وتطوره في الكتابة والتفكير السياسي والاجتماعي، وعزز نمو الحاسة التاريخية على أن تكون الترجمة أو السيرة صورة صادقة للمترجم له تعتمد على أعماله وأقواله التي يكون مجموعها تاريخ حياته، وظهرت منذ ذلك الحين روائع في الترجمة، وكسيرة جليج، لولنجتون، «وحياة نلسون، لسودي، «وحياة ولترمكوت» لاوكهارت. و «حياة شارلوت برونتي \* لمسز جاك، و «الماكة فكتوريا» لمؤرخ ستراتشي الذي يعد أبا التراجم في العصر الحديث، والذي جمع في طريقته بين التفسير التاريخي واللمسة الفنية، و «بسمارك» و «نابليون» لأميل لدفيج و «حياة شيلي» و «بيرون» لأندرية موروا، وله في كتابة التراجم محاضرات قام بإلقائها في جامعة كمبريدج سنة ١٩٢٨ وجمعت في كتاب لا يستغنى عنه مؤرخ للتراجم والسير في العصر الحديث.

ولقد بدأت التراجم والسير العربية في القرن العشرين تنزع عنها أساليب القدم، وتخرج عن ذلك النهج الرتيب الذي سارت عليه خلال عصور التاريخ الإسلامي، وتجد في أساليب الفرنجة في ذلك الفن متجهاً تسير نحوه وتتابع خطاه، ولم تعد الترجمة نقلاً لنصوص قديمة، وجمعاً لطائفة من المعارف في غير تبويب ولا تحليل ولا تركيب.



ولقد ظهر هذا التحول في كتابة التراجم في الأدب العربي الحديث في الثلث الثاني من هذا القرن، فظهرت «العبقریات، وطائفة أخرى من التراجم للأستاذ عباس محمود العقاد، وظهرت سير أبي بكر وعمر بن الخطاب للدكتور محمد حسين هيكل، وظهر «عنان» و «على وبنوه» للدكتور طه حسين، وأخذت شخصيات التاريخ الإسلامي من الصحابة والتابعين والخلفاء والقواد والملوك والولاة والعلماء والأدباء تكتب بأقلام في أساليب جديدة، تستمد حقائق التاريخ من قديم المصادر وعتيق المراجع. وأكثرت تعرضها في طبق شهي غير الطبق الذي أشار إليه المؤرخ سترتشي! وتحللها على أضواء من علم النفس، وتبين في ذكاء ووعي أثرها في البيئة التي أخرجتها وأثر البيئة فيها، وتصور العوامل الفعالة المشتركة بين المترجم له وعصره حتى يتضح أثر كل منهما في صاحبه.

واستقام المنهج لكتاب التراجم العربية المحدثين حتى وهم يترجمون لحياة الفقهاء والأئمة من رجال الدين ، فلم تعد الترجمة الإمام الشافعي مثلا سردا لأقوال العلماء والرواة فيه ، أو حشدا لمجموعة من أخباره أو رصفا للطائفة من أقواله وآرائه ، ولكنها صارت دراسة البيئة الإمام ، وفقها لمذهبه ، وتصويرا لحياته من خلال الأخبار المروية عنه ، وتحليلا الظروف التي أحاطت به مولدا ونشأة وتعلما، ومدى أثرها في تقويم شخصيته ، وكسب خبراته ، ونشر مذهبه ، وظفر فن التراجم العربية في هذا السبيل بطائفة طيبة من تراجم الأمة للأساتذة الشيخ محمد أبو زهرة ، وعبد الحلیم الجندي، وأمین الخولي . والشيخ محمد أبو زهرة كتب في تراجم "مالك" ، "وابن حنبل" "الشافعي" ، "وأبو حنيفة" ، "ابن تيمية" ، "ابن حزم". وللأستاذ عبد الحلیم الجندي ترجمة طيبة لأبي حنيفة. وللأستاذ أمين الخولي ترجمة تحليلية للإمام مالك.<sup>٥٢</sup>

إن حياة العظماء وحدهم ليست جديدة بأن تثير اهتمام كتاب التراجم والسير أكثر من اهتمامهم بالعاديين من الناس، وقد غيرت النظرة الديموقراطية من هذا الرأي، وأصبح نصيب الرجل المواطن المكافح من الترجمة أوفى من نصيب الملوك والحكام في العصور الوسطى. ولقد سبق كتاب التراجم المسلمون غيرهم في

<sup>٥٢</sup> نفس المرجع، ص ١٥

هذا الباب، فترجموا للملوك كما ترجموا لعامة الناس على حد سواء.. وترجموا للمبصرين كما ترجموا للعميان. كما صنع الصفدى المتوفى ٧٦٤هـ - وترجموا للكرماء كما ترجموا للبخلاء. كما فعل الحافظ أبو

بكر الخطيب.<sup>٥٣</sup>

---

<sup>٥٣</sup> نفس المرجع، ص ١٦

## الفصل الثالث

### أدبيات السيرة الغيرية

#### السيرة بين العلم والفن

يعتبر كثير من الباحثين أن السيرة والتاريخ فنان، غير أن السيرة هي أكثر فنية من التاريخ. يذكر صاحب الكتاب "التراجم والسير" " ولم تعد الترجمة نقلاً لنصوص قديمة، وجمعاً لطائفة من المعارف في غير تبويب ولا تحليل ولا تركيب. والحق أن العبرة ليست بجمع الحقائق عن المترجم له، ولكن المهم هو عرضها آنق عرض والمواءمة بينها في فن وحذق."<sup>٥٤</sup> كذلك ما ذهب إليه سترتشي المؤرخ الإنجليزي وكاتب التراجم المشهور يقول: " من الواضح أن التاريخ ليس علماً، ومن الواضح كذلك أنه ليس حشداً للحقائق، ولكنه رواية لها إن الحقائق التي تتصل بالماضي إذا ضم بعضها إلى بعض بغير فن فإنها لا تعدو أن تكون جمعاً وتصنيفاً، والتصانيف بغير شك قد تكون ذات نفع، ولكنها لا تسمى تاريخاً إلا إذا استطعنا أن نسمى مواد الزبدة والبيض والبقدونس طبقاً من العجة."<sup>٥٥</sup>

وكلما كانت السيرة - في قسمها الذاتي واللغوي - أكثر أناقة وعناية بالثوب البلاغي الذي تلف فيه كانت أقرب إلى الأدب منها إلى التاريخ.<sup>٥٦</sup> يرسم أحمد أمين خطاً بين التاريخ والسيرة من جانب أدبيتهما وهو يقول " أما الإسراف في الصورة الأدبية والمبالغة في الفن يجعل السيرة بعيدة عن الحقائق والواقع. وكتب التاريخ قد تعد أدباً وقد لا تعد، فإذا كان كتاب التاريخ لا يشتمل إلا على حقائق مجردة من العواطف ومستندة فقط على الوثائق والإحصاءات لم يعد أدباً. أما إذا مزج فيه المؤرخ حقائقه بعواطفه، وضحك أحياناً وبكى

<sup>٥٤</sup> نفس المرجع، ص ١٤

<sup>٥٥</sup> نفس المرجع، ص ١٤

<sup>٥٦</sup> نفس المرجع، ص ٩

أحيانًا، وأتبع الحادثة برأيه فيها، وأكمل بخياله ما نقص، وبعث عند القارئ ما حمسه أو خذله كان أدبًا بمقدار ما فيه من عاطفة.<sup>٥٧</sup> فالسيرة الغيرية تنصف بالبناء الفني المحكم من جانبين:

والجانب الأول: أن يكون الصلة بين جملها وفقراتها قويا منسقا، فلا يقع فيها انقطاع أو فجوات، فيجب أن تكون رواية الأحداث مسلسلة تسلسلا منطقيًا، والعبارات والفقرات منسقة ومترابطة ومحكمة، فالسيرة الغيرية قصة حياة فرد بعث من جديد، فيجب لكاتبها أن يطلع إلى وراء الأحداث، والمواقف، تظهر فيها براعته في تصوير تلك الأحداث، والوقائع في أسلوب فني جميل، فالوقوف على ما وراء المواقف والأحداث من أهداف ودروس، أمر في غاية الأهمية لا بد إظهاره في السيرة الغيرية حتى تخرج عن نطاق التاريخ، فلا يصح الاهتمام بالظاهر فحسب، فهناك أمور مبطنة يجب إبرازها، فعلى الكاتب أي يقرأها بين السطور وأن يكون لديه قدرة على التحليل النفسي.<sup>٥٨</sup>

الجانب الثاني: في نقل الأحداث والمواقف كما هي في الواقع والتاريخ، وذلك من خلال عدة قضايا، منها التطابق بين السرد والشخصية الرئيسية، وفي كيفية تحليل الشخصية ورسمها من أجل كشف أعماقها، فكاتب السيرة الغيرية ليس أمامه إلا أحداث في أكثر الأحيان، ومنها ما يتعمق إلى الداخل، أو يقدم الشخصية من الداخل إلى الخارج.

فيعتمد كاتب السيرة على الوثائق والمذكرات والرسائل والإنتاج الأدبي وغيرها، في تفاصيل حياة المترجم عنه من أجل الوصول إلى وصف كامل عن حياته، وما مر به من أحداث وشواهد كان قد شهدها.

## السيرة والخيال

أن الخيال " هو قوة تتصرف في المعاني لتنتج منها صورًا بديعة وهذه القوة إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها عن طريق الحس أو الوجدان، فليس في إمكانها أن تبدع شيئًا من عناصر لم يسبق

<sup>٥٧</sup> أمين، أحمد. النقد الأدبي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢. ص ٣٠.

<sup>٥٨</sup> علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجًا. ص ٤٨.

للمتخيل معرفتها.<sup>٥٩</sup> عرف أحمد أمين الخيال "هو الكوة التي نستطيع بها تصور الأشخاص والأشياء والمعاني ونمثلها شاخصة أمام من نخاطبه ونستثير مشاعره."<sup>٦٠</sup> وكذلك هو يذهب إلى أن عنصر الخيال وهو ضروري في كل أنواع الأدب وبدونه يكون من المستحيل في أغلب الأحيان أن تستثار العاطفة. يرى أحمد شائب أن الخيال لغة العاطفة ووسيلة تصويرها من ناحية الأديب وبعثها في نفس القارئ. الخيال من عناصره التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل.<sup>٦١</sup>

أما الخيال في السيرة، فليس حر طليق ولكنه مقيد بالوثائق والبيانات والوقائع التي حدثت واقعيًا، ودوره ينحصر في إعادة الوقائع وتشخيصها، وإمام بالعلاقات الخفية والظاهرة بين جزئياتها كما عرفت، فالسيرة جمع متعادل بين حقائق التاريخ، والقوى المتخيلة البارعة في الحذف والإثبات والبناء، وليس من نصيب كاتب السيرة اختلاق شخصيات مهما كانت ثانوية، واختراع أحداث لسد الثغرات والفجوات، إلا ولها صلة مهما كانت ضئيلة بمصادرة التي اتخذ منها مادته.<sup>٦٢</sup> وإذا دخل الخيال السيرة بلا قيد وهي السيرة الرواية التاريخية.

إن الخيال في السيرة مقيد والخيال في الرواية التاريخية طليق. وهذا بسبب الفرق بين السيرة والرواية التاريخية في غايتها فالغاية في السيرة هي رسم حياة متكاملة لشخصية من الشخصيات كما هي، "من الفروق بين السيرة والرواية التاريخية، أن السيرة تتناول قصة حياة فرد محدد بموضوعية معتمدة على السماع والمشاهدة والكتب والشواهد والوثائق، أما الرواية التاريخية فهي فن خيالي يصنعه المؤلف مع استناده إلى التاريخ في أسلوب الرواية وتختلف الرواية التاريخية عن السيرة من حيث الغرض الذي تتوقعها كل منهما. فالغرض في القصة التاريخية ليست عرض حياة متكاملة لشخصية من الشخصيات، كما هو

<sup>٥٩</sup> د. المجيد، عبد. "عناصر الأدب". الأدب العربي. ٢١-٢٣-٢٠٢٣. <http://www.arabiconweb.com/2014/03/blog-post.html>.

<sup>٦٠</sup> أمين، أحمد. النقد الأدبي. ص ٣٣

<sup>٦١</sup> الشايب، أحمد. أصول النقد الأدبي. ط ٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٢. ص ٢٤٨.

<sup>٦٢</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والمتخيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجاً. ص ٣٢.

الشأن في السيرة الروائية، وإنما غرضها أن تستعيد حياة الماضي؛ لإثارة الموازنة بينها وبين الحاضر، أو لإثارة شيء من العبرة أو المتعة في نفوس القراء ربما لم تهيأ لهم ظروفهم أو ميولهم القراءة الجادة للتاريخ، لكنهما تتفقان في قصد الكشف عن حقيقة إنسانية، أو معنى من معاني السلوك الإنساني.<sup>٦٣</sup>

## السيرة والعاطفة

العاطفة هي حالة شعورية تندفع ن النفس البشرية إثر انفعالها بحدث تراه أو تسمعه، أو بمشهد يؤثر فيه في أغلب الأحيان وهي تقابل العقل ولا تقره وهي العنصر الذي يدفع إلى التعبير ولكن هي بذاتها ليست العمل الأدبي. وهذه العاطفة هي التي تعطي الأدب الصفة التي نسميها بالخلود فنظريات العلم غير خالدة لأن العلم يتغير بتغير الزمان والتطور العقلي عند البشر. أما العاطفة فلا تتغير إلا قليلاً، وإذا تغيرت تغيرت في أشكالها دون أساسها، مثلاً عاطفة الحزن والإعجاب والسرور لا وأنواع من العاطفة.

الكتاب يعبر عن فكرة وهو ما يسمى علماً، فإذا كان عند الكاتب عاطفة وفكرة ثم أدهما إلى القارئ كان ذلك أدباً، إلا أنه إذا كانت الأفكار هي الغرض الأول من الكلام ودخلت العاطفة لتبعث في الأفكار روعة وقوة كان الناتج أدباً عاماً كالتاريخ والنقد. وأما إذا كانت العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سند لها فإننا نظفر بأدب خاص يعد من الفنون الرفيعة كالشعر والنثر القصصي<sup>٦٤</sup>

العاطفة هي التي تجعل السيرة أدباً يقول أحمد أمين "وكتب التاريخ قد تعد أدباً وقد لا تعد، فإذا كان كتاب التاريخ لا يشتمل إلا على حقائق مجردة من العواطف ومستندة فقط على الوثائق والإحصاءات لم يعد أدباً. أما إذا مزج فيه المؤرخ حقائقه بعواطفه، وضحك أحياناً وبكى أحياناً، وأتبع الحادثة برأيه فيها، وأكمل بخياله ما نقص، وبعث عند القارئ ما حمسه أو خذله كان أدباً بمقدار ما فيه من عاطفة."<sup>٦٥</sup>

<sup>٦٣</sup> نفس المرجع، ص ٣٣

<sup>٦٤</sup> الشايب، أحمد. أصول النقد الأدبي. ص ٢٤١.

<sup>٦٥</sup> أمين، أحمد. النقد الأدبي. ص ٣٠

فالسيرة أكثر فنا من التاريخ لأن السيرة تركز على الفرد وتعزله عن مجتمعه وتنظر إلى حياة المترجم له نظرة مستقلة بينما التاريخ ينظر إلى حياة المترجم له في نطاق المجتمع وتبين أعماله متصلة بالأحداث العامة. السيرة تعرض الشعور والأحاسيس التي جربها المترجم له في مراحل الحياة المختلفة.

وطائفة من كتاب السيرة يرون أن السيرة تحتاج إلى مأساة حزينة تبدأ السيرة بها أو تختتم بها حتى تصبح فنا جميلا وطائفة آخر يرون أن السيرة لا تحتاج إلى مأساة حزينة لتكون فنا جميلا "وقد فطن كُتاب التراجم اليوم إلى أنه ليس من الضروري أن تكون حياة المترجم له مأساة حزينة المبدأ أو الختام حتى تكون الترجمة قطعة من الفن الجميل وعلى الرغم مما قاله أسكار وايلد من أن حياة نابليون بونابارت قد تكون حياة عادية خالية من الجمال لو لم تختتم بهذا الختام المحزن في سانت هيلين، وعلى الرغم من مأساة الحياة المضطربة العائرة التي عاشها أسكار وايلد فإن المترجم البارع الصانع قد يخلق بفنه الأدبي من الحياة العادية ترجمة رائعة لأناس لم تهزم مآسي الحياة.

وفي التراجم والسير العربية كانت حياة الشهيد علي بن أبي طالب والشهيد الحسين عليهما السلام مثاراً لتراجم رائعة في الأدب الشيعي قديماً، وعند طه حسين، والعقاد، وعبد الفتاح عبد المقصود في العصر الحديث، ولكن هؤلاء لم يحتاجوا إلى مأساة حزينة ومصارع باكية ليترجموا لغير الشهيد من أمثال أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد.<sup>٦٦</sup>

## تداخل السيرة مع الفنون الأخرى

عرف الأدب العربي فن السيرة قديماً على الرغم من قدامته لها علاقة وطيدة مع تداخله بالفنون الأخرى إن ظهور الأنواع القصصية المتنوعة استناداً على الحكاية يعود أساساً إلى قانون تفكك الأجناس الأدبية إلى أنواع ومحاولة تخليق وجود خاص يرتبط بالأصل بوشائج معينة. ذلك من طبيعة التقدم والتطور كما أنه

<sup>٦٦</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ١٥

يأخذ من علوم كثيرة فكتلا ظهر علم النفس قديما كما ظهر علم الاجتماع ثم ظهر في الحديث علم النفس الاجتماعي.

كان تطور الفنون القصصية تطورا واضحا عند العرب في العصر الحديث فظهرت الرواية والقصة القصيرة والقصيرة جدا كما أخذت السيرة حدودا جديدة لها ونهجت منها جديدا يختلف من منهج المتقدمين في السيرة وكذلك تأثرت السيرة بالبيئة الجديدة التي تقوم فيها. للسيرة علاقة وطيدة بفنون عدة كالرواية والقصة والرواية التاريخية من حيث التزامها بالحقيقة التاريخية وكان صاحب السيرة يجمع المعلومات التاريخية ثم ينسقها وينمقها ثم يجمع العنصر الأدبي والعنصر التاريخي. للتعرف على علاقة بين السيرة ومع ما يشبهها من أنواع الأدب لا بد من التعرف على مفهوم كل نوع على الحدة.

## السيرة والرواية

عرف النقاد الرواية هي فن أدبي نثري طويل يعتمد الكاتب على الخيال وهو تركيب تناسقت فيه مجموعة من العناصر فيما بينها وفقا لعلاقات معينة وتجري خلال تسلسل أحداث معلوم لوصف تجربة إنسانية ضمن إطار من التشويق والإثارة تعكسه مجموعة من الشخصيات في بيئة معينة. وبذلك نلتمس نوع العلاقة، بين الرواية والسيرة عبر اشتراكهما في العناصر الرئيسية الإنسان والزمان والمكان، وأكثر من ذلك اشتراكهما بالقصة أو الطابع القصصي.<sup>٦٧</sup>

لقد ذهب بعض الكتاب إلى اعتبار السيرة نوعا من الرواية حيث يشرح لنا عبد القادر الشكري المبخوت يقول " تظل السيرة الذاتية على ما فيها من خصائص شكلا روائيا."<sup>٦٨</sup>

يرى عبد الله الدايم تأثرت السيرة بالرواية واتخاذها أسلوب الرواية حدث بتطور الأدب العربي يقول بدأ كتاب السيرة في القرنين التاسع عشر والعشرين أن يستخدموا الأساليب الفنية الروائية وهذه طريقة من

<sup>٦٧</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجا. ص ٣٣

<sup>٦٨</sup> الحسنات، مريم حماد عليان السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي. ص ٣٣.



الطرق في معالجتها هو بلا ريب أحفل بالعناصر وأكثر إظهارا لقدرة المترجم لنفسه.

يثبت عبد العزيز شرف علاقة السيرة بالرواية ارتباطها الوطيد بالسيرة يقول "فإن فن التراجم يحتاج إلى قدر لا بأس به من الفنية الروائية، التي يظهر بها الأشخاص وكأنهم أحياء يتحركون على مسرح الحياة، ويغدون ويروحون بما يختلج في نفوسهم من نوازع الإنسان الخيرة والشريرة، التي تتم بها صورة الكائن الإنساني الحي".<sup>٦٩</sup>

كاتب الرواية يستند على خياله في بناء الشخصيات والزمان والمكان والبيئة وقد يخلق الأحداث من عنده ليثير القراء. أما كاتب السيرة فيعتمد على الوثائق والبيانات والوقائع التي حدثت فعلا، ودوره ينحصر في إحياء الوقائع وتشخيصها، وإدراك العلاقات الخفية والظاهرة بين جزئياتها كما عرفت.

### السيرة والرواية التاريخية

إن الرواية التاريخية هي نوع من أنواع الرواية الحديثة تصور بشكل كبير عن الواقع التاريخي والتطور والتقدم لدى المجتمع والإنسان ضمن إحياء الأحداث التاريخية وإعمال الخيال الروائي فيها. وضعت تعريفات عدة للرواية التاريخية ليس من اليسير أن يضع تعريفا دقيقا في الدراسات الإبداعية لذا فقد تم الاتفاق على أن الرواية التاريخية عمل فني يتخذ من التاريخ مادة للسرد ولكن النقل دون حرفي، حيث تصور الرواية مفهوم الكاتب عن المرحلة التاريخية أن تصير عن المجتمع في العصر الذي يعيش الروائي ولكنه يتحد من التاريخ حجة وشكلا مغيارا للحكاية. عرف الكاتب سعيد يقطين هي "عمل سرديا يرمي إلى إعادة بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلية".

على رغم من وجود نقاط الاتفاق بين السيرة والرواية التاريخية فهناك فروق بينة تتميز بينهما مثل الخيال الذي يعتبر في القصة التاريخية حر طليق، وكذلك ابتداء الأحداث واختلاق الشخصيات، ويختلط كل ذلك

<sup>٦٩</sup> شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. ص ٢١.

بشيء من التاريخ، يقوم على الفهم العام لروح العصر الذي يتخذ منه الكاتب مادة قصته، ولطبيعة ناسه؛ ذلك أن القصة التاريخية تستند إلى استيحاء التاريخ، وإمساك الصدق في التعبير عن طبيعة الزمان والمكان، دون التباس للحقائق الكبرى والأحداث الهامة.

أما الخيال في السيرة، فليس حر طليق ولكنه مقيد بالوثائق والبيانات والوقائع التي حدثت واقعيًا، ودوره ينحصر في إعادة الوقائع وتشخيصها، وإمام بالعلاقات الخفية والظاهرة بين جزئياتها كما عرفت، فالسيرة جمع متعادل بين حقائق التاريخ، والقوى المتخيلة البارعة في الحذف والإثبات والبناء، وليس من نصيب كاتب السيرة اختلاق شخصيات مهما كانت ثانوية، واختراع أحداث لسد الثغرات والفجوات، إلا ولها صلة مهما كانت ضئيلة بمصادرة التي اتخذ منها مادته.<sup>٧٠</sup> وإذا دخل الخيال السيرة بلا قيد وهي السيرة الرواية التاريخية.

إن الخيال في السيرة مقيد والخيال في الرواية التاريخية طليق. هذا بسبب الفرق بين السيرة والرواية التاريخية في غايتها فالغاية في السيرة هي رسم حياة متكاملة لشخصية من الشخصيات كما هي، "من الفروق بين السيرة والرواية التاريخية، أن السيرة تتناول قصة حياة فرد محدد بموضوعية معتمدة على السماع والمشاهدة والكتب والوثائق، أما الرواية التاريخية فهي فن خيالي يصنعه المؤلف مع استناده إلى التاريخ في أسلوب الرواية وتختلف الرواية التاريخية عن السيرة من حيث الغرض الذي تتوقعها كل منهما. فالغرض في القصة التاريخية ليست عرض حياة متكاملة لشخصية من الشخصيات، كما هو الشأن في السيرة الروائية، وإنما غرضها أن تستعيد حياة الماضي؛ لإثارة الموازنة بينها وبين الحاضر، أو لإثارة شيء من العبرة أو المتعة في نفوس القراء ربما لم تهيأ لهم ظروفهم أو ميولهم القراءة الجادة للتاريخ، لكنهما تتفقان في قصد الكشف عن حقيقة إنسانية، أو معنى من معاني السلوك الإنساني."<sup>٧١</sup>

<sup>٧٠</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والمتخيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجاً. ص ٣٢.

<sup>٧١</sup> نفس المرجع، ص ٣٣.

لو كثر أو قل الفرق بين الروائي والمترجم - من حيث القدرة على كشف الرجال على حقيقتهم - ومهما كان من خلاف في الرأي، بين أندريه موروا كاتب السير الفرنسي المعاصر، ومستر فورستر الروائي من أهل هذا الجيل، فإن فن السيرة يحتاج إلى قدر لا بأس به من الفنية الروائية التي يظهر بها وكأنهم أحياء يعيشون أمام الناس على مسرح الحياة، ويغدون ويروحون بما يضطرب في نفوسهم من نوازع الإنسان الخيرة والشريعة التي تتم بها صورة الكائن الإنساني الحي.<sup>٧٢</sup>

---

<sup>٧٢</sup>حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ١٠

## الفصل الرابع

### أهداف السيرة الغيرية وشروطها

#### أهداف السيرة الغيرية

إن السيرة نوع من أنواع الأدب وجنس من أجناسه، يهدف إلى ما يهدف إليه الأدب، فالأدب – كفن جميل – واجبه الأول أن يسهم بكل ما يستطيع في إعلاء الإنسان عقلا ووجداناً، وخلقاً وسلوكاً، ونفساً وروحاً، وأملاً وطموحاً وإنتاجاً وعملاً. وكذلك تجب على السيرة الغيرية أن تسعى لتحقيق الهدف نفسه، وأن يكون لها دور في تطوير أفكار وأعمال الفرد والمجتمع معا نحو الأفضل.

وكتب السيرة يعود إلى الوثائق والمدونات والمشاهدات والأسانيد القاطعة، ويظهر ما فيها من الخصائص وآراء ومبادئ وأفكار لا ينبغي للإنسان أن يعيش معرضاً عما حدث في الماضي بل لا بد من أن يرجع إلى التاريخ فيه عبرة وعظة للأجيال المتوالية، فمعرفة الماضي هي السبيل لتشخيص الحاضر ولتنظيم المستقبل.

استفادة الناس بالسيرة يختلف من كاتب السيرة إلى آخر حسب شخصيته وتكوينه وتوجهه الأيديولوجي قد يركز كاتب السيرة على أحد جوانب الحياة للمترجم له حسب رغبته أو هدفه منها ومنهم من يركز على الجوانب السياسية ومن يركز على الجوانب الاجتماعية والنفسية بعضهم يركز على الحياة الوظيفية. كذلك يختلف استفادة الناس حسب شخصية المترجم له وأيديولوجيته. من كان يريد أن يتخذ عبرة في السياسة ينبغي له أي يقرأ سيرة السياسيين.

بعض كتب السير الغيرية تعطي صورة جميلة عن المترجم له ولكنها صورة بعيدة كل البعد عن الواقع بشهادة من عاشوا معه، فيفشل الكاتب فشلاً مدوياً، وقد تكون السيرة المكتوبة قصصاً مسيلة يتمتع الناس بقراءتها ولكنهم لا يصلون على الفائدة المرغوبة.

ولو تصفح بعض السير الغيرية التي كتبت بيد الأدباء المسلمين في العصر الحديث، نلاحظ أن كل سيرة لها هدف أم مجموعة من الأهداف تسعى لتحقيقها، فالسيرة لها أبعاد متعددة تختلف من كاتب لآخر، حسب تكوينه النفسي وتوجهه الأيديولوجي ودوافع كتابته للسيرة، ومن هذه الأبعاد:

## البعد التربوي

إذا تتبعنا التاريخ الإسلامي نرى كان هدف من كتابة سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام تربويا تعليميا لو كانت في ظاهرها سردا تاريخيا غير أننا نلاحظ أن كثيرا ما ابتعدت السيرة عن هذا الأصل التاريخي حين أصبحت غايتها تعليمية أو أخلاقية<sup>٧٣</sup> إذن لم يكن قصد كتابة سيرة الرسول ﷺ والصحابة الكرام تدوين التاريخ الإسلامي. وكذلك إذا تأملنا أهداف كتابة السير العلماء والفقهاء والأدباء والمتصوفة في التاريخ الإسلامي يلاحظ أن أهدافها وغايتها ليست بعيدة عن ذلك، حيث كان إظهار النماذج والقذوة الحسنة وإبراز أفضل ما تلك الشخصيات البارزة من الصفات المحمودة. الغاية منه تربية الأجيال وتعليمها ومن ثم بناء أمة قادرة على قيادة الأمم وهدايتها.

كان الغرب كانوا قديما يهدفون بكتابة سير العظماء التعليم ذكرها عبد العزيز شرف في كتابة أدب السيرة الذاتية حيث يقول "أول من قال باستخدام السير في تعليم التاريخ للمبتدئين كان جاك روسو". يرى أنصار السيرة أنها تصلح لتدريس لأسباب محددة:

أولا: أن دراسة حياة الإنسان الفرد أبسط من دراسة من القبيلة أو المدينة أو الأمة التي ينتهي إليها.  
ثانيا: أن للأطفال ميلا طبيعيا نحو الشخصيات، فهم يعيشون مع أبطالهم ويقاسمونهم، وبذلك تتسع دائرة خبراتهم.

ثالثا: تخلق معرفة الشخصيات العظيمة البارزة في التاريخ رغبة في الاقتداء بهم.

<sup>٧٣</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ١٢

رابعاً: أن من ممكن أن نجعل الأفراد يمثلون الجماعات، بحيث تكون دراسة لخصائص الأفراد وخبيراتهم، وبالتالي دراسة لخصائص الجماعات وخبيراتها أيضاً.<sup>٧٤</sup>

من طبيعة الإنسان الميل إلى الحكايات والقصص كذلك من طبيعته الميل نحو الشخصيات النبيلة ويحاول أن يقتدي بقوتهم المثلى لذلك نرى كتاب المسلمين منذ العصور السابقة يركزون على الشخصيات العظيمة في التاريخ والتي كان لها أثر بالغ في تغيير مسارات الأمة الإسلامية كعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز والخلفاء الراشدين والصحابة رضوان الله عليهم مثل مبشرين بالجنة والحفاظ والعلماء والفقهاء كالشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية وغيرهم وإظهار أعمالهم على مرور الزمن.

## البعد الأخلاقي

البعد الأخلاقي يرتبط ارتباطاً شديداً بالبعد التربوي ولو رجعنا إلى السير عند المسلمين نرى كانت الغاية الأخلاقية موجودة في نشأة التاريخ وسير المسلمين فإن القرآن الكريم وهو الذي عمق الإحساس التاريخي عند العرب لما قص عليهم قصص الأمم السابقة وحين وصلهم بالأمم وجعل تاريخ الخلقية مجالاً لنظرهم كان هدف القرآن حين فعل ذلك كله إثارة العبرة في نفوسهم<sup>٧٥</sup> وكذلك هدف إلى حث على تمسك بالفضائل والأخلاق الحسنة وصالح الأعمال.

بين عباس محمود العقاد صاحب عبقرية عمر في مقدمة الكتاب غرضه من كتابة عبقرية عمر حيث يقول " كتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ عصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسة لأطواره، دلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم

الأخلاق وحقائق الحياة"<sup>٧٦</sup>

<sup>٧٤</sup> شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. ص ١٢٦.

<sup>٧٥</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ١٣

<sup>٧٦</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ط ١٠. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦. ص ٥.

## البعد التاريخي

نشأت السيرة في حضان التاريخ تقرر تهاني شاكر ما ذكره شوقي ضيف بقولها ولقد نشأت السيرة بنوعيه الذاتية والغيرية في حضان التاريخ، لذلك ففيها بعض ملامحه، بل إنها في بعض الأحيان تقترب منه إلى درجة تجعل بعض الباحثين يعدونها نوعا من أنواع التاريخ<sup>٧٧</sup> معرفة بالشخصيات البارزة الذين عاشوا في الماضي والأحداث الهامة في التاريخ الإنساني تكون عبرة وعظة للأجيال المتعاقبة، فمعرفة الماضي هي السبيل لتشخيص الحاضر وتنظيم المستقبل.

ولا نخطأ إذا قلنا أن السيرة بنوعيه الذاتية والغيرية نوعان من الأدب أريد به جمع بين التاريخ والفن نوع من الأدب يجمع بين التحري التاريخي والإمتاع القصصي، ويراد به درس حياة فرد من الأفراد ورسم صورة دقيقة لشخصيته.<sup>٧٨</sup> تعريف إحسان عباس للتاريخ يبين قصد السيرة "هي الرغبة في تاريخ حياة فرد من الأفراد أو جانب كبير من حياته تحقيقا لنظرة خاصة أو فلسفة محدودة."<sup>٧٩</sup>

بين محمد حسين هيكل صاحب الفاروق عمر- الذي نحن في تحليله - في مقدمة الكتاب غرضه من كتابة الفاروق عمر حيث يقول قد تناولت في هذا الكتاب، كما تناولت في «حياة محمد» وفي «الصديق أبو بكر» نواحي من الحياة العربية لذلك العهد.

إن كثيرا من السير الذاتية في التاريخ الإسلامي تقصد إلى الإخبار وعده إحسان عباس الصنف الأول من أصناف السير حيث يقول: "الصنف الإخباري المحض وهو يصم الحكايات ذات العنصر الشخصي سواءً أكانت تسجل تجربة أو خبرا أو مشاهدة، كتلك الحكايات التي يقصها الجاحظ وأبة حيان والصلاح الصفدي والصابي والصولي وغيره عن نفوسهم وعن الأحداث التي صادفتهم كما تصم بعض المذكرات التي

<sup>٧٧</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ٩

<sup>٧٨</sup> عبد النور، جيور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤، ص ١٤٣.

<sup>٧٩</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ٧٣.

كتبها صاحبا من أجل الغاية التاريخية".<sup>٨٠</sup> ولو كان هذا الكلام للإحسان عباس عن السير الذاتية يتفق هذان النوعان من السير في الغاية التاريخية.

## البعد السياسي

تكتب السيرة للغرض السياسي قد يكون القصد من كتابتها غرس أفكار سياسية في قلوب المواطنين لدعم الملوك والحكام أو النظام السياسي في بلد ما، وقد يكون القصد من كتابتها أن يثير المواطنين ضد الملوك والحكام والنظام السياسي فلقد كان مؤرخون عند الإغريق من صنف يذكره التاريخ بالفخر، كما كان عندهم كُتاب تراجم لا يتركون حيوات الشخصيات العظيمة تمر من غير تسجيل لها، أو تصويرها لأغراض ودوافع من السياسة أو الخلق أو القدوة التي يسعى المثاليون. فما وضع بلوتارك كتابه في «سير عظماء اليونان والرومان، إلا ليكون أحسن أمثلة واقعية للحياة التي ينبغي أن يكون عليها رجل السياسة ورجل الدولة، كما كتب أرسطو كتابه "الأخلاق" ليكون تمهيداً لا بد منه لكتابه المشهور في السياسة، وما كتب سويتينيوس كتابه في "حياة الاثني عشر إمبراطورا رومانيا" إلا ليكون نموذجاً لحياة هؤلاء الأباطرة السابقين في تاريخ الرومان وغيرهم.<sup>٨١</sup>

وقد يتأثر كاتب السير بعوامل شخصية أو صلات من القرابة والصهر، كما فعل تاسيتس المؤرخ الروماني مع حميه القائد الروماني أجريكولا في القرن الأول الميلادي، فقد اجتمع للمؤرخ عاملاً الإعجاب والمصاهرة، فكتب كتابه «حياة أجريكولا، الذي يعد نموذجاً للتراجم والسير في الأدب القديم.<sup>٨٢</sup> وقد يكون التصوير بعيداً عن الواقع إذا كان الكاتب يكتبها مضطراً لأمر الحكام والملوك.

---

<sup>٨٠</sup> نفس المرجع، ص ١٢٣-١٢٤

<sup>٨١</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ١٠

<sup>٨٢</sup> نفس المرجع، ص ١٠



وبالرغم من أن الباحث حاول أن يقسم موضوع السير إلى أنواع إلا أن هذا التقسيم غير جامع ومانع لأن السيرة قد تكتب لغير هذه الأبعاد المذكورة وكذلك من ممكن أن السيرة والواحدة قد تكتب لأكثر من بعد واحد نرى مثالا كثيرا لهذا النوع.

## شروط السيرة الغيرية

١- الإمام بكل الحقائق المتعلقة بالمترجم له:

يشترط على كاتب أن يقوم بجمع كل الأخبار والمعلومات الخاصة بالمترجم له، والأحداث العامة التي أثرت عليه، والبيئة التي عاش فيها ويثبت عز الدين إسماعيل على ذلك بقوله: " من واجب كاتب السيرة أن يلم بكل الحقائق التي لها صلة مباشرة ببطله، وبالأحداث والمواقف التي كان لها تأثير مباشر في حياته، وعلى هذا الأساس لا يحق له ان يهمل أي مصدر يمكن أن يمده بشيء من هذا، ألا يحدث في كثير من الأحيان أن يمدنا شاهد لم نتوقعه ولم نحسب له حساباً بمادة طريفة تلقي ضوءاً مباشراً على الشخصية موضوع دراستنا"<sup>٨٣</sup>. إذا أهمل الكاتب مصدرا فيه ما يتعلق بالمترجم له قد يؤدي إلى نتائج خاطئة ولا يستطيع أن يصل إلى أهداف مرغوبة

٢- عدم تحيز الكاتب:

يشترط على الكاتب ألا يتحامل على المترجم له أو يجامله فيما يكتب، بل عليه أن يكون موضوعياً؛ لأن الحقيقة العلمية تفقد حينما تحيز كاتب السيرة أو تحامل أو جامل، وبالرغم من أن محمد عبد الغني حسن يصرح ذلك بقوله: "ومن الصعب على المترجم المنصف التزيه أن يجرد نفسه تماما من عوامل التحيز، والتجرد، والهوى، وهي آفة المرء دائما فيما يأتي أو يدع."<sup>٨٤</sup> وقد تكون معاصرة المترجم لمترجم له سببا لتحيز في الكتابة، فتعصف الغيرة بالنفس ويؤدي تلك إلى الوقوع في تلك الآفة، ويقول صاحب السير والتراجم "

<sup>٨٣</sup> إسماعيل، عز الدين، الأدب وفنونه دراسة ونقد. ص ٢٧١.

<sup>٨٤</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٨١

ولعل السخاوي نفسه لم يأخذ نفسه بالإنصاف الذي دعا إليه حين ألفه كتابه الشهير 'الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع'.<sup>٨٥</sup> فالعامل النفسي له دور كبير عند الكاتب وتحديدًا في صدق ما يكتب.

وهذا الشرط يمكن انطباقه على السير الغيرية أكثر من السير الذاتية، وإن كان مطلوبًا في السيرة الذاتية كما في السيرة الغيرية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الكاتب الذي يكتب لغيره يمكن أن يكون موضوعياً إذا اعتنى بالصدق والأمانة، واستند إلى الوثائق والمدونات والأسانيد الصحيحة القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء في كتابته، أما كاتب السيرة الذاتية فغالبا يتحيز لنفسه ويصعب عليه أن يكون موضوعياً؛ لأنه يشرح الأحداث من وجهة نظره الشخصية، يصعب عليه انطباق الموضوعية على كل ما يرد في سيرته، خاصة من الأمور العامة التي يتفق معه آخرون عليها.

٣- أن يلتزم الكاتب بالصدق فيما يكتب:

السيرة ليست أدبا تعتمد على الخيال بلا قيد بل تعتمد على الوثائق والمدونات والأسانيد الصحيحة القاطعة البعيدة عن الكذب والافتراء لا يحق للكاتب أن يخلق الأحداث من عنده، والصدق يعتبر شرطا أساسيا في السير بشكل عام لا تقل أهميته ومهما صغرت شخصيات المترجم لهم أو كبرت، لأن السيرة عليها الحق التاريخي مع الحق الفني.

يشترط على الكاتب عند تصوير حياة المترجم له أن يلتزم بالصدق وأن ينقلها كما هو حقا إلى الآخرين ولو لم يتفق مع رغباته وأفكاره واعتقاده. ويجب على الكاتب أن يكون موضوعيا، سنفصل موضوعية السيرة الغيرية في العنوان الفرعي لأهميتها.

٤- التحقيق

إن التحقيق، ومعارضة الروايات بعضها بعض، وتحري الحقيقة التاريخية هي شرط من شروط يجب

<sup>٨٥</sup> نفس المرجع، ص ٨٢

الالتزام به على المترجمين وكتاب السير، كما يجب على المؤرخين. وقد تظل بعض المسائل دهرا طويلا كأنها حقيقة تاريخية إلى أن يجيء من يصححها ويبين الخطأ فيها بشاهد من التاريخ أو بدليل قوي من الواقع. فإن السيرة تجب عليها أن تأخذ حقها من التحقيق العلمي والبحث ومعارضة الأحوال والأقوال بعضها ببعض حتى يتميز الصحيح من الزائف، كما يجب أن تؤخذ أقوال الرواة وآراءهم بحذر وتثبت والوزن، خاصة لما قد يكون فيها من ميل للمترجم له أو هوى معه أو تعصب عليه أو غيره من الأسباب قد تؤدي إلى الميل نحو المترجم له، فإن الناس لا تتفق آراؤهم في شخص واحد، كما أن تقديراتهم وتأثراتهم قد تختلف من واحد إلى آخر.

وقد أورد صاحب السير والتراجم مثالا لهذا " على سبيل المثال ففي الترجمة للحجاج بن يوسف الثقفي يجب أن نكون على حذر مما يقوله خصومه في الرأي، فإن الخصومة قد تحمل على سوء الرأي في الرجال. لقد حكم بعض المؤرخين على الحجاج بالكفر - وهي تهمة شنيعة - مع أن الرجل كان -- على قسوته البالغة في سفك الدماء - مؤمناً بالله وبرسوله أشد الإيمان، وحكم عليه الخليفة الصالح الزاهد عمر بن عبد العزيز بالنفاق فلما روى عنه أنه قاله: لو جاءت كل أمة بمنافقيها وجئنا بالحجاج لفضلناهم!"<sup>٨٦</sup>

إضافة إلى هذا جدير بأن يلاحظ أن الإمام أبا حنيفة النعمان لم ينجو من هذا، فيجب على المترجمين والمؤرخين أن ينقبوا ما فعل خصوم المترجم لعم لخلاف بينهم ويجب على المترجم أن يأخذ ممن قالوا فيه ما قالوا على حذر، نقل الخطيب البغدادي صاحب «تاريخ بغداد» كثيراً من الأقوال التي قيلت في النيل من أبي حنيفة. رد على هذه الأقاويل المؤرخين والحفاظ وأصحاب السير، فكشفوا عن قيمتها ومبلغها من الصحة كما صنع الحافظ ابن عبد البر، والإمام المؤرخ الذهبي.

ينبغي على كاتب السيرة أن يحقق المسائل ويخرج منها بالرأي الحسن، ولا يجزم في مسألة أو حادثة بما لم يصل إليها يقينه، هنا عليه أن يستعمل: أظن وأحسب وما شابهها من صيغ الظن. وإذا كان واثقا من مسألة

<sup>٨٦</sup> نفس المرجع، ص ١٦

تاريخية يجوز له أن يقول: والذي أعلمه والذي أعرفه، وما مائلها من صيغ اليقين. ليس أولى أن يكتفي بذكر الروائين كما يصنع كثير من كتاب السيرة والمترجمين ولكنه يعلق أيهما أصبح.<sup>٨٧</sup>

### موضوعية السيرة الغيرية:

وفي السيرة الغيرة يعتمد الكاتب على الوثائق والمشاهدات والمذكرات، وغيرها من الوقائع والحقائق، التي ينبغي أن ينظر إليها موضوعية، ثم يقوم بتنقيتها والحكم عليها؛ ليخلق منها بناء السيرة، وتشكيل الشخصية التي يكتب عنها. ويمزجها مزجا معتدلا منسجما ويصبغها بأسلوبه ومع مراعاة الموضوعية<sup>٨٨</sup>

أما من الناحية الأخرى فكاتب السيرة قد يميل إلى الجانب المترجم له إذا كان حيا معاصرا، وقد يكون لاعتبار سلطانه، ورعاية تقرته، وقصد التقرب له أثر كبير في موضوعية الترجمة والسيرة، بل قد يبلغ أحيانا إلى حد المجاملة والتحيز. " اشترط المؤرخ السخاوي في كتاب السيرة والترجمة: ألا يغلبه الهوى، فيخيل إليه هواه الإطناب في مدح من يحبه، والتقصير في غيره، وذلك بأن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه، ويسلك معه طريق الإنصاف، وإلا فالتجرد عن الهوى عزيز. ليس من السهل إذا جينا الى انطباق الإنصاف والموضوعية لعل السخاوي نفسه لم يأخذ نفسه بالإنصاف الذي دأب إليه حين ألف كتابه " <sup>٨٩</sup> ويرى أصحاب السير والتراجم فقد أثرته عوامل المعاصرة وما يجري من المنافسة والحسد بين الناس إلى أن يتحامل على كثير من علماء عصره حين كتب حياتهم.

والحق أن المعاصرة في كتابة السيرة والتراجم قد تساعد على جمع مواد لحياة المترجم له وبيئته أكثر مما يستطيع بعد الزمن المتطاوّل أن يفعله. ولا نخطئ إذا قلنا أن الكاتب المعاصر للمترجم له أحق وأقدر أن يكتب سيرة أصدق وأقرب إلى الحق مما لو كتبها مؤرخ غير معاصر بعده. ولكن بشرط ألا تكون المعاصرة

<sup>٨٧</sup> نفس المرجع، ص ٨٥-٨٤

<sup>٨٨</sup> شهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجا. ص ٢٦

<sup>٨٩</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٨١-٨٢

والتقرب من المترجم له سببا إلى المجاملة على الحساب الحق، والمحاباة على حساب التاريخ.

ومن الجوانب السلبية للمعاصرة في كتابة التراجم والسير أن كاتب السيرة قد تحمله المجاملة إلى سياسة التبرير والتسوية ولو بالباطل وهو يبحث الأعدار الضعيفة لأخطاء من يترجم لهم أو يكتب سيرهم، قد يكون ذلك حينما تخشى السطوة، وتخاف صولة من الملوك والأمراء، ويقع أن يكتب حسب رغباتهم وميولهم. وقد لا يكون لهذه الأعدار نصيب من حق، أو حظ من صحة. وعلى الضد من ذلك قد تكون المعاصرة سببا في التشنيع والتشهير وذلك حينما تؤمن السطوة، وتتقى صولة من الملوك والأمراء، ويقع التنافس بين النظراء والأقران. كما وقع بين السخاوي والسيوطي وقد ذكرنا ذلك سابقا. إن كاتب السيرة لا بد أن يكون على حذر شديد حينما يقف أمام الصورتين المتناقضتين من التاريخ لشخص واحد ليس من الواجب على كاتب السيرة أن يختار أحد الرأيين بل إذا غمض عليه الحق ينقل الروايتين ويرجع ما رآه حقا ثم يترك الأمر القرائين.<sup>٩٠</sup>

## الشروط الفنية

ليست السيرة علما بل هي نوع من أنواع الأدب حيث يمزج الكاتب التحري التاريخ مع القصص الفني وضع عبد الديم الشروط الفنية التي أن تتوفر في السيرة حيث يقول: "والترجمة الذاتية تعتمد شأنها في ذلك شأن الترجمة العامة على وحدة البناء وتطور الشخصية وقوة الصراع، وكلاهما يعتمد على الحقيقة التاريخية والسردي الأدبي، وهم أقرب صلة بالإنسان."<sup>٩١</sup>

### ١- وحدة البناء

تشرط أن يكون لها بناء واضح مرسوم بحيث لا تكون مجرد سرد للوقائع والأخبار، فإلا تكون في النهاية أحداثا متناثرة وأخبارا ممزقة. فينبغي أن تكون الجمل والفقرات في السيرة منسقة قوية فلا توجد فجوة

<sup>٩٠</sup> نفس المرجع، ص ١٠٥-١٠٨

<sup>٩١</sup> الدايم، يحي إبراهيم عبد. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. ص ٢٦

بين الأحداث فيجب أن تكون الأحداث سلسلة تسلسلا منطقيا، والعبارات والفقرات منسقة ومترابطة ومحكمة "إن السيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال وانما لأنها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، وعلى ذلك فهي ليست من الأدب المستمد من الخيال، بل هي أدب تفسيري، وهذا النوع من الأدب كالأدب الذي يخلق خلقا".<sup>٩٢</sup> تتخذ السيرة الغيرة من حيث الشكل ثلاث قوالب قالب روائي، وقالب تفسيري، وقالب يجمع بين التحليل والتصوير كما تتخذ السيرة الذاتية يقول عبد الدائم الترجمة الذاتية على نحو ما رأينا من حيث الشكل ثلاث قوالب قالب روائي، وقالب تفسيري، وقالب يجمع بين التحليل والتصوير.

ولو تأملنا بعض السير الأدبية نلاحظ أن البناء يختلف من كاتب إلى آخر، يقسم بعض الكتاب حياة المترجم له إلى مراحل: أولى وثانية وثالثة الخ وآخرون يبدوون من نهاية الحياة خلافا للطريقة التقليدية، بينما بعض السير تبدأ من منتصف القصة نظرا لأهميتها في حياة المترجم له. رسم محمد حسين هيكل حياة عمر بن الخطاب ﷺ حسب التسلسل الزمني أما عباس محمود العقاد لم يعتني بالتسلسل الزمني بل قسم إلى الموضوعات والأحداث الهامة في حياة المترجم له.

## ٢- تطور الشخصية

هو أن تكون الشخصية الرئيسية شخصية تتطور تبعا لتطور حياته وتقدمه في مرور الزمن. يجب أن تكون الشخصية الرئيسية ذات ميزة والشخص المميز هو الشخص الذي تتطور شخصيته وينمو أفكاره وأعماله بتطور الزمن وتقدم العمر حيث يترك صمة خاص له في كل مرحلة من مراحل حياته. يقول إحسان عباس "وإذا كانت السيرة عامة تتطلب لرواجها أن يكون بطلها شخصا ذا تميز واضح في ناحية من النواحي، فإن هذا الشرط أساسي في السيرة الذاتية بخاصة"<sup>٩٣</sup>

<sup>٩٢</sup> عباس، إحسان. فن السيرة. ص ٩٠.

<sup>٩٣</sup> نفس المرجع، ص ١٠٤.

### ٣- قوة الصراع:

وقد مدح إحسان عباس على سيرة جبران التي كتبها ميخائيل نعيمة بقوله: "فإن العناصر من صراع بين بطل السيرة والناس، وصراعه مع نفسه، والحرارة التي حاول أن يبعثها في الحوار، وذلك البناء الذي يتميز بقسط كبير من الأحكام،"<sup>٩٤</sup> هي التي ميزت تلك السيرة ورفعت مقدارها بين سائر السير

### ٤ - الطريقة أو الأسلوب المناسب:

من شروط السيرة الفنية أن يملك الكاتب القدرة على اختيار الطريقة أو الأسلوب الفني في الكتابة، الطريقة والأسلوب يتغير حسب غرض الكاتب منها ويرى إحسان عباس أن ستراتشي أحسن حينما استعمل الطريقة الدرامية، بينما اعتمد بوزول على الطريقة الحكائية السردية في حين استخدم نعيمة طريقة الشرح والتفسير في سيرة جبران خليل جبران، وقد يجمع الكاتب بين أكثر من طريقة فيما يكتب، ويؤكد على أن الأسلوب الأدبي للكاتب عنصر هام في كتابة السيرة؛ هنا يختلف مصور عن مصور، ويمتاز كاتب من كاتب فالعبرة في تركيب الصورة من المواد المتفرقة المبعثرة.<sup>٩٥</sup>

---

<sup>٩٤</sup> نفس المرجع، ص ٩١

<sup>٩٥</sup> حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. ص ٦

## الفصل الخامس

### عمر بن الخطاب في الأدب العربي

عمر الفاروق رضي الله عنه هو ثاني الخلفاء الراشدين ومن كبار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحد أشهر الأشخاص والقادة في التاريخ الإسلامي ومن أكثرهم نفوذا وتأثيرا. وعمر رضي الله عنه شخصية إسلامية بطولية تحظى بتبجيل كبير ولا سيما من قبل المسلمين السنيين. وقد ألف عنه عديد من الكتاب والأدباء السير والروايات والمقالات التي تتناول شخصيته ومساهماته السياسية والاجتماعية والدينية. ويتناول الباحث في هذا الفصل بعض المؤلفات التي تناولت شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبر العصور فيما يلي:

### مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي

نبذة عن المؤلف: هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي معروف بابن الجوزي (١١١٦-١٢٠٦) هو فقيه حنبلي محدث ومفسر ومؤرخ ومتكلم من أهل بغداد. ويصل نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وتولى منصب الوزارة في عهد الخليفة الناصر. تميز ابن الجوزي بكثرة المؤلفات التي بلغ عددها نحو ثلاثمائة مؤلفة ومن أعماله البارزة: تلبيس إبليس، وزاد المسير في علم التفسير، ودفع شبه التشبيه بأكف التنزيه.

نبذة عن الكتاب: ألف ابن الجوزي هذا الكتاب عام ٥٦٧ هـ.<sup>٩٦</sup> وذكر بعض المؤلفين هذا الكتاب باسم "تاريخ عمر بن الخطاب" وبعضهم باسم "فضائل عمر بن الخطاب".<sup>٩٧</sup> "وردت هذه السيرة على صورة موسوعة ضخمة تتعلق بأخبار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجوانب عديدة لمكانته ومناقبه ولا نعلم أن أحدا من المؤلفين سبق ابن الجوزي إلى هذا العمل العظيم، حيث نرى جميع من ألف في مناقب عمر

<sup>٩٦</sup> د الحفناوي، جلال السعيد مصطفى. "سيرة الفاروق عمر بن شيلي النعماني وهيكل"، Google books، مجلة الفيصل، ٢٢-٢٣-٢٠٢٣.  
<sup>٩٧</sup> ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. التحقيق: عامر حسن صبري. مملكة البحرين: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠١٣. ص ١٠٦.



بن الخطاب رضي الله عنه اقتصر على بعض مناقبه وأخباره سواء كان ذلك في مؤلفات مستقلة أو ضمن أبواب أخرى، وفاق هذا الكتاب جميع الكتب السابقة في نوعه جمعا واتقاناً ويعتبر أصل من الأصول المعتمدة في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.<sup>٩٨</sup>

بدأ ابن الجوزي هذه السيرة بتمهيد موجز بين فيها الباعث على تأليف هذا الكتاب فقال "فإن أخبار الأخيار دواء للقلوب، وجلاء للألباب، وإن أولى من جمعت أخباره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، لأنه جمع من العلم والعمل ما أدهش العلماء والعاملين".<sup>٩٩</sup> وبين أن قصده من الكتاب لينفع الله به، فرتب ابن الجوزي هذا الكتاب في ثمانين باباً. وكذلك بين غرضه من تأليف هذا الكتاب خلال كلام عن مسانيد عمر "اعلم أن كتابنا هذا إنما وضعناه لذكر آدابه وأحواله لا لذكر مسانيد".

انتهج ابن الجوزي منهج المحدثين من علماء السلف الذين سبقوه. فذكر الأحاديث والآثار والأخبار بأسانيد تحت تلك العناوين للأبواب. ثم جاء أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد فحذف هذه الأسانيد الطويلة.<sup>١٠٠</sup> وأورد المؤلف الروايات الصحيحة والضعيفة حتى الموضوع حين كلامه عن مناقب عمر لعل الاعتذار عنه أنه أراد جمع كل ما يتعلق بأخبار عمر ومناقبه وفضائله. ومن أراد أن يتحقق منها عليه أن يرجع إلى كتب علماء الجرح والتعديل. وقام عامر حسن صبري التميمي بتحقيق هذه الروايات في مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولم يختصر ابن الجوزي على الذكر الروايات فحسب بل في كثير من الأحيان قام بالشرح والبيان والتعليق للأحداث. ويرى جلال سعيد الخفناوي "وسيرة ابن الجوزي في مجملها سيرة غير منهجية لا يتبع فيها نقد الأحداث وذكر العلل والأسباب ولهذا جاءت سيرة للمناقب فقط".<sup>١٠١</sup>

<sup>٩٨</sup> نفس المرجع، ص ١٠٨.

<sup>٩٩</sup> نفس المرجع، ص ١٥٣.

<sup>١٠٠</sup> د الخفناوي، جلال السعيد مصطفى. "سيرة الفاروق عمر بين شبلي النعماني وهيكلي"، Google books، مجلة الفيصل، ٢٢-٣-٢٠٢٣.

<sup>١٠١</sup> نفس المرجع.

قد استهل المؤلف سيرة بذكر مولده ثم نسبه وصفته وهيئته وما تميز به في الجاهلية اختتم بذكر محبته وثواب محبيه وعقاب مبغضيه ومعاديه. وركز ابن الجوزي على شخصيته وأدابه ومناقبه ولم يهتم بأعمال عمر رضي الله عنه الإدارية ولا بفتوحاته. إنه تناولها في شكل موجز شديد في باب فتوحه وحجاته.

## تاريخ الخلفاء للسيوطي

نبذة عن المؤلف: هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١٤٤٥ - ١٥٠٥) معروف باسم جلال الدين السيوطي. وهو من مواليد القاهرة. وكان إماما وحافظا ومؤرخا ومفسرا وأديبا وفقهيا شافعيًا. وكان يلقب بابن الكتب لأن أباه أمر أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فوضعتة وهي بين الكتب. وامتاز الإمام السيوطي بكثرة المؤلفات التي بلغ عددها نحو ستمائة مصنف. ومن أعماله البارزة: تفسير الجلالين، وكفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، والأشباه والنظائر في النحو.

نبذة عن الكتاب: هو كتاب جليل القدر، عميم النفع، مختصر العبارة، جميل الإشارة تناول الإمام السيوطي في هذا الكتاب تراجم الخلفاء الراشدين بصفة خاصة. ونظم فيه المؤلف رحمه الله سير الخلفاء والأمراء من بعد الخلفاء الراشدين إلى عصره بصفة موجزة. ومنها سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تناول المؤلف سيرة عمر الفاروق رضي الله عنه في نحو خمسين صفحة. وقد قسم الإمام هذا الجزء إلى اثني عشر فصلا. يستهل هذا الجزء بذكر نسب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفضله وإسلامه، "وروايته خمسمائة وتسعة وثلاثين من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم جاء بفصل الأخبار الواردة في إسلامه ثم في هجرته والأحاديث الواردة في فضله. وأتى بفصل جمع فيه أقوال الصحابة والسلف في عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويتحدث عن فتوحاته باقتضاب شديد وانتهى بفصل فيمن مات من الصحابة في أيامه." ١٠٢

<sup>١٠٢</sup> نفس المرجع.

وانتهج فيه منهجا بديعا، جاء فيه بزبدة متن التواريخ، خاصة من كتاب 'تاريخ الإسلام' للإمام الذهبي رحمه الله الذي كان عمدته في تأليفه. وحاول السيوطي أن يضم إلى كتابه ما ترك من تلك الكتب من الأحداث المهمة. واعتمد أيضا على الكتب التي وضعت من قبل العلماء المحدثين الذين لهم الباع الطويل في نقد الأخبار والتواريخ، كأمثال ابن كثير وابن حجر وابن فضل الله.<sup>١٠٣</sup>

فإن "تاريخ الإسلام" للذهبي مرتب على السنوات، ويذكر الأحداث حسب تلك السنوات. وكان ذكر الخلفاء فيه تابعا لترتيب تلك السنوات. أما في 'تاريخ الخلفاء' فكانت تراجم الخلفاء هو أساس لترتيب الكتاب والسنوات تابعا له. ويذكر في آخر كل خليفة وفيات الأعلام الذين ماتوا خلال ولاية الخليفة وصنع ذلك أيضا اقتداء للإمام الذهبي رحمه الله.<sup>١٠٤</sup>

### سيرة الفاروق لشبلي النعماني

نبذة عن المؤلف: شبلي النعماني (١٨٥٧-١٩١٤) هو أحد الشخصيات البارزة في الأدب من شبه القارة الهندية. وكان نائرا شاعرا مؤرخا وكتبا للسيرة وناقدا لها. ويصل نسبه إلى الإمام أبي حنيفة النعماني. وتناول موضوعات متنوعة مثل السيرة والفلسفة والكلام والأدب والتاريخ والرحلات والتعليم والنقد. وكان يكتب بثلاث لغات هي: الأردية والفارسية والعربية. وعمل في جامعة عليكرة، وشارك في تأسيس ندوة العلماء بلكنو. نبذة عن الكتاب: يعتبر هذا الكتاب لشبلي أول سيرة منهجية تناولت قصة حياة ثاني الخلفاء الرشدين عمر بن الخطاب في العصر الحديث. وكانت السيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبل سيرته هذه أخبارا متفرقة في المصادر والكتب التاريخية الإسلامية. وهي أول سيرة إسلامية على الأسس العلمية الحديثة في اللغة الأردية والعربية. أخذ شبلي أربع سنوات لإكمال كتابة هذا الكتاب بدأ الكتابة عام ١٨٩٤ وأتمها سنة ١٨٩٨ م. وقام د. جلال سعيد الخفناوي بترجمتها إلى اللغة العربية سنة ٢٠٠٠ م.

<sup>١٠٣</sup> السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تاريخ الخلفاء. ط٢. دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٣. ص ١٢.

<sup>١٠٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٤.

وينقسم هذا الكتاب إلى جزأين، وتناول في الجزء الأول - فضلا عن المقدمة، الأحداث التي وقعت منذ ميلاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وفاته وغزوات الدولة فتوحاتها خلال هذه الفترة - وفي الجزء الثاني بذل المؤلف جهدا جبارا ليصور أعماله الدينية والإدارية والسياسية وصفاته العلمية وأخلاقه وعاداته الشخصية.<sup>١٠٥</sup> يبدأ السيرة بمقدمة طويلة وبين شبلي في مقدمة الكتاب عناصر التاريخ وتعريفه وميزة العرب في التاريخ، وبداية التاريخ عند العرب ثم يفصل أسلوب القدماء في تأليف السيرة وتناول ما كُتب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قبله وكذلك بين عيوب كتب التاريخ القديمة وأسبابها. وذكر المصادر التي اعتمد عليها في كتابة 'سيرة الفاروق'. ومما اعتمد بصفة خاصة، سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري وطبقات ابن سعد ومعارف ابن قتيبة وتاريخ البهقي وصحيح البخاري ومسلم وكان دقيقا في توثيق المراجع التي اعتمد عليها.<sup>١٠٦</sup>

وقد بين منهجه الذي نهجه في تأليف هذه السيرة ويبين ما هو معيار صحة الأحداث في التاريخ قبله ويفصل الطريقتين لتفحص الأحداث هما الرواية والدراية "والدراية" هو أن تنقد الواقعة من ناحية القواعد العقلية ويرى أنه من الضروري الاعتماد على قواعد الدراية في يدوين سيرة عمر رضي الله عنه التي يتأتى في ضوءها تميز الأحداث الصحيحة من الأحداث الكاذبة.

وقد سعى شبلي في سيرة الفاروق أن يقارن بين منهج التاريخ قديما وحديثا وقد استغل من هذه المقارنة بمناهج النقد الغربية الحديثة، وبين تطور فن السيرة والتراجم عند المسلمين من سيرة ابن هشام حتى السير الحديثة التي ألفت في عصره. ويعد شبلي السيرة نوعا من الأعمال الرفيعة التي تعتمد في المقام الأول على الحقيقة والصدق.

وقد جمع بين الأسلوب الأدبي والتاريخي حين صور حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويتميز أسلوب شبلي بالبساطة والجزالة وعدم التعقيد وقوة البيان والاختصار والإيجاز كما أن الإحساس بالكمال في لغة خطاب شبلي

<sup>١٠٥</sup> النعماني، شبلي. سيرة الفاروق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠. ص ٨

<sup>١٠٦</sup> نفس المرجع، ص ٤.

ظاهرة واضحة في جميع أعماله، واختار الأسلوب الفلسفي والميل إلى السخرية ونجد في كتاباته صوراً متنوعة للأسلوب الوصفي والاستدلالي والبياني. وترجمت سيرة «الفاروق» إلى الإنجليزية والفارسية والتركية والهندية.<sup>١٠٧</sup> وهذه الترجمات تشير إلى منزلة هذا الكتاب بين كتب السيرة والتاريخ.

## تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب لمحمد رضا

نبذة عن المؤلف: هو محمد رضا هو كاتب أديب مصري، ولد في مصر ونشأ فيها، عمل في منصب أمين مكتبة الجامعة بالقاهرة، وكان أحد المدرسين البارزين بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية. وكانت وفاته بالقاهرة سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م وتركزت مؤلفاته على موضوعي التاريخ والتربية. وأثار محمد رضا في التاريخ الإسلامي تعدد قيمة في بابها حيث "تناولت حقبة زمنية مهمة كانت مرتعاً للمستشرقين وضعاف الإيمان الذي يألون دس السم في العسل. وقد تناول المؤلف في سلسلته التي ضمت خمس كتب: سيرة النبي محمد - والخلفاء الرشدين - وانتهت بالحسن".<sup>١٠٨</sup>

نبذة عن الكتاب: ألف محمد رضا هذا الكتاب عام ١٩٣٤ هـ. وبدأ الكاتب هذه السيرة بتمهيد موجز يذكر فيه بعض مييزات سيرته في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه ثم بين طريقته في هذا الكتاب حيث يقول " هذه الكتب وإن كانت معدودة ضمن كتب السير أو التراجم لكنها مع ذلك تعتبر من كتب التاريخ الإسلامي لأن الإسلام بدأ بتاريخ رسول الله ولأنني لم أقتصر على تدوين السير بل تناولت الأعمال التي تمت في عهد أربابها من حروب وفتوح ونظم وإصلاحات ومعقدات وأحكام وقواد وحكام".<sup>١٠٩</sup> وحاول أن يجمع كل ما حدث في عصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد اهتم الكاتب بتناول المسائل التي خالف عمر مع أبي بكر رضي الله عنهما.

<sup>١٠٧</sup> نفس المرجع، ص ٥.

<sup>١٠٨</sup> "محمد رضا". مكتبة النور. [https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-](https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B1%D8%B6%D8%A7-pdf)

<https://www.noor-book.com/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B1%D8%B6%D8%A7-pdf>

<sup>١٠٩</sup> رضا، محمد. تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب. مصر: المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، ١٩٣٦. ص ١

قد استهل المؤلف السيرة بفصل ' حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه'. وذكر فيه صفاته في صورة مجملية وينصح السياسيين والقادة أن يتخذوا سلوكه وخلقه وشدة اهتمامه بالناس قدوة في الحكم والسياسة وبين أهمية دراسة سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.<sup>١١٠</sup> وكان الغرض من كتابة هذه السيرة أن يكون كتابه هذا درسا وعبرة للقراء يقول "نريد ممن يطالع حياة عمر رضي الله عنه وخلافته ألا يمر على الحوادث وهو يتلوها مرا سريعا دون أن يفكر فيها، بل نريد أن يعتبر بالعبر ويتعظ بالمواعظ ويقتبس من تلك الأخلاق القوية العظيمة ويعمل بها ما استطاع حتى تعود للشرق سيرته الأولى من عظمة ومجد وتنتعش الهمم بعد أن فترت، وتسود الفضائل بعد أن طغت عليها الرذائل، وتطهر النفوس بعد أن تلوثت بادران المطامع واغترت بزخارف الدنيا، واستحكمت الشهوات ففسدت الأخلاق وضاعت الثقة فلم يعد الكبير يشفق على الصغير، ولا الصغير يوقر الكبير، أصبحت الأنانية رائدا وحب المال مقدسا"<sup>١١١</sup>

وتابع محمد رضا الفصل الأول بذكر مولده ثم نسبه وأولاده وزوجاته ومنزل عمر رضي الله عنه في الجاهلية وانتهى الكتاب بفصل مؤامرة الهرمزان وجفينة على قتل عمر ودفنه رضي الله عنه. وتشابه الشبلي النعماني ومحمد رضا في تركيزهما على أعمال عمر رضي الله عنه الإدارية والسياسية. وقد تناول الفتوحات في شكل تفصيلي وجعل لكل واحد منها أبوابا مستقلة. وذكر وفيات الصحابة التي ماتوا في عهده في فصول منفصلة. ومن ميزة هذا الكتاب أنه جاء بأراء المستشرقين في عمر رضي الله عنه في فصل خاص. ولقد "عرض بأسلوب عذب رقيق يجذب القارئ متبعا للأحداث إلى أن يصل إلى نهايته ورغم أهمية هذه السلسلة إلا أنها لم تحظ بالعناية المطلوبة فجاءت طبعاتها السابقة قليلة الضبط والإنقان وكثر فيها الأخطاء المطبعية فضلا على أنها لم تحظى بالتحقيق."<sup>١١٢</sup>

<sup>١١٠</sup> نفس المرجع، ص ٦.

<sup>١١١</sup> نفس المرجع، ص ٧.

<sup>١١٢</sup> محمد رضا". مكتبة النور. <https://www.noor-book.com/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B1%D8%B6%D8%A7-pdf>

## الشيخان لطله حسين

نبذة عن المؤلف: هو طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣) هو أديب ومفكر وناقد مصري يعد علما من أعلام الحركة الأدبية الحديثة حتى لقب بعميد الأدب العربي. لا تزال أفكاره وكتاباتة تثير الجدل والمناقشة حتى الآن. أثرى طه حسين المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات والترجمات والسير. ومن أبرز مؤلفاته في السيرة: على هامش السيرة والشيخان والفتنة الكبرى (عثمان) والفتنة الكبرى (علي وبنوه).

نبذة عن الكتاب: ألف طه حسين هذا الكتاب عام ١٩٦٠. وتناول المؤلف في هذا الكتاب حياة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويروي عنهما الكثير من القصص والروايات التي وردت في فضلهم ومناقجهم، والأحداث التي حدثت في عهدهما. ومنها سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، تناول المؤلف سيرة عمر الفاروق رضي الله عنه في نحو سبعين صفحة. ويتميز أسلوب طه حسين باللغة الجيدة والتوصيف المميز، والذي يجعل القارئ يستمتع باللغة.

قد بين طه حسين قصده من هذا الكتاب في مقدمته أنه لم ير أن يأتي شيئا جديدا في كتابه حيث قال " وما أرى أن سيكون فيه جديد لم أسبق إليه"<sup>١١٣</sup> ثم بين سبب تأليف هذا الكتاب بقوله "ولكني أجد نفسي من الحب لهما والبر بهما ما يغريني بالمشاركة في الحديث عنهما، وقد رأيتني تحدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع، وتحدثت عن عثمان وعلي رحمهما الله، ولم أتحدث عن الشيخين حديثا خاصا بهما مقصورا عليهما."<sup>١١٤</sup>

ولم يرد بهذا الكتاب أن يثني عليهما مع حبه لهما "وأنا مع ذلك لا أريد إلى الثناء عليهما وإن كانا للثناء أهلا"<sup>١١٥</sup>. ثم احتج ذلك أنهما كان يكرهان الثناء أشد الكره. ثم بين رأيه في رواية القدماء عنهما " فالقدماء قد أكبروا

<sup>١١٣</sup> حسين، طه. الشيخان. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣، ص ٧.

<sup>١١٤</sup> نفس المرجع، ص ٨.

<sup>١١٥</sup> نفس المرجع، ص ٧.

هذين الشيخين الجليلين إكبارا يوشك أن يكون تقديسا لهما... وكان كثير من هذا الكذب مصدره الإكبار والتقديس".<sup>١١٦</sup> وكذلك يرى ليس من اليسير التأريخ للمواقع الحربية دقيقا صادقا، بريئا من الإسراف والتقصير. ويرى أن القدماء المؤرخين من العرب لم يعرفوا أخبار الانتصار إلا من رواة العرب ومواليهم ولم يسمعوها من المهزمين بين فرس وروم بل سمعوا صوتا واحدا هو الصوت العربي. ثم ذكر منهجه في هذا الكتاب "من أجل هذا كله، أعرض عن تفصيل هذه الأحداث كما رواها القدماء وأخذ عنهم المحدثون في غير بحث ولا تحقيق".<sup>١١٧</sup> "أنا إذن لا ألمي هذا الحديث لأثني على الشيخين، ولا لأفصل تاريخ الفتوح في عصرهما؛ وإنما أريد إلى شيء آخر مخالف لهذا أشد الخلاف، أريد أن أعرف وأن أبين لقارئ هذا الحديث شخصية أبي بكر وعمر - رحمهما الله - كما يصورها ما نعرف من سيرتهما، وكما تصورها الأحداث التي كانت في عصرهما".<sup>١١٧</sup>

مع ما ذكر طه حسين في مقدمة 'الشيخان' قيل فإنه ينقل الكثير من الروايات المكذوبة والشاذة دون أن يتثبت من صحتها، هو فقط ينظر إلى الرواية بعقله وتحليله الشخصي، فإن وافقت هذه الرواية عقله نقلها دون النظر إلى صحتها ولا غرابتها، وهذا ما يفعله الإنسان عندما يتحدث في غير ميدانه.<sup>١١٨</sup>

## ملحمة عمر لعلي أحمد باكثير

نبذة عن المؤلف: هو علي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩) هو شاعر كاتب مسرحي روائي مصري يعود أصله إلى حضرموت من اليمن. وكان يتقن اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية واللغة الملايوية. وأعماله تنوعت بين الرواية والمسرحية النثرية والشعرية. وقد ألف كثيرا من المسرحيات السياسية

<sup>١١٦</sup> نفس المرجع، ص ٨

<sup>١١٧</sup> نفس المرجع، ص ٩

<sup>١١٨</sup> "كتاب الشيخان - طه حسين". <https://a5dr.com/wiki/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%86%20%D9%8A%D8%AA%D8%B7%D9%87%D8%AD%D8%B3%D9%8A%D9%86/%D9%88%D9%81%D9%8A%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%20%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE%D8%A7%D9%86%20%D9%8A%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%AB%D8%AA%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D9%84%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D8%AF%D8%A7%D8%AB%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%20%D8%AD%D8%AF%D8%AB%D8%AA%20%D8%B9%D9%87%D8%AF%D9%8A%D9%87%D9%85%D8%A7> Wikipedia, The free encyclopedia 22-03-2-2023



والتاريخية. وقد قال الأديب نجيب الكيلاني عنه: " يتميز بخطه الإسلامي وفكره السياسي المبلور، وتعبيره الواعي من خلال مسرحياته وقصصه عن قضايا إسلامية معاصرة" ومن أبرز أعماله: الثائر الأحمر، وإسلاماه، سلامة القدس، هكذا لقي الله عمر، التوراة الضائعة.

نبذة عن الكتاب: هي مسرحية ألفت على يد علي أحمد باكثير عام ١٩٦٣ وتم نشرها سنة ١٩٦٩. وقسم المؤلف هذا الكتاب إلى تسعة عشر جزءا. وتناول فيها سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تولية الخلافة إلى استشهاده. ورغم أنها كتبت بشكل النثر لا بالشعر أطلق عليها المؤلف اسم ملحمة اعتبارا لطولها حيث لا يمكن أن تسمى مسرحية، وتحتاج هذه المسرحية إلى خمس عشرة ليلة على الأقل من العرض على المسرح. وملحمة عمر هي ثاني أطول مسرحية بعد ملحمة الحكام للشاعر الإنجليزي توماس حيث نظم شعرا عن حروب نابليون في تسعة عشر فصلا بل يرى باكثير أن عمله أطول من ملحمة الحكام.

وحصل علي أحمد باكثير على منحة في عام ١٩٦١ وتفرغ سنتين لكتابة هذه الملحمة وجمع وقرأ ما لا يقل عن مائة وخمسين مرجعا تحتوي على أكثر من ثلاثين ألف صفحة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية. وامتاز أسلوبه بحسن السبك وتماسك البناء وروعة الحوار. وقد استخدم فيها المؤلف لغة في صدر الإسلام بما فيها من الجزالة والأسلوب الأصيل حتى يشعر القارئ أنه أحد معاصري عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد قصد باكثير من هذا الكتاب أن يشاهد الناس عدل الإسلام وسماحته ممثلة في عمر بن الخطاب في حين كان الناس ينظرون إلى الشرق والغرب لأنظمة الحكم التي تحقق لهم العدل والحرية والديمقراطية. لم يتحقق حلم باكثير لتمثيل هذه المسرحية على المسرح بسبب رفض الأزهر تمثيل شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويرى أن موقف الأزهر موقف متناقض لأنهم أجازوا تمثيل بعض الصحابة دون غيرهم. ويرى باكثير أن المسرح والتمثيل من الوسائل الجديدة تنبغي أن تستخدم للدعوة الإسلامية، ولا يرى بأسا

في تمثيل شخصيات الصحابة إذا اتخذت الاحتياطات اللازمة. وأنتج من أحد أجزاءها فيلم سينمائي بعنوان "القادسية"، أخذ هذا الفيلم قصته عن جزء "أبطال القادسية".<sup>١١٩</sup>

## عمر يظهر في القدس لنجيب الكيلاني

نبذة عن المؤلف: نجيب الكيلاني (١٩٣١-١٩٩٥) هو طبيب وشاعر وكاتب وروائي مصري. وانشغل دائما بكتابة أحوال المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وألف روايات ليعرض أحوال المسلمين في بلد معين. ووصفه نجيب محفوظ بأنه "منظر الأدب الإسلامي" له نحو سبعين مؤلفة ما بين الرواية والقصة والكتب الأدبية والعامّة، وكلها كتبت من حدود الأدب الإسلامي. ومن أبرز مؤلفاته: قاتل حمزة، الطريق الطويل، اليوم الموعود، في الظلام.

نبذة عن الكتاب: هي رواية إسلامية كتبها نجيب الكيلاني عام ١٩٧١، أي في أعقاب هزيمة ١٩٦٧. ولم يعد هذا الكتاب من أنواع السيرة بل حاول الكاتب فيه التعبير عن قضية الفلسطينيين بأسلوب مختلف خارج عن الأسلوب المألوف، وقد تناول الكاتب في هذه الرواية الكثير من المعلومات الإسلامية والتاريخية، وصور بعض الصفات لعمر بن الخطاب رضي الله عنه. وتدور أحداث الرواية حول ظهور عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدينة القدس في العصر الحديث، فيروي هذه القضية شاب من الفدائيين، لم يبلغ من التدين الكثير، ومع ذلك لعب دورا مهما في تخليص أرضه من الأعداء المحتلين. ويبدأ الكيلاني الرواية بمقارنة بين أحوال المسلمين في هذا الزمان وبين زمن صحابة رضوان الله عليهم، ويبين الفوارق بين هذين الزمنين من جوانب عدة، خصوصًا فيما يتعلّق بالمجد والعظمة للدولة الإسلامية في ذلك الوقت، وضعفها في هذا الزمان.

<sup>١١٩</sup> د الزبيدي، عبد الحكيم. "ملحة عمر لباكثر". رابطة أدباء الشام. ٢٢-٠٣-٢٠٢٣م.

<http://www.odabasham.net/%D9%81%D9%86%D9%88%D9%86/35922-%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A9-%D8%B9%D9%85%D8%B1-%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%83%D8%AB%D9%8A%D8%B1>

فظهر عمر بن الخطاب ؓ فجأة أمام الراوي ويرى الأحوال التي وصلت إلى حال المسلمين، ويحاول عمر ؓ أن يرشد الناس إلى الإسلام، ويوضح كثير من خفايا الدين وينصحهم بما يتعلق بأحوال المسلمين والكلام الذي قاله المؤلف على لسان عمر ؓ يجعل القارئ أن يعيش في ذلك الزمن الجميل وهذا الكلام يظهر شخصية عمر بن الخطاب ؓ وبعض صفاته ؓ مثل العدل والقوة والعزة والصدق، فتمكن لعمر ؓ أن يؤثر في كثير من الناس، حتى أن فتاة يهودية أسلمت على يديه. ولكن هذه الفتاة تقتل على يد الإسرائيليين بعد أن أعلنت إسلامها. وقد صور دهشة عمر بن الخطاب ؓ من التكنولوجيا في العصر الحديث كما يصور المؤلف إعجاب كثير من الناس بعد معرفة أن عمر بن الخطاب ؓ بنفسه قد ظهر بعد ثلاثة عشر قرناً. ويختفي عمر بن الخطاب ؓ مثل ما ظهر فجأة وتنتهي الرواية على أمل أن يخرج من المسلمين من يعيد لهم عزتهم ومن يحرر القدس من عدوهم.

### الفاروق عمر بن الخطاب لعبد الرحمن الشرقاوي

نبذة عن المؤلف: هو عبد الرحمن الشرقاوي (١٩٢١-١٩٨٧) شاعر وأديب وصحافي ومؤلف مسرحي ومفكر إسلامي مصري. وحصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب عام ١٩٧٤. وله رواية 'الأرض': تعتبر أول تجسيد واقعي في الإبداع الأدبي العرب الحديث. وقد جمع بين الأسلوب الأدبي والعلمي في كتابة التراجم الإسلامية ومنها: محمد رسول الله الحرة، الفاروق عمر، على إمام المتقين، الصديق أول الخلفاء، عثمان ذو النورين.

نبذة عن الكتاب: ألف عبد الرحمن الشرقاوي هذا الكتاب عام ١٩٨٧ م. وتميز الكاتب في تسمية الفصول من كتاب السير القدماء لعمر بن الخطاب ؓ، وقد صور المؤلف حياة عمر بن الخطاب ؓ في ثمانية فصول وهي: في رحاب النبوة، الفاروق مع الصديق، أمير المؤمنين، غلبت الروم، نصر من الله، فتح الفتوح، هموم الخليفة، "يا رب: كثرت رعيتي، وكبرت سنى"

فتناول الكاتب "في رحاب النبوة" حياته في الجاهلية وإسلامه وهجرته وما نزل من القرآن موافقا لعمر ﷺ وتناول صرامته في الرأي مع النبي ﷺ. وفي فصل "الفاروق مع الصديق" بين قصة بيعة عمر ﷺ وما جرى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من اختلاف في بعثة أسامة رضي الله عنه وفي مانع الزكاة وفي مسألة عزل خالد بن الوليد. وكذلك تناول إشارة عمر ﷺ إلى أبي بكر ﷺ في جمع القرآن وانتهى هذا الفصل باستخلاف عمر ﷺ وفي فصل "أمير المؤمنين" صور الكاتب صفات عمر بن الخطاب ﷺ خصوصا بعد خلافته ومواقف عمر رضي الله عنه مع الرعية وفي فصل "نصر من الله" حكى الفتوحات مع فرس وفي فصل "فتح الفتوح" تناول أحداث معركة القادسية وكذلك قص أحداث نهاوند. وتناول المؤلف في "هموم الخليفة" بعض همومه التي كان يخاف الخليفة بعد ما توسع الدولة الإسلامية، مثل أن يتنافس المسلمون بينهم في عرض الدنيا وأن يمزج العرب مع غير العرب ورجعة التقاليد الوثنية إلى المسلمين وغيرها.

وامتاز أسلوب الكاتب ببساطة اللغة وحاول أن يجمع فيها الأسلوب العلمي والأدبي ونجح عبد الرحمن الشرقاوي في تصوير شخصية عمر ﷺ وصفاته خلال ذكر الروايات للأحداث التاريخية. واهتم المؤلف بتصوير شخصية عمر ﷺ وأعماله الإدارية والسياسة أكثر من أحوال عصره. وقام الكاتب بالتحليل بعض الأحداث التاريخية مفصلا. وكذلك نجح في نقل معلومات كثيرة عن عمر ﷺ وعصره في كلمات وجيزة.

**فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره لعلي**

### **محمد محمد الصلابي**

نبذة عن المؤلف: هو الدكتور علي محمد محمد الصلابي هو فقيه، وكاتب ومؤرخ ومحلل سياسي من مواليد مدينة بنغازي بليبيا في عام ١٩٦٣. واعتقلته حكومة القذافي فترك ليبيا وواصل دراسته في المملكة العربية السعودية والسودان واعتنى الصلابي بدراسة تفسير القرآن والتاريخ الإسلامي وفقه السنن. وقد اشترك في لجنة المراجعة التاريخية وقام بمراجعة النصوص التاريخية عدة. وله مؤلفات أكثر من ستين ومنها: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، وسير الخلفاء الراشدين، والدولة الحديثة المسلمة.

نبذة عن الكتاب: هذا كتاب ألف على يد علي محمد الصلابي عام ٢٠٠١. هذا الكتاب من سلسلة تاريخ خلفاء الراشدين له بعد كتابه " أبو بكر الصديق شخصيته وعصره". وقصد المؤلف من هذا الكتاب أن يكون درسا وعبرا لأبناء المسلمين لما شجعه أحد العلماء على دراسة عصر الخلفاء الراشدين إذ قال له "لقد أصبحت هناك فجوة بين أبناء المسلمين وذلك العصر، حدث خلط في ترتيب الألويات حيث صار الكثير من أبناء المسلمين يلمون بسيرة الدعاة والعلماء والمصلحين أكثر من إمامهم بسيرة الخلفاء الراشدين وإن ذلك العصر غني بالجوانب السياسية والتربوية والإعلامية والأخلاقية والاقتصادية والفكرية والجهادية والفقهية التي نحن في أشد الحاجة إليها"<sup>١٢٠</sup> وبين الكاتب في مقدمة الكتاب منهجه فيه حيث قال " وابتعدنا عن الروايات الضعيفة والموضوعة وعن كتب المستشرقين وأذناهم من العلمانيين والروافض وغيرهم واعتمدنا منهج أهل السنة في الدراسة"<sup>١٢١</sup> وقام المؤلف بنفسه بتخريج الأحاديث والآثار والأخبار.

وأورد الكاتب فيه أخبارا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منذ ولادته حتى استشهاده وحاول أن يبين كيف فهم عمر رضي الله عنه الإسلام وكيف أثر عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أحداث عصره وتناول جوانب شخصيته المتعددة مثل السياسية والعسكرية والإدارية والقضائية وكذلك تناول حياته في المجتمع وركز على بيان دوره في تطوير المؤسسات المالية والقضائية والإدارية والعسكرية.

### استرداد عمر من السيرة إلى المسيرة لأحمد خيرى العمري

نبذة عن المؤلف: هو الدكتور أحمد خيرى العمري كاتب إسلامي وطبيب من مواليد مدينة الموصل ولد في عام ١٩٧٠. وتخرج طبيا للأسنان من جامعة بغداد عام ١٩٩٣. ويصل نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو باحث في فكر النهضة المستند على قيم الثوابت القرآنية. وإنه جمع في مؤلفاته بين اتجاه تجديدي

<sup>١٢٠</sup> الصلابي، علي محمد محمد. فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره. ط ١. الشارقة: مكتبة الصحابة، ٢٠٠٢. ص ٥.

<sup>١٢١</sup> نفس المرجع، ص ٦

في تناول الموضوعات والأسلوب الأدبي. ومن أعماله البارزة: البوصلة القرآنية، والفردوس المستعار والفردوس المستعاد، بيت خالتي.

نبذة عن الكتاب: ألف هذا الكتاب عام ٢٠١٣. وليس هذا الكتاب مجرد حكاية لسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بل هذا الكتاب أشبه بدراسة تتناول أفكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفهمه للقرآن الكريم والسنة النبوية. ويبحث فيه الكاتب عن نتيجة هذه الأفكار والفهم في العالم الإسلامي وحاول أن يكشف أثرها في قيام الدولة الإسلامية. ويرى الكاتب فهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي بنى الدولة الإسلامية وسبب هذا الفهم الفتوحات الإسلامية في جميع البلدان وكذلك بنى هذا الفهم دولة قائمة على العدل. وحاول أحمد خيرى العمري بكتابة جميع الجوانب الخاصة بشخصية عمر رضي الله عنه حيث دخل الكاتب إلى أعماق شخصية عمر رضي الله عنه خصوصاً في أيام الخلافة وأمور الإدارية والسياسية.

ويبدأ الكاتب هذا الكتاب بمقدمة يبين فيها سبب تأليف هذا الكتاب ثم في الفصل التالي بين سبب اختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون غيره من الصحابة رضوان الله عليهم حيث يقول: "لن أقول إنني أنوي كتابة سلسلة من سير الصحابة، أكتب عن عمر فحسب ولا أرى أني سأكتب عن سواه رضوان الله عليهم أجمعين. (على الأقل لا أرى ذلك الآن) ... بالضبط: فهم عمر للقرآن وللسنة النبوية.. هو ما أقصده بمدخلنا.<sup>١٢٢</sup> ويرى الكاتب قد غشى الضعف الدول العربية والإسلامية وجميع شعوبها فتعيش عيشة ذليلة لذلك قام بفكرة تأليفه وسعى لاسترداد عمر رضي الله عنه من كتب السير في المكتبات إلي الواقع الذي نعيش فيه.

ويتميز أسلوب الكتاب ببساطة اللغة وقصر العبارة وأسئلة تثير الفكر ويعظ الكاتب الشعوب الإسلامية أن يقوموا بتطبيق الفكر العمري لقيام الدولة مرة أخرى من جديد حيث يقول: "أن لنا أن نخرج عمر بن

<sup>١٢٢</sup> العمري، أحمد خيرى. استرداد عمر من السيرة إلى المسيرة. ط١. جدة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٣. ص ١٢

الخطاب من خانة كتب السيرة على رفوف المكتبة، إلى مسيرتنا اليومية.. إلى حياتنا.. أن لنا أن نخرج فهم عمر بن الخطاب للقرآن، وللسنة النبوية من كتب التاريخ إلى التطبيق العملي..<sup>١٢٣</sup>

### عندما التقيت عمر بن الخطاب لأدهم شرقاوي

نبذة عن المؤلف: أدهم شرقاوي كاتب روائي صحافي فلسطيني من مواليد مدينة صور اللبنانية في عام ١٩٨٠. وتخرج في الأدب العربي من الجامعة اللبنانية في بيروت. وعمل صحافيا في جريدة الوطن القطرية. وأدهم شرقاوي يخلط بين الأسلوب الأدبي وبين القيم المفاهيم الإسلامية الصحيحة في جميع كتبه. وهو معروف بين قرائه باسم مستعار "قس بن ساعدة". ومن أبرز أعماله: مع النبي، السلام عليك يا صحابية، رواية ثاني اثنين.

نبذة عن الكتاب: هذا كتاب ألف على يد أدهم شرقاوي ٢٠١٨. ويعتبر هذا الكتاب من الروايات التاريخية وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأسلوب جديد لم يسبق إليه آخرون. ويتخيل المؤلف أنه التقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجها لوجه وفي هذا اللقاء يحاوره عن مواقف عديدة شهد عليها وعاشها. وقد اعتمد الكاتب في إجابات عمر رضي الله عنه على أخبار وأحداث من سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا إضافة إلى كلام المؤلف الإنشائي الذي أضافه من تلقاء نفسه لتجري السيرة على شكل الحوار. يلاحظ هذا لما يسأل المؤلف لعمر بن الخطاب عن اسمه في لقائه الأولى له " عمر هازم الروم وفارس ومحطم الإمبراطوريات؟ كان جواب عمر: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نسب أحب إلي من هذا".<sup>١٢٤</sup> ولو كان هذا الجواب من إنشاء الكاتب من المعلوم أن عمر رضي الله عنه كان متواضعا لا يحب مثل هذا الثناء. ويعرض من خلال هذه الحوارات أهم النقاط في سيرة عمر رضي الله عنه ويصور طبيعته وصفاته والحزم واللين في شخصيته. ثم جاء الكاتب بعد ذلك بموافقة القرآن الكريم لبعض آراءه وقام بتفصيلها ثم ينقل الكلام

<sup>١٢٣</sup> نفس المرجع، ص ٤٤٥.

<sup>١٢٤</sup> شرقاوي، أدهم. عندما التقيت عمر بن الخطاب. ط ١. دولة الكويت: دار الكلمات للنشر والتوزيع، ٢٠١٧. ص ١٠.

إلى المرأة وأهميتها ومكانتها في الإسلام. وبعد ذلك يتناول مجال الشعر فالعاكفة فالعائلة وأمور التربية والحقوق والفراسة والسياسة. وتناول جميع هذه الأحداث في الأسلوب الحوارى الجذاب ثم يتحدث الكاتب عن عدله وأهل الذمة. وقام أدهم شرقاوى بمقارنة بين شخصية أبى بكر وعمر رضي الله عنهما. وأنهى الكتاب بقصة مقتله.

ويحكى الكاتب سيرة عمر بن الخطاب ؓ في أسلوب الحوار السلس حيث يفهمه الجميع وقد صور سيرته بأسلوب رائع يجعل القارئ يقرأ التاريخ كأنه أحد معاصريه واتخذ الكاتب الحوار طريقة لسرد الأحداث خلال حوار دار بين الأديب وعمر بن الخطاب ؓ واتسمت الأسئلة بالروعة والإجابات بالصدق وفق التسلسل الزمنى للأحداث.



## الباب الثاني: تحليل كتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل

- الفصل الأول: محمد حسين هيكل حياته وشخصيته
- الفصل الثاني: السير الإسلامية لمحمد حسين هيكل
- الفصل الثالث: ميزات كتاب 'الفاروق عمر'

## الفصل الأول

### محمد حسين هيكل حياته وشخصيته

#### نشأته وثقافته

ولد محمد حسين هيكل في كفر غنام إحدى القرى بمصر سنة ١٨٨٨ م. لحسين أفندي سالم هيكل وكان سيد قومه وعشيرته وكان يحتل منصبا رفيعا بين أعيان المركز ورجال الحكومة لأن العمد في ذلك الوقت كانوا أداة ارتباط بين أهالي الريف والحكومة وما يتعلق بها من شؤون وأعمال.

وإنه أقبل على التعليم مبكرا، وكان هيكل ذا ثقافة متنوعة، ترجع المنابع التي تلقاها هيكل ثقافته إلى شيئين: الأول الثقافة العربية، والثاني الثقافة الغربية خاصة الفرنسية وقد ظهر أثرهما بجلي في مؤلفاته وأدبه. وكان مولعا إلى دراسة الأدب العربي منذ أن دخل المدرسة حيث اطلع على الأدب العربي الحديث والقديم، ويقول هيكل "كنت منصرفا إلى قراءة أمالي القالي، أغاني الأصفهاني، والبيان والتبيين للجاحظ، وقراءة المؤلفات المصرية الحديثة جميعا."١٢٥ ومن الكتب التي عجب منها هيكل: ألف ليلة وليلة وقصة حي بن يقظان وقصص عنتره ورأس الغول وغيرها.

وأثرت مشاركته في الندوات في ثقافته العربية، حيث كان يشارك في الندوات التي تنعقد على رئاسة أستاذه أحمد لطفي السيد في دار الجريدة وكان يشارك فيها كثير من كبار الشعراء والكتاب وأساتذة اللغة ومشايخ الفنون الأخرى وغيرهم. وساهمت قراءته للصحف والجرائد بشكل يومي مساهمة غير قليل لإثراء ثقافته العربية وكان يواظب قراءة الجرائد مثل المؤيد، واللواء، والجريدة، والعروة الوثقى. فيلاحظ من كل هذا أن ثقافته العربية كانت مستفاداة من المنابع العربية الأصلية.

١٢٥ هيكل، محمد حسين. مذكرات في السياسة المصرية. ج ١. القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٣. ص ٣٢.

أما ثقافته الغربية: فتستمد من إقامة هيكل في الدول الغربية لسنوات عديدة، وخاصة في فرنسا، ومعرفته بثقافة ذلك البلد، وانفتاحه على تراثها الفكري والأدبي، كل هذا أثر عليه، بل أسهم بشكل كبير في تكوين ثقافته فقد كان " كان تكوينه الثقافي متصلًا أشد اتصالًا باتجاهات التجديد في باكورة شبابه وبامتداد الموجة الغربية، حيث أذنت البيئة المصرية بتقبل آثار امتداده ولم يعد أمام هيكل إلا أن يطبع تلك الموجة الغربية بطابع بيئته وجيله."<sup>١٢٦</sup>

تكونت ثقافته الغربية من الفكر الإنكليزي والفكر الفرنسي لكن مساهمتهما لم تكن على حد سواء، وعلى الرغم من قراءته للفكر الإنكليزي والأدب الإنكليزي، إلا أنه لم يتأثر بهما بشكل واضح، بل كان اتصاله بالثقافة الإنكليزية جانبيا غير أصيل. أما بالنسبة للثقافة الفرنسية، فقد استمد هيكل منها الكثير من توجهاته الفكرية وتأثر بها على نطاق واسع حتى نراه لما يكتب يومياته المخطوطة يذكر كثيرا من أسماء الكتب الفرنسية التي طالعها وأسماء الكتب المنقولة إلى الفرنسية وبين تأثيرها في عالمه الفكري والأدبي. ويقول هيكل عن تجربته في فرنسا " هذا أول ذهابي إلى فرنسا وابتدأت أتعلم اللغة الفرنسية ابتدأت أطلع في قصص وكتب أدبية وأزور التياترات طلبا للنطق العذب واللسان الفصيح بين هذه الروايات والقصص وجدت ما كتبتة أقلام كتاب معروفين لنا ممن لهم مكانة خاصة في نفسى مثل جان جاك روسو وفلتر، فقرأت مما كتبوا ومما كتب عنهم وتدرجت منهم إلى قراءة العصريين حتى جاء وقت كنت لا أقرأ فيه كتابا المؤلف قديم."<sup>١٢٧</sup>

فلعل سبب إيثار هيكل الثقافة الفرنسية على الثقافة الإنكليزية إقامته في فرنسا مدة طويلة حيث تمكن أن يعرف الحياة الفرنسية عن قرب وأن يأخذ اللغة من منبعها الأصلي. وكذلك ربما يرجع سبب هذا الإيثار إلى عامل نفسي، لأن بريطانيا لعبت دورًا سياسيًا سلبيًا في العالم العربي، فشعر هيكل بكرهية

---

<sup>١٢٦</sup> زعرب، أحمد موسى محمد. اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل. دراسة أدبية تحليلية نقدية. ٢٠١٧. الجامعة الإسلامية بغزة. ص

١٢.

<sup>١٢٧</sup> هيكل، محمد حسين. مذكرات الشباب. وندسور: مؤسسة هندواي، ٢٠١٢. ص ١٩٤.

شديدة إياها، مما أثر سلباً على الإقبال والتأثر بالثقافة الإنجليزية. إضافة إلى إقامته في فرنسا أغنت مطالعته على الأدب الفرنسي ثقافته الغربية، يقول أحمد زلط في كتابه 'الدكتور محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية' "فقد قرأ هيكل أثناء دراسته بجامعة باريس أهم المؤلفات العصرية من كتب إنجليزية وفرنسية إلى قراءة أكثر وأشمل، فقرأ (الحرية) و(الحكومة النيابية) لجول ستيورات مل، و(العدل) لسبنسر، و(الأبطال) و (الثورة الفرنسية) لكارليل وغيرهم."<sup>١٢٨</sup>

### حياته الصحفية

بدأ هيكل حياته الصحفية لما كان طالباً في مدرسة الحقوق منذ ١٩٠٧. ثم واصلها أن يكون رئيس التحرير لجريدة "السياسة" وهي جريدة الأحرار الدستوريين ولسانهم المعبر عنهم وكان في رئاستها منذ أول صدورها سنة ١٩٢٢. فنشرت مقالاته عن الجبرية والقدرية في مجلة "المقتطف". وظهرت له مقالات في الأهرام، ويتناول فيها القضايا السياسية مثل الديمقراطية وحق مصر في الحرية والسيادة.

وقد كتب عدة مقالات في "الجريدة" حتى عام ١٩١٥. وقد عبر هيكل عن سرور نشر مقالته الأولى قائلاً "وما كان أعظم سروري يوم ظهر لي أول مقالة فيها، لم تكن مقالة سياسية، ولكنها كانت عن حرية المرأة، وقد أبدى لطفي السيد تقديره بأسلوب وطريقة تفكير فزاد ذلك في تشجيعي".<sup>١٢٩</sup> وكانت بعض المقالات التي كتبها في هذه المدة تتعلق بالقضايا القانونية مثل "معاقبة المجرم في المحاكم المصرية" و"قانون شركات التعاون الزراعية" و"وجوب إعادة النظر في أحكام الإعدام" وكان يوقع في مقالاته 'بهيكلم المحامي' ولم تستمر كتابته في "الجريدة" طويلاً لما اضطرت إلى الوقوف عن الصدور عام ١٩١٥. ففكر هيكل وطائفة من رفقاءه في إصدار جريدة جديدة باسم "السفور" لتواصل ما كانوا يكتبون في 'الجريدة'. ومنهم

<sup>١٢٨</sup> زعرب، أحمد موسى محمد. اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل. دراسة أدبية تحليلية نقدية. ص ١٢

<sup>١٢٩</sup> هيكل، محمد حسين. مذكرات في السياسة المصرية. ص ٣١.

مصطفى عبد الرزاق، وطه حسين، ومنصور فهمي، وعبد الحميد حمدي كان سكرتيراً للتحريير " الجريدة" وظلوا ينشرون مقالاتهم مدة ثلاث سنوات من ١٩١٥ إلى ١٩١٨.

ولكنهم لم يتناولوا في مقالاتهم القضايا السياسية بسبب الرقابة التي فُرضت على الصحف إبان الحرب، بل تطرقوا إلى المقالات الأدبية والاجتماعية. وتذهب الباحثة نجاح طلعت عطية إلى لعل أبرز ما كتبه هيكل في جريدة "السفور" سلسلة المقالات عن قاسم أمين. وشرح فيها مساهمته في إصلاح المجتمع والدعوة للنهضة الحديثة. وحظيت هذه الجريدة بالاهتمام بسلسلة المقالات المنشورة فيها التي استمرت لسته أسابيع واتخذت شكل جدال ونقاش بين طه حسين وهيكل. ولكن بالاتفاق المسبق أن يكتب له طه حسين مقالاً يؤيد فيه نظرية أن الحروب تدفع الإنسانية إلى الأمام، ويكتب هيكل ردا لهذا الموضوع. وكان الغرض من هذه السلسلة حث الشباب على التفكير ومتابعة القراءة. وقد تحدث هيكل عن هذا في مذكراته أن هذا سبب بشيء من العنف بينهما وإن لم يغير صداقتهما.

### حياته السياسية

كان هيكل متعدد المواهب، وغنيا بالخبرة، وظهرت سمات القيادة في شخصيته، لذلك تمكن أن يترك صمته في السياسة، فتم اختياره لتولي الوزارة للمرات. وفي المرة الأولى تم تعيينه وزيرا للدولة في وزارة الداخلية في وزارة محمد محمود باشا سنة ١٩٣٧، يقول هيكل عن ذلك " هذه هي المرة الثالثة التي يتغير فيها اتجاه حياتي تغيراً جوهرياً منذ بدأت حياتي العملية. اشتغلت بالمحاماة منذ شهر ديسمبر ١٩١٢، واشتغلت بالصحافة منذ شهر أكتوبر ١٩٢٢، وكنت أكتب الكتب وأؤلف الكتب منذ كنت طالبا في الحقوق، وها أنا ذا اليوم أبدأ حياة جديدة هي حياة الوزير، وأبدأها وزير دولة في وزارة الداخلية"<sup>١٣٠</sup>. وفي المرة الثانية تم تعيينه وزيرا للشؤون التربية والتعليم في وزارة محمد محمود باشا الثاني سنة ١٩٣٨. وفي

<sup>١٣٠</sup> عطية، نجاح طلعت. محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢. ١٩٩٣. بيروت: الجامعة الأمريكية ص ١٢٦.

المرّة الثالثة أصبح وزيراً للمعارف في وزارة حسن صبري سنة ١٩٤١. ثم استمر وزيراً للمعارف والشؤون الاجتماعية في وزارة أحمد ماهر حتى ١٩٤٥.

أما في الانتخابات البرلمانية فقد ترشح مرتين: الأولى كانت عام ١٩٢٦ عندما طلب منه سعد زغلول الترشح عن الدائرة "الجمالية" من دوائر القاهرة، ولم يساعده سعد في حملته الانتخابية كما كان يفترض فخسر فيها. والمرّة الثانية عندما رشحه حزبه عن الدائرة التي تشمل قريته، لكنه تنازل لأخي لطفي السيد، بناء على طلب لطفي.

أنجز هيكل أثناء توليه رئاسة وزارة التربية العديد من الإنجازات. أهمها:

- ١- دعا إلى فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية.
- ٢- تقسيم المحافظات إلى مناطق تعليمية، وإقرار القانون والنظام فيها.
- ٣- التعريف بموضوع الرياضة البدنية في المراحل التعليمية المختلفة.
- ٤- دعا إلى استقلال الجامعات عن وزارة التربية والتعليم.
- ٥- دعا إلى إلغاء تدريس اللغة الإنجليزية في السنة الأولى الابتدائية من أجل تقوية التلاميذ في اللغة العربية الفصحى.
- ٦- دعا إلى أن يكون للجامعة نظامها المستقل الخاص بتعيين أعضاء هيئة التدريس وترقياتهم ورواتبهم وشؤون أخرى.
- ٧- بذل جهوده على إنشاء جامعة الإسكندرية باسم فاروق الأول، حيث لم يكن هناك سوى جامعة القاهرة في مصر وعين شمس.
- ٨- دعا إلى أن يكون مدير دار الكتب ومدير سلطة الآثار من المصريين.
- ٩- دعا إلى ضرورة الاهتمام بإعداد معلم اللغة العربية.<sup>١٣١</sup>

<sup>١٣١</sup> زعرب، أحمد موسى محمد. اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل. ص ٣٣.

١٠- اشترك هيكل أيضا في وضع ميثاق جامعة الدول العربية.

## مؤلفاته

ساهم محمد حسن هيكل مساهمة كبيرة بمؤلفاته للأدب العربي الحديث وله مؤلفات كثيرة، ولم تكن مؤلفاته مختصرة على مجال واحد بل انتشرت مساهماته في مختلف العلوم والفنون والمباحث الأدبية والفكرية العربية والغربية والفلسفية والسياسية والاجتماعية والدينية. ولا سيما له مؤلفات بارزة في المجال الإسلامي والتاريخ.

ويذهب أحمد زلط أن محمد حسين هيكل مستحق أن يكون من الكتاب الموسوعيين لكثرة مؤلفاته ولتنوع موضوعاته فيما يقول: "هيكل بشخصيته الموسوعية، وخبراته الطويلة، وأسفاره الكثيرة أراد أن يضيف إلى آثاره الفكرية مؤلفات عامة يث فيها انطباعاته أو مواقفه أو رؤيته لمنجزات الحضارة وتطور المجتمعات لذا تعد مؤلفات هذه المجموعة في غاية الأهمية"<sup>١٣٢</sup>

ترك هيكل أكثر من عشرين كتبا ومن أبرزها:

▪ رواية زينب (١٩١٤)

▪ في أوقات الفراغ (١٩٢٥)

▪ تراجم مصرية وغربية (١٩٢٩)

▪ ولدي (١٩٣١)

▪ ثورة الأدب (١٩٣٣)

▪ حياة محمد (١٩٣٥)

▪ في منزل الوحي (١٩٣٧)

---

<sup>١٣٢</sup> زلط، أحمد. محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨. ص ١٣٠.

- الصديق أبو بكر (١٩٤٢)
- الفاروق عمر (١٩٤٤)
- هكذا خلقت (١٩٥٥)
- الإمبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة (١٩٦٠)
- الإيمان والمعرفة والفلسفة (١٩٦٤)
- عثمان بن عفان: بين الخلافة والملك (١٩٦٤)
- قصة مصرية (١٩٦٩)

إضافة إلى هذه الكتب له مقالات عديدة منشورة في الصحف يبلغ عددها إلى ثلاثمائة وتسع وخمسين،  
قد تم جمعه على يد ابنه أحمد في ستة أجزاء وهي:

الجزء الأول: عن الأدب العربي

الجزء الثاني: عن الأدب والفن

الجزء الثالث: عن السياسة والديمقراطية

الجزء الرابع: عن الإصلاح الاجتماعي والثقافي

الجزء الخامس: عن مصر والحياة الدولية

الجزء السادس: ذكريات وعبر



## الفصل الثاني

### السير الإسلامية لمحمد حسين هيكل

ترك محمد حسن هيكل مؤلفات عديدة لمكتبات الأدب العربي الحديث، ولم تكن مؤلفاته مختصرة على مجال واحد بل اتسعت مساهماته إلى مختلف العلوم والفنون والمباحث الأدبية والفكرية العربية والغربية والفلسفية والسياسية والاجتماعية والدينية. ولا سيما له مؤلفات بارزة في المجال الإسلامي والتاريخ. ويذهب شوقي ضيف إلى أن هيكلًا عندما ألف كتب التاريخ كان واسع النظرة، وامتقن البحث وهو يقول "يعمد إلى مصادر الإسلام الأولى فيلقي عليها أضواء جديدة بمباحث تاريخية في الرسول الكريم محمد، وصاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - ومن المحقق أنه يتفوق في الكتابة التاريخية لاتساع نظرتة، ودقة بحثه."

١٣٣

وقد ألف محمد حسين هيكل سير بعض الشخصيات الإسلامية ومنها: حياة محمد، الصديق أبو بكر، الفاروق عمر، عثمان بن عفان: بين الخلافة والملك. وسيأتي تحليل هذه السير فيما يأتي.

### حياة محمد

ألف محمد حسن هيكل هذا الكتاب سنة ١٩٣٥. وقد حصل هذا الكتاب على قبول كبير في أوساط الأكاديمية والعلمية أكثر من كتب السير الباقية له، وقد قدم الكاتب فيه سيرة رسول الله ﷺ في أسلوب جديد حيث جمع بين الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي. وقد بين هيكل بنفسه في مقدمة هذا الكتاب وهو يقول "لست مع ذلك أحسب أنني أوفيت على الغاية من البحث في حياة محمد؛ بل لعلي أكون أدنى إلى الحق إذا ذكرت أنني بدأت هذا البحث في العربية على الطريقة الحديثة."<sup>١٣٤</sup> ويرى محمد مصطفى المراغي مقدم لهذا الكتاب أن طريقته طريقة القرآن وهو أن يجعل العقل حكما والأدلة أساس العلم، وأنكر

<sup>١٣٣</sup> ضيف. أحمد شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر. ط١٣. مصر: دار المعارف. ص ٢٧٣.

<sup>١٣٤</sup> هيكل، محمد حسين حياة محمد. وندسور: مؤسسة هندواي، ٢٠١٤. ص ١٧

التقليد و ذم المقلدين وعاب تمجيد ما كان عليه الآباء بغض النظر عن الحق وويخ من يتبع الظن وشجع التفكير. ولم ير محمد مصطفى المراغي أن طريقة هيكل حديثة لأن هذا هو طريقة القرآن فلذلك ساير غيره في هذا وهو يقول " وأما أن هذه الطريقة حديثة، فهذا ما يُعْتذر عنه. وقد ساير الدكتور غيره من العلماء في هذا؛ ذلك لأنها طريقة القرآن كما اعترف هو، ولأنها طريقة علماء سلف المسلمين...وقد جرى الإمام الغزالي على الطريقة نفسها. وقد قرر في أحد كتبه أنه جرد نفسه من جميع الآراء ثم فكر وقدر، ورتب ووازن، وقرب وباعد، وعرض الأدلة وهذبها وحللها؛ ثم اهتدى بعد ذلك كله إلى أن الإسلام حق وإلى ما اهتدى إليه من الآراء. وقد فعل هذا ليجاني التقليد، وليكون إيمانه إيمان المستيقن المعتمد على الدليل والبرهان ذلك الإيمان الذي لا يختلف المسلمون في صحته ونجاة صاحبه." ١٣٥

وقد أقام محمد حسين هيكل فترة من الزمن في فرنسا ودرس القانون فيها ولما كان على دراية وثيقة بثقافتها ومطالعة عليها، بينما هو كذلك، كتب الكاتب الفرنسي "دير مينجهام" كتابا بعنوان "حياة محمد" الذي أثار الشكوك عن سيرة محمد ﷺ وما جاء به. فأراد أن يرد عليها في ضوء الأدلة القاطعة والأدلة الساطعة، ولهذا الغرض النبيل أنه قرأ كتب السيرة بجدية وبذل كل جهوده في هذا المجال، وأخيراً ألف كتاباً شاملاً وذا قيمة بعنوان "حياة محمد في جزأين عام ١٩٣٥ م.

ولم يقصد الكاتب من كتابة هذا الكتاب غرضاً دينياً محضاً لأنه يرى أن معرفة الإنسان على أسرار الكون الروحية والنفسية تزداد صلته بالكون لذلك لا يتوجه بهذا البحث إلى المسلمين وحدهم بل إلى الإنسانية كلها وهو يقول " وكلما وقعت الإنسانية على أسرار الكون الروحية والنفسية ازدادت صلة بالكون، وازدادت سعادة بهذه الصلة؛ كما أنها ازدادت استمتاعاً بما في الكون لما ازدادت اتصالاً بأسرار القوة والحركة... من أجل ذلك كان خليقاً بكل من يتصدى للبحث في مثل هذا الموضوع أن يتوجه به إلى الإنسانية كلها لا إلى المسلمين وحدهم فليست الغاية الصحيحة منه دينية محضة كما قد يظن بعضهم،

١٣٥ نفس المرجع، ص ١٧.

بل الغاية الصحيحة منه أن تعرف الإنسانية كيف تسلك سبيلها إلى الكمال الذي دلها محمد على طريقه.<sup>١٣٦</sup>

تناول هيكل سيرة النبي ﷺ في واحد وثلاثين فصلا وهي: بلاد العرب قبل الإسلام، مكة والكعبة وقريش، محمد: من ميلاده إلى زواجه، من الزواج إلى البعث، من البعث إلى إسلام عمر، قصة الغرانيق، مساءات قريش، من نقض الصحيفة إلى الإسراء، بيعتا العقبة، هجرة الرسول، أول العهد بيثرب، السرايا والمناوشات الأولى، غزوة بدر الكبرى، بين بدر وأحد، غزوة أحد، آثار أحد، أزواج النبي، غزوتنا الخندق وبني قريظة، من الغزوتين إلى الحديبية، عهد الحديبية، خيبر والرسل إلى الملوك، عمرة القضاء، غزوة مؤتة، فتح مكة، حنين والطائف، إبراهيم ونساء النبي، تبوك وموت إبراهيم، عام الوفود وحج أبي بكر بالناس، حجة الوداع، مرض النبي ووفاته، دفن الرسول.

وكذلك قصد به هيكل أن يرد تهمة المتهمين ويوقظ المسلمين من جمادهم صرح الكاتب هذا في " الفاروق عمر " حيث يقول " قد تناولت في هذا الكتاب، كما تناولت في «حياة محمد» وفي «الصديق أبو بكر» نواحي من الحياة العربية لذلك العهد ... عمدت إلى دراسة حياة محمد صاحب الرسالة الإسلامية وهدف مطاعن المسيحية من ناحية، وجمود الجامدين المسلمين من ناحية أخرى ... فمعرفة الماضي هي سبيلنا لتشخيص الحاضر ولتنظيم المستقبل.<sup>١٣٧</sup>

ولم يقتصر الكاتب في تصوير حياة النبي ﷺ فحسب بل صور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية لعصره في صور مفصلة كما هو واضح من عناوين فصول الكتاب. ومن ميزة هذا الكتاب وقد تناول الكاتب فيه الأحداث حسب التسلسل الزمني كما فعله معظم كتاب السيرة وقد بدأ الكتاب بكلام عن بلاد العرب قبل الإسلام وختم بأخبار دفنه. وقد حاول الكاتب أن ينتهج المنهج النزيه ورد لكثير من تهمة

<sup>١٣٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٥

<sup>١٣٧</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤. ص ١٨

المستشرقين عند تحليل الأحداث التاريخية ويرى أن المستشرقين لم ينصفوا في بحوثهم وكتابتهم الإسلامية وكما بين تقصيرهم وحدودهم في الدراسات الإسلامية وهو يقول " ولقد تأثر كثير من المستشرقين في بحوثهم التي صيغت صيغة العلم بأهواء أمزجتهم، وكذلك فعل كثيرون من كتاب المسلمين... ليس من اليسير أن يقوم المستشرقون في بحوثهم الإسلامية بكل هذه الدقة وهذا الإنصاف، مهما تحسن نيتهم ومهما يتحروا الدقة العلمية. ففسير عليهم أن يحيطوا بكل أسرار اللغة العربية وإن أحاطوا بعلمها ثم إنهم متأثرون بالنصرانية الأوروبية تأثرا يجعل أكثرهم ينظرون إلى الأديان نظرة تملؤها الريبة، ويجعل الأقلين المستمسكين بمسيحيتهم يتأثرون بما كان بين المسيحية والعلوم من نضال، فيخضعون في بحوثهم الإسلامية لمثل ما خضع له أمثالهم في بحوثهم المسيحية أو في بحوثهم الدينية بوجه عام."<sup>١٣٨</sup>

## الصديق أبو بكر

ألف محمد حسن هيكل هذا الكتاب سنة ١٩٤٢. وقد صور الكاتب سيرة أبي بكر في ثمانية عشر فصلا وهي: أبو بكر في حياة النبي، وبيعة أبي بكر، والعرب حين وفاة النبي، وبعث أسامة، وقاتل من منعوا لزكاة، والتهيؤ لحروب الردة، وطليحة وغزوة البزاحة، وسجاح ومالك بن نويرة، وغزوة اليمامة، وبقية حروب الردة، والتمهيد للفتح وللإمبراطورية، وفتح العراق، وبين العراق الشام، وفتح الشام، والمثنى في العراق، وجمع القرآن، وحكومة أبي بكر، ومرض أبو بكر ووفاته.

وقال محمد فريد أبو حديد عن هذا الكتاب " جلى هيكل عصر الصديق، وصور من حوادثه صورا لا نظن أن أحدا استطاع أن يصور مثلها من قبله، فهو قد تتبع العصر من أوله، ثم ما زال به حتى أتم له صورة بديعة ذات ألوان باهرة، أبرز كل ملامحها، وألقى النور على تفاصيلها، حتى لم يبق فيها موضع للغموض."

١٣٩

<sup>١٣٨</sup> هيكل، محمد حسين حياة محمد. ص ٧٧

<sup>١٣٩</sup> زعرب، أحمد موسى محمد. اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل ص ٢٨.

وقد أراد به الكاتب أن يرد تهمة المتهمين وينهض المسلمين من جمادهم شرح الكاتب في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول " قد تناولت في هذا الكتاب، كما تناولت في «حياة محمد» وفي «الصديق أبو بكر» نواحي من الحياة العربية لذلك العهد ... عمدت إلى دراسة حياة محمد صاحب الرسالة الإسلامية وهدف مطاعن المسيحية من ناحية، وجمود الجامدين المسلمين من ناحية أخرى.<sup>١٤٠</sup> وفي نفس الوقت لم يترك الكاتب أن يعترف بمساهمة المستشرقين "على أن الدراسات التي تمت والكتب التي وضعت عن أبي بكر وعمره في العصور الأخيرة كانت أدنى إلى الدقة والإنصاف، ومن الحق علي أن أشيد بما كان للمستشرقين من فضل سبق إلى هذه الدقة وإلى هذا الإنصاف، على تحيز بعضهم تحيزاً دفعته إليه العاطفة الدينية".<sup>١٤١</sup> ثم ذكر بعضهم مثل الأب ماريني صاحب كتاب "عن خلفاء محمد" وكوسان دبرسفال صاحب كتاب "رسالة في تاريخ العرب" وليم ميور صاحب كتاب "الخلافة الأولى".

وكذلك شرح هيكل ما أغراه بتأليف هذا الكتاب ومنها يرى أن وجود الإمبراطورية الإسلامية نتيجة لتعاليم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته فدراسة عن هذه الإمبراطورية تساعد الإنسانية للوصول إلى الحضارة المنشودة وتساعد لاقتداء النبي صلى الله عليه وسلم أكثر وهو يقول " ولقد جال بخاطري منذ فرغت من كتابي حياة محمده وفي منزل الوحي. أن أقوم بدراسات في تاريخ هذه الإمبراطورية الإسلامية، وفي أسباب عظمتها وانحلالها. وإنما أغراني بالتفكير في هذا الأمر أن الإمبراطورية الإسلامية كانت أثراً لتعاليم النبي العربي وسنته، أما وقد درست حياته، ورأيت نتائج هذه الدراسة جديدة بأن تهدي الإنسانية طريقها إلى الحضارة التي تنشدها، فإن دراسة هذه الإمبراطورية وأطوارها ما يزيدنا قدرًا للتأسي بالرسول وتعاليمه".<sup>١٤٢</sup>

وكان هيكل ذا بصيرة عميقة في أهمية معرفة التاريخ للتطور الإنسانية فلعل هذه البصيرة أغرته إلى تأليف هذا الكتاب كما ذكر في مقدمته " وأغراني بهذا التفكير كذلك ما أعتقد من أن معرفة الماضي هي وحدها

<sup>١٤٠</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ١٨.

<sup>١٤١</sup> هيكل، محمد حسين الصديق أبو بكر. وندسور: مؤسسة هندواوي، ٢٠١٢. ص ٢٤

<sup>١٤٢</sup> نفس المرجع، ص ١٢

التي تطوع لنا تطوير المستقبل وتوجيه جهودنا أثناءه إلى الغاية الجديرة بالإنسانية؛ فالماضي والحاضر والمستقبل وحده لا سبيل إلى انفصامها ومعرفة الماضي هي وسيلتنا لتشخيص الحاضر، ولتنظيم المستقبل؛ كما أن معرفة الطبيب ماضي مريضه خير وسائل التشخيص والعلاج.<sup>١٤٣</sup>

من أهم سمات كتاب "الصديق أبو بكر" توثيقه الدقيق للأحداث التاريخية التي وقعت في الجزيرة العربية في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي. ويعد هذا الكتاب مصدرا هاما لدراسة تلك الفترة من التاريخ الإسلامي، ويرجع إليه الباحثون والعلماء لتحليل الأحداث وفهم الظروف التي سادت تلك الفترة. كما يتميز الكتاب بأسلوبه السهل والبسيط في السرد، مما جعله مفهومًا لجميع القراء، حتى القراء من غير طلاب التاريخ الإسلامي. إضافة إلى أن الكتاب مصدر مهم للمعلومات الدينية والأخلاقية، حيث يقدم الكتاب مثالا مثالياً في الحكمة والتقوى والصدق والأمانة وهو الصديق أبو بكر رضي الله عنه.

### عثمان بن عفان: بين الخلافة والملك

ألف هيكل هذا الكتاب سنة ١٩٥٦. وهذا الكتاب هو الأخير من نوع السيرة، وهذا الكتاب أصغر حجما بالنسبة إلى السير الباقية التي ألفها هيكل وقام فيه بتصوير تفاصيل حياة عثمان بن عفان منذ بيعته وحتى وفاته، ويتضمن أيضا وصفا للأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت في فترة حكمه، مثل ثورة الفتنة والحرب الأهلية التي تلتها. ويتكون هذا الكتاب من خمسة فصول وهي: حديث الشورى وبيعة عثمان، عثمان بين أمسه وغده، الفتح في عهد عثمان، حكومة عثمان، نهاية عثمان. وكذلك تطرق المؤلف إلى بعض النصائح التي قدمها عثمان بن عفان للمسلمين وخاصة الحكام والزعماء.

ويتميز أسلوب الكتاب بالحيادية والدقة في عرض الأحداث والمعلومات والتفصيل في سرد الأحداث والوقائع التي واجهها عثمان بن عفان، ويعتمد الكتاب على الأدلة والمصادر الأصلية المتاحة لتوثيق

<sup>١٤٣</sup> نفس المرجع، ص ١٢

الأحداث التي حدثت خلال فترة حكم عثمان بن عفان. وتتميز أسلوب الكتاب بالسهولة والوضوح، حيث يتم تقديم المعلومات بطريقة سلسلة ومنظمة، مما يجعله مناسباً للقراء الراغبين في الاطلاع على تاريخ الإسلام بشكل عام وحياة عثمان بن عفان بشكل خاص. كما يعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً للدارسين والباحثين في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية.

## الفصل الثالث

### ميزات كتاب 'الفاروق عمر'

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثاني الخلفاء الراشدين وقد كتب عنه كتب عديدة. وسيرة عمر رضي الله عنه التي كتبها محمد حسين هيكل تمتاز من غيرها وليس 'الفاروق عمر' من سيرته الوحيدة في تناول الشخصيات الإسلامية البارزة بل هي واحدة من مجموعة السير التي كتبها الكاتب منها: حياة محمد والصدّيق أبو بكر وعثمان بن عفان: بين الخلافة والملك. وقد امتازت سيره في أسلوبها الأدبي بالدقة والرصانة والقدرة على التعبير والتوضيح والموازنة والمقارنة والتعليل والتحليل، وقد نظر الكاتب إلى كثير من الأحداث التاريخية من المنظور الذي لم ينظر إليها غيره من كتاب السير.

وكتاب 'الفاروق عمر' الذي هو موضوع البحث ألفه هيكل سنة ١٩٤٤م بعد تأليف كتاب 'الصدّيق أبو بكر'. وقد قصد الكاتب من كتابة هذا الكتاب أن يبين تاريخ قيام الإمبراطورية الإسلامية وكيف تطور نظامها وكيف كان سفرها من عيش البادية إلى عيش الحضرة، الكاتب بنفسه يعبر عما يريد بهذا الكتاب حيث يقول " هل يستطيع كاتب أن يحيط بكل دقيق وجليل حين يصور حياة الرجل العظيم! إنما ينظر الكاتب إلى هذه الحياة من أحد جوانبها، وحسبه أن يلقي على هذا الجانب من الضياء ما يبرزه في وضوح وجلاء، وأنا لم أقصد من هذا الكتاب إلا ما قصدت إليه من كتاب أبي بكر: أن أؤرخ للإمبراطورية الإسلامية، لذلك لم أقف من حياة كلا الرجلين إلا عند ما يتصل بقيام الإمبراطورية وانفساح رقعتها."<sup>١٤٤</sup>

وكذلك أراد به الكاتب أن يرد تهجمات أعداء الإسلام ويوقظ المسلمين من جمادهم بين الكاتب في موضع آخر حيث يقول " قد تناولت في هذا الكتاب، كما تناولت في «حياة محمد» وفي «الصدّيق أبو بكر» نواحي من الحياة العربية لذلك العهد ... عمدت إلى دراسة حياة محمد صاحب الرسالة الإسلامية وهدف مطاعن

<sup>١٤٤</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٥٧٥



المسيحية من ناحية، وجمود الجامدين المسلمين من ناحية أخرى ... فمعرفة الماضي هي سبيلنا لتشخيص الحاضر ولتنظيم المستقبل.<sup>١٤٥</sup>

ولم يقتصر الكاتب في تصوير حياة عمر رضي الله عنه فحسب بل صور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية لعصره في صور مفصلة كما بين هو بنفسه "وقد اقتضاني تصوير النشأة الأولى للإمبراطورية الإسلامية أن أتناول بالبحث نواحي الحياة المختلفة لشبه الجزيرة والبلاد التي فتحها المسلمون الأولون ... وإن موجزة، للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد العرب، ..... ثم حاولته على وجه أوفى في هذا الكتاب، وبخاصة ما اتصل بشئون الفرس والروم، وأكبر رجائي ألا يبلغ هذا الإيجاز مبلغاً يقصر عن أن ينقل إلى ذهن القارئ ما أردت تصويره."<sup>١٤٦</sup>

قد يتميز كل كتاب عن غيره من الكتب ولو كان الموضوع الذي تناوله الكتابان واحداً بأسلوب الكاتب الذي تناوله ولكل كاتب ميزته وخصائصه وأسلوبه في الكتابة وكذلك تميز 'الفاروق عمر' عن السير الأخرى التي كتبت في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأسلوب محمد حسين هيكل ومن بعض الخصائص الأساسية التي لاحتها الباحث ما يلي:

كما سبق الذكر أن الكاتب لم يصور حياة عمر رضي الله عنه فحسب بل يصور الحياة لعصره مثلاً لما تحدث عن حياة عمر رضي الله عنه في الجاهلية صور من خلالها حال العرب وسوقهم وبيئتهم في الجاهلية وقد بدأ الكاتب الفصل الأول بتصوير دقيق لسوقهم حيث يقول "استهل ذو القعدة لسنوات قبل مبعث النبي، فأقبل العرب أفواجاً يحدون إبلهم من شتى الأرجاء في شبه الجزيرة ليقيموا سوق عكاظ كعادتهم قبل الحج من كل عام، وكانت السوق تضطرب بمن جاءوا إليها من مختلف القبائل وفيهم من أهل مكة عدد غير قليل، وقد أقام هؤلاء العرب مضاربتهم في فسحة البطحاء المترامية التي تقوم السوق عليها، ... في حين قد جاء أهل

<sup>١٤٥</sup> نفس المرجع، ص ١٨

<sup>١٤٦</sup> نفس المرجع ص ١٩

مكة ومن إليهم بأكثرها من اليمن ومن الشام في رحلتي الشتاء والصيف.<sup>١٤٧</sup> وهذا الأسلوب واضح في غير واحد من المكان ولما تحدث الكاتب عن حياة عمر رضي الله عنه في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم أجمل الأحداث التاريخية من إسلام عمر رضي الله عنه إلى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيفة واحدة وقد أشار في هذه الصحيفة إلى مقاطعة قريش لبني هاشم وموت عمه أبي طالب وفاة خديجة والإسراء وبيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية والهجرة فيقول الكاتب بعد تخلص الأحداث التاريخية " هذه الفترة التي انقضت بين إسلام عمر وأمر محمد وأصحابه أن يلحقوا الأنصار بيثرب هي لا ريب من أدق الفترات التي مر بها رسول الله ودين الله " <sup>١٤٨</sup> وإنما أراد الباحث بهذا النقل ليثبت أنه لم ينحصر على تصوير حياة عمر رضي الله عنه فحسب بل تحدث كثيرا عن الأحداث التاريخية في عهده.

هيكل فكان إذا تناول حادثا من حياته يشرح خلفية الأحداث حتى يفهم القارئ جيدا

وكذلك هيكل كان إذا تناول حادثا من حياته يأتي بخلفيته أو خلاصة تاريخه الذي يبين بعده حتى يكون الأمر بينا واضحا للقارئ ويظهر ذلك لما تحدث عن السياسات والإصلاحات التي قام بها عمر رضي الله عنه، وعن تطور النظام في الدولة الإسلامية في عهده، أتى بخلاصة تطور النظام من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آل الأمر إلى عمر رضي الله عنه.<sup>١٤٩</sup> وتلاحظ هذه الميزة عند قراءة الحياة الاجتماعية في عهده لما تحدث عنها بين مفصلا عن الحياة الاجتماعية قبل خلافته في خمس عشرة صفحة تقريبا. وهذا البيان قد يساعد القارئ أن يحيط بما يقدمه الكاتب واضحا.

ومن ميزة هذا الكتاب تناول الكاتب فيه الأحداث حسب التسلسل الزمني كما فعله معظم كتاب السيرة وقد بدأ الكلام بحياته في الجاهلية وختم بوفاته. وقسم كتابه إلى خمسة وعشرين بابا. هذه الأبواب على الترتيب ١- عمر في الجاهلية، ٢- إسلام عمر، ٣- في صحبة النبي، ٤- في عهد أبي بكر، ٥- عمر يستفتح عهده، ٦- أبو

<sup>١٤٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٩

<sup>١٤٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٧

<sup>١٤٩</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٨

عبيد والمثنى في العراق، ٧- فتح دمشق وتطهير الأردن، ٨- القادسية، ٩- الفتح المداين، ١٠- المسلمون في العراق، ١١- جلاء هرقل عن سوريا، ١٢- عمر في بيت المقدس، ١٣- مصير خالد بعد إخضاع الشام، ١٤- المجاعة والوباء، ١٥- التوسع في فتح فارس، ١٦- غزوة نهاوند، ١٧- القضاء على سلطان الأكاسرة، ١٨- التفكير في فتح مصر، ١٩- فتح مدينة مصر وحصونها، ٢٠- فتح الإسكندرية، ٢١- مصر في يد المسلمين، ٢٢- حكومة عمر، ٢٣- الحياة الاجتماعية في عهد عمر، ٢٤- اجتهاد عمر، ٢٥- مقتل عمر. وإذا لاحظنا هذه الأبواب نرى أن الكاتب رتب أطوار حياة عمر زمنيا.

وقد قام الباحث بتحليل الكتاب حسب أبوابه ولم يحلل الباحث جميع الأبواب بل ركز على الأبواب التي تحكي عن حياة عمر رضي الله عنه وشخصيته وطبيعة بقدر كبير وهو أحد عشر بابا سيفصل فيما يأتي.

### عمر في جاهليته

لم يقتصر محمد حسين هيكل في تصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحسب بل حاول أن يصور كثيرا ما حدث في عهده. ولما تحدث عن حياته في الجاهلية صور أسواق الجاهلية وأحوال الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. وقام فيه بتصوير مظهره البدني وقوته وكان عمر رضي الله عنه يشرب الخمر في جاهليته ويصور الكاتب أن شربه الخمر تميز من قرنائته حيث يقول هيكل " وكان عمر بين أصحابه يشرب بالكبير، ويشرب سائرهم بالصغير." <sup>١٥٠</sup> ويرى هيكل أن عمر رضي الله عنه كان شديد الحمية لقومه واحتج بغضبه لابن عمه زيد بن عمرو بسبب تركه دين آبائهم. وكان عمر رضي الله عنه يحب النساء حبا شديدا في الجاهلية حيث يقول هيكل " فصاحبهم صاحب نساء كما أنه صاحب خمر" <sup>١٥١</sup> وأورد الكاتب حبه لسباق الخيل ويصور أنه كان يفوق غيره في السباق.

<sup>١٥٠</sup> نفس المرجع، ص ٣١

<sup>١٥١</sup> نفس المرجع، ص ٣٢

ولما تحدث هيكل عن زوجات عمر رضي الله عنه وزواجه يذكر أن أم كلثوم بنت أبي بكر وأم أبان رفضتا خطبه لشدته وقسوة عيشه ويعتقد الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان معترفا بهذا لما كان أول دعائه بعد أن تولى الخلافة "اللهم إني غليظ فليني اللهم إني ضعيف فقوني اللهم إني بخيل فسخني" ثم حاول أن يبين أسباب غلظته وشدته وهو يقول " ولقد ورث الغلظة عن أبيه وقسوته عليه في صباه، ثم أعانته قوة بدنه من بعد على بقائها، أما ما ذكر من بخله فسببه أنه لم يكن غنيا، وأن أباه لم يكن غنيا، وقد ظل متوسط الحال في الغنى في طفولة حياته."<sup>١٥٢</sup>

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتجر كالكثيرين من أبناء مكة ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه لم يربح كثيرا في تجارته ويظن أن غلظته حال بينه والتجارة وهو يقول " ولعل غلظته التي حالت بينه وبين الإفادة من التجارة ما أفاد غيره، فهو لهذه الغلظة لم يكن يستطيع بالتجارة أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهباً،"<sup>١٥٣</sup> ولأن التاجر يحتاج إلى اللين الذي يقنع المشتري، فكيف يتجر ويربح من كان من طبيعته الغلظة؟

ويعتقد محمد حسين هيكل أن عمر رضي الله عنه كان مولعا للعلم وأثر طلب العلم على طلب الرزق وكان يسافر إلى اليمن والشام كغيره من التجار ولكن كان لا يقصد به ما كان يقصد غيره حيث يقول " أنه لم يكن يقف من تجارته عند رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن وإلى الشام، بل كان يذهب إليهما وإلى غيرهما من بلاد فارس والروم، لكنه كان في رحلاته هذه أكثر اشتغالا بتثقيف ذهنه منه بإنماء تجارته،"<sup>١٥٤</sup> واتخذ الكاتب حبه العلم من ناحية فلسفية وهو يقول " وهذه حال تجعل صاحبها أكثر اعتدادا بذاته واعتزازا بنفسه، فصاحب المال في حاجة إلى إدامة صلواته الحسنة بالناس محافظة على ماله وطمعا في تكثيره والعامل في التجارة نجاحه فيها بحسن حيله وافتنانه في أساليبها، أما طالب الحكمة والراغب في المعرفة،

<sup>١٥٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٩

<sup>١٥٣</sup> نفس المرجع، ص ٣٩

<sup>١٥٤</sup> نفس المرجع، ص ٤٠

فيستعين بالمال ويذل الدنيا؛ لأن الحرص على المال يصرفه عن الحكمة ويزيده تعلقا بالدنيا وإذعاناً لذوي السلطان فيها، ومن أذل الدنيا واستهان بالمال وطلب الحكمة والمعرفة اعتز بنفسه أيما اعتزاز؛ وقد يبلغ من ذلك أن يعتزل الناس ازورارا عنهم، ورغبة عما بأيديهم، وتسامياً عليهم، وهذه مرتبة لم يبلغها عمر في شبابه، فأما الاعتزاز بالنفس والاعتداد بالذات فكان له منهما أوفر نصيب.<sup>155</sup>

ويرى الكاتب أن الذين صبأوا من العرب كانوا ذوي الحكمة لأنهم أنكروا الأصنام وعبادتها ويقدم الكاتب مع أن عمر رضي الله عنه كان يعرف القراءة والكتابة واعتقاد اليهود والنصارى و لم يصبأ مع هؤلاء الصابئين لأنه كان متعصبا لقومه أكثر مما يتعصب للأصنام وهو يقول " وكان يرى في خروجهم على دين قومهم تقويضاً لركن الجماعة العربية، ويرى لذلك محاربتهم والقضاء عليهم حتى لا يستفحل أمرهم، ولعله لم يكن متعصباً في هذا الرأي للأصنام وعبادتها تعصبه لقومه، حرصاً على نظامهم وعلى ما يكفله النظام من إمساك كياناتهم وشد أزهم إزاء غيرهم من الأمم.<sup>156</sup> ويرى كان عمر رضي الله عنه أشد قريش على الصابئين وأكثرهم جرأة عليهم ولم يحارب عمر رضي الله عنه محمداً صلى الله عليه وسلم تعصبا أو جهلا بل يرى تقويضاً لنظام مكة وإثارة للفساد فيها.

## إسلام عمر

جعل هيكل بابا خاصا في ذكر قصة إسلامه كما فعل معظم كتاب السيرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أتى بروايتين شهيرتين في قصة إسلامه أحدهما ذهابه إلى دار الأرقم يقصد قتل النبي صلى الله عليه وسلم، وثانتهما: سماعه القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة فرق قلبه فأسلم. فبعدما ذكر هاتين الروايتين يتجه هيكل إلى بحث أسباب خفية في إسلامه ولكن لا يؤكد الكاتب سببا من الأسباب بل يترك بعض الأفكار في صورة الأسئلة أمام القارئ حيث يقول " هاتان الروايتان ومثلهما مما أوردته الكتب عن إسلام .... لكنها جميعا لا تصور التصور النفسي الذي أدى بعمر إلى أن يُسلم، أفكان ذلك أمرا مفاجئا؟ أفبلغ من مباحدة عمر للإسلام وعداوته له أنه

<sup>155</sup> نفس المرجع، ص ٤٠

<sup>156</sup> نفس المرجع، ص ٤٠

أبي النظر فيه والتدبير الشيء من أمره، ثم قذف الله بالإيمان إلى قلبه وجعل الصحيفة التي كان خباب يقرأها لأخته، أو القرآن الذي كان رسول الله يتلوه في صلاته، وسيلته جل شأنه لهداية هذا الرجل الذي كان لدينه عدوا؟ أم كان الأمر غير هذا، وأن عمر قد سمع القرآن قبل أن يقرأه في صحيفة خباب، وقبل أن يختفي تحت ثياب الكعبة فيسمعه من رسول الله، وأنه قلب فيه نظره بينه وبين نفسه ثم كان يعود إلى التفكير في أمره وأمر محمد ومن اتبعه وأن تفكيره الطويل هداه بإذن الله إلى ما اهتدى إليه؟ لا تصور لنا روايات المؤرخين عن إسلام عمر ما كان من هذا أو ذلك، مع أن تصويره ليس بالأمر العسير، ومع أن هذا التصوير يحسم أمراً يعتبره الجمهور من المسلمات، ونراه مرجوحاً لا يثبت للنقد لحظة<sup>١٥٧</sup>.

وبعد ذكر هاتين الروایتين يرجح هيكل رواية سماعه القرآن من النبي ﷺ عند الكعبة على رواية ذهاب عمر ﷺ إلى دار الأرقم لقتل النبي ﷺ حيث يقول " فليس بمعقول أن يقصد عمر إلى قتل محمد بالسيف وهو بين أربعين من أصحابه فيهم حمزة بن عبد المطلب وأبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح وغيرهما من أبطال مكة ثم يحسب مع ذلك أنه قادر على تنفيذ مقصده، قد يصح أنه عزم التخلص من محمد بالقتل، وأنه فكر في الوسيلة لتنفيذ عزمه، فلما قرأ الصحيفة ورأى ما فيها حسناً رجع عما فكر فيه ثم أسلم، أما أنه أراد القتل على النحو الذي تصوره القصة المشهورة في إسلام عمر فلا يسيغه العقل، وهو لذلك مرجوح عندي، والراجح ما ورد في الرواية الثانية على لسان عمر نفسه وما أيده ابن حنبل في مسنده<sup>١٥٨</sup>.

ويثبت هيكل أن الرواية الثانية تليق بطبيعة عمر ﷺ ثم يبين بعض ميزاته النفسية لعمر ﷺ وهو يقول " وهذا الراجح يتفق وما عرف عن نفسية عمر وشخصيته فقد كان من صميم قومه، وكان متعصباً لهم، حريصاً على نظامهم وعلى مكانة بلدهم، ثم إنه كان رجل عمل، قيمة الفكرة عنده أثرها الفعال في الحياة فأما التأمل للتأمل، وأما الهيام بالفكرة لذاتها وإطالة التقليب فيها ابتغاء الحقيقة المطوية في جوانبها، ولو

<sup>١٥٧</sup> نفس المرجع، ص ٤٨

<sup>١٥٨</sup> نفس المرجع، ص ٤٨

لم يكن للحقيقة ولا للفكرة مظهر يتأثر الناس في حياتهم به فذلك ما لم يكن يغيره أو يخرجهم عن إلف قومه.<sup>١٥٩</sup> ويقدم الكاتب يرى عمر رضي الله عنه أن التماس دين الحق عند غيرهم خيال لا أثر في الحياة ولا يليق ما فطر عليه من حرص نظام الجماعة. ثم يبين الكاتب ما جرى في خاطر عمر رضي الله عنه يرى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يدعون إلى الدين الله في طريقة مثلى لا يثيرون في الأرض ويرى عقيدتهم أئمن عندهم من كل ما في الحياة ومن الحياة نفسها. ثم يقدم الكاتب لعل هذا التفكير سبب من الأسباب التي أدت إلى إسلامه ومما جرى في خاطره وهو يقول " ليس هذا الدين إذن فكرة نظرية لا أثر لها في حياة أصحابها، ولا في حياة الجماعة التي يعيشون فيها، بل هو قوة دافعة جسمية الأثر في الحياة الفردية والحياة القومية كليهما..... أليس خيرًا لمكة أن يترك هؤلاء المسلمون لا يضارون في عقيدتهم ولا يُفتنون عنها، وأن تترك الحرية لمن شاء أن يدخل في دينهم وأن يكون معهم؟! وهل لرجل كعمر تعلم ما لم يتعلمه غيره، وعرف من حكمة الفرس والروم واليهود والنصارى أكثر مما عرفوا أن يظل مباعدًا للمسلمين وألا ينظر في دينهم نظر البصير الناقد لا نظر المتعصب الحاقد؟! "<sup>١٦٠</sup>

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله أن يؤيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويذهب الكاتب إلى أن أبا الحكم لم يسلم لتنافسه وقومه مع بني عبد مناف للشرف "أما عمر فقد ظلت الدوافع تؤدي به إلى طريق الحق شيئًا فشيئًا، وتحطم من حوله قيود التعصب لقومه ولنظام مدينته رويدا رويدا، وتغلب في نفسه عناصر العدل الأصيل فيها على سائر العناصر، حتى انتهى إلى ما قدمنا."<sup>١٦١</sup>

## في صحبة النبي

تناول محمد حسين هيكل حياة عمر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم مفصلا في باب "في صحبة النبي" كما سبق الذكر أن الكاتب لم يقتصر كلامه على عمر رضي الله عنه بل هو يصور ما حدث بعد إسلامه إلى وفاة الرسول

<sup>١٥٩</sup> نفس المرجع ص ٤٩

<sup>١٦٠</sup> نفس المرجع، ص ٥٠

<sup>١٦١</sup> نفس المرجع، ص ٥١

ﷺ في هذا الباب. وقد بدأ الكاتب هذا الباب بذكر أثر إسلامه في المسلمين وإيذاء القريش للمسلمين ثم انتقل كلامه إلى أخبار هجرته إلى المدينة، وقد صور غير واحد من كُتاب السير أن عمر بن الخطاب ﷺ هاجر إلى المدينة في العلن وقصة هجرته مشهورة ومعروفة عند الجميع وإن عباس محمود العقاد صور أن عمر ﷺ هاجر في العلن واحتج منها لشجاعته وعدله. أما هيكل فقد تناول هجرته من ناحية جديدة ولم يرى الكاتب مواقف مكة تتفق بأس عمر ﷺ وشجاعته في فترة ما بين إسلامه هجرته إلى المدينة ويقدم أن عمر ﷺ كان رجلاً يتبع النظام حيث يقول " كان من أكثر المسلمين شجاعة في احتمال ما ينزل بهم وصبراً عليه، ومن أشدهم دفعا لما يستطيع دفعه من الأذى عن رسول الله وعن إخوانه المسلمين، لكنه رجل يؤمن بالنظام ويحرص أشد الحرص على اتباعه كان ذلك شأنه في الجاهلية، فأحر به أن يكون شأنه في الإسلام، وقد كانت سياسة رسول الله في هذه الفترة التي نتحدث عنها تتجنب البأس والشدة في كل مظاهرهما. ولا تتجاوز المغفرة لمن أساء إليه، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم." <sup>١٦٢</sup> كجزء من حرصه لاتباع النظام يرى الكاتب أنه هاجر في السر كما هاجر غيره من المسلمين.

بعدهما أورد هيكل رواية علي بن أبي طالب ﷺ في قصة هجرته علنا ويقول أن ابن هشام والطبري لا يثبتان هذه الرواية فأتى بما روى ابن هشام وابن سعد في هجرته سرا مع عياش بن أبي ربيعة ﷺ ثم يرجح رواية ابن سعد على رواية علي بن أبي طالب ﷺ حيث يقول محللاً " هل تتناقض هاتان الروايتان؟ أم يستطيع التوفيق بينهما بأن عمر تحدى المشركين على ما جاء في الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب ثم هاجر بعد ذلك فخرج سرا على رواية ابن هشام وابن سعد؟ نرجح أن عمر لم يتحد أحداً، وأنه هاجر من مكة في سر من أهلها، وهو لم يفعل ذلك ضعفاً منه أو جيناً، فهو لم يعرف الجين ولا الضعف حياته، لكنه كان رجل نظام فهو يتبع الجماعة ويحمل غيره على اتباعها، وقد كان المسلمون جميعاً يخرجون في هجرتهم

<sup>١٦٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٧



سرّاً فلا عجب أن يجاريهم عمر في ذلك حرصاً على نظامهم، وحتى لا يشعر الذين يخرجون سرا بأنهم دون عمر في قوة إيمانه بالله ورسوله".<sup>١٦٣</sup>

ويعتقد هيكل أن أحوال مكة قبل الهجرة لم تكن تتفق مع طبيعة عمر رضي الله عنه، ولما هاجر المسلمون واستقر أمرهم بدأ أن تظهر شخصية عمر رضي الله عنه ما لم تكن معروفة في مكة حيث يقول " والمقاومة السلبية لا تتفق وطبيعة عمر الثائرة القوية المتحفزة لتحدي من يتعرض لصاحبها؛ لذلك لم يكن بمكة متسع لنشاطه يبدو فيه وتظهر آثاره، أما وقد أصبح للمسلمين في حياة المدينة ونظامها هذا الأثر، فقد آن لعمر أن تظهر شخصيته وأن يكون له في الحياة العامة أثره بل لقد بدت في عمر صفات لم تعرف له بمكة"<sup>١٦٤</sup>

ويقدم هيكل عمر رضي الله عنه كرجل يتبع النظام وقد جعل الكاتب قصة صيغة الأذان دليلاً لتفكير عمر رضي الله عنه في النظام حيث يقول بعد ذكر رواية صيغة الأذان " والأذان للصلاة دعوة للنظام الذي يزيد الأخذ به أيداً وقوة، أما وقد حدث به عمر قبل أن ينزل به الوحي، فذلك الدليل على أن دين الحق قد أخذ على هذا الرجل القوي مسالك نفسه، فصار لا يفكر في شيء تفكيره في النظام الذي يزيد هذا الدين عزا وانتشاراً.

١٦٥"

صور هيكل خلال كلامه عن غزوة بدر أثر الإسلام في عمر رضي الله عنه وقد قتل عمر رضي الله عنه خاله العاص بن هشام في بدر لما لقي ولده سعيد بن العاص قال: أراك تظن أنني قتلت أباك، إني لو قتلتك لم أعتذر إليك من قتله، ولكنني قتلت خالي العاص بن هشام واحتج الكاتب من هذه الكلمة استهان عمر رضي الله عنه بكل شيء في سبيل هذا الدين وهو يقول "هذه الكلمة التي قالها عمر هي أول ما يروى عنه في هذه الغزوة التي وجهت تاريخ الإسلام وتاريخ العالم كله وجهة جديدة، وهي تصور الأثر الذي تركه الإسلام في نفس عمر أدق تصوير،

<sup>١٦٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٨

<sup>١٦٤</sup> نفس المرجع، ص ٥٩

<sup>١٦٥</sup> نفس المرجع، ص ٥٩

ففي سبيل هذا الدين يجب أن يستهين الإنسان بكل شيء ويجب ألا يتردد حين القتال إذا واجهه أخ أو قريب إنه يقدم حياته لله وفي سبيل الله، "١٦٦

قد بين هيكل تعصبه لقريش قبل الإسلام وتعصبه للإسلام بعده ويصور الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يعطي كل ما عنده لما يؤمن به سواء كان في جاهليته وإسلامه وهو يقول " فقد كان عمر منذ نشأته مؤمن القلب بما يعتقد، وإذا أمن القلب وهب المؤمن نفسه هبة خالصة لما يؤمن به، لقد رأينا مواقف عمر في جاهليته؛ رأينا تعصبه لقريش على غيرها من القبائل وتعصبه لدين قريش على دعوة محمد تعصبا جعله يشارك في تعذيب المسلمين الأولين فلما هدى الله قلبه إلى الإيمان به، ووقف في جانب دين الله ينصره بالحمية التي كان يقاتله من قبل بها ... فلا شيء يعدل عند عمر أن ينصر هذا الدين وأن يضحى له بكل شيء "١٦٧

ويعتقد هيكل أن عمر رضي الله عنه كان يعتز بنفسه ورأيه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه أن يصرح رأيه عند النبي صلى الله عليه وسلم مع حبه العميق إليه وإيمانه الوثيق به ويعترف الكاتب أن المسلمين جميعا كانوا يشيرون على النبي صلى الله عليه وسلم ويجادل لينصر رأيه لكن كان عمر رضي الله عنه يفوقهم في هذه الصفة واحتج من موقفه في أسير بدر سهيل بن عمرو حيث يقول " على أن إيمان عمر وتعصبه لهذا الإيمان لم يُنهها من اعتزازه بنفسه واعتداده برأيه أمام رسول الله نفسه، وقد كان عمر في هذا الاعتزاز بالرأي من أقوى المسلمين شكيمة وأبلغهم حجة، لم يمنعه حبه رسول الله وعظيم إيمانه برسالته أن يدلي أمامه برأيه وأن يصر عليه، وأنت قد رأيت في موقفه من أسرى بدر كيف طلب أن ينزع ثنيتي سهيل بن عمرو بعد ما قبل المسلمون فداء هؤلاء الأسرى، "١٦٨ ويعتبر الكاتب أن موقف عمر رضي الله عنه في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين دليلا آخر لاعتزاز بنفسه وصراحة رأيه وكذلك يعد موقفه في صلح الحديبية من هذا النوع .

١٦٦ نفس المرجع، ص ٦١

١٦٧ نفس المرجع، ص ٦٣

١٦٨ نفس المرجع، ص ٦٣

ثم ينتقل الكاتب بالقارئ إلى موقف عمر رضي الله عنه في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه لم يكن يرى شؤون النبي صلى الله عليه وسلم كغيره من المسلمين بل كان يرى كشؤون المسلمين العامة سواء، لذلك لم يمنعه أن يراجع في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم الخاصة ومنها أنه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بحجاب أزواجه ومنها أنه كان يعظ أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. وبعدهما تحدث هيكل عن جرأته وصراحته محتجا من موقفه من أسرى بدر ومن موقفه من عبد الله أبي بن سلول ومن الحديدية ومن حكم الخمر ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ثم ينظر إليها نظرة جديدة ويكشف سبب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه وزيره حيث يقول "ولسنا نقصد جرأته وصراحته وبروز شخصيته، وما إلى ذلك مما أسلفنا ذكره، وإنما نرمي إلى ما دلت هذه المواقف عليه من عظيم اشتغاله بالشئون العامة وتوفره عليها توفر من تعنيه سياسة قومه وتدبير أمورهم والعمل على حسن نظامهم والواقع أنه برز في هذه الناحية أكثر مما برز غيره؛ ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه وزيره وكان حين يشاور أصحابه يجعل لرأي عمر مكانة تعدل مكانة الرأي الذي يبديه أبو بكر صفي رسول الله وخليله." <sup>١٦٩</sup>

إن عمر رضي الله عنه كان يخالف النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من المواقف ويصور الكاتب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرمه ويكبره بغض النظر عن مخالفته إياه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل إخلاصه على مخالفته "على أن صرامة عمر وصراحته ومخالفة النبي رأيه في بعض ما أشار به لم تنقص يوما من مكانة أو من احترامه ذلك بأنه كان صادق الإخلاص في كل ما يراه ويشير به، وللمخلص علينا حق احترامه وإكباره، وإن لم نأخذ بمشورته؛ ما بالك به إذا جاء الحق على لسانه في الكثير من مواقفه ثم ما بالك به إذا خالفناه فرأيناه على الحق فرجعنا إلى رأيه" <sup>١٧٠</sup> ثم أتى الكاتب بما يؤيد زعمه وذلك لما اشتد مرض النبي صلى الله عليه وسلم طلب النبي صلى الله عليه وسلم صحيفة يكتب لهم لا يضلوا بعده واختلف الحاضرون في كتابته وعدم كتابته، وكان عمر رضي الله عنه فيمن يقول كفاهم القرآن لا حاجة إلى الصحيفة فلم يكتب النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الكاتب لعل النبي صلى الله عليه وسلم أخذ برأي عمر رضي الله عنه لإخلاصه حيث يقول "ولعله قد تأثر برأي عمر أكثر مما تأثر برأي غيره، لما عرف من صدقه في إخلاصه وصراحته في

<sup>١٦٩</sup> نفس المرجع، ص ٦٩

<sup>١٧٠</sup> نفس المرجع، ص ٧٠

ويثبت هيكل أن عمر رضي الله عنه كان مخلصا صادقا في تصريح رأيه حتى إنه كان لا يبالي نفسه إنما يقصد به الخير العام واحتج هيكل أنه كان شديد الحب للخمر في الجاهلية مع ذلك ود أن يحرم الله الخمر حيث يقول الكاتب " والرجل أجدر باحترامنا وإكبارنا ما أنكر ذاته فصدر رأيه عن إخلاص للخير العام وحرص عليه، وكان عمر في ذلك خير مثل وقد رأيت فيما قدمنا من آرائه كيف تنزه عن كل شائبة، بل لقد رأيت كيف ود أن يحرم الله الخمر ولم تكن محرمة، وقد كان في جاهليته رجل خمر يحمها ويتوفر على شراها، فهو إنما ود أن تحرم حرصا على خير الجماعة وتماسكها وقوة نظامها. " ١٧٢

ويبين هيكل أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين كانوا يحبونه مع شدته وغلظته حتى بلغ حب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن ناداه أخي ويذهب الكاتب إلى أن إخلاص عمر رضي الله عنه وتنزهه عن الهوى وحبه العدل هو الذي أبقى الفاروق لقباً له. وكذلك يذهب إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم فضل أبا بكر رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه بسبب شدته حيث يقول " أما شدته وغلظته فهي التي جعلت رسول الله يؤثر أبا بكر عليه، ثم لا يؤثر عليه غير أبي بكر أحدا لإخلاصه وصراحته وعزمه وحزمه ولعل شدة عمر هي التي جعلت رسول الله يأمر في مرضه أن يصلي أبو بكر بالناس " ١٧٣

تحدث الكاتب عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في صورة موجزة ويصور أن عمر رضي الله عنه مع شدته وغلظته لم يطق أن يقبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ويرى الكاتب أن أبا بكر كان أكثر ثباتاً من عمر رضي الله عنه في موقف وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول " وقد تعجب لهذه الشدة وهذه الغلظة أين كانتا ساعة وفاة رسول الله؛ إذ أذهل النبأ عمر عن الواقع فكذب من حاول إقناعه بالحقيقة الأليمة، فأين كانت شدته وغلظته هذه الساعة بل أين هو في جزعه وهلعه من ثبات أبي بكر رقيق القلب سريع الدمع خليل رسول الله ووصفيه، وأين هو من تجلده؟ " ١٧٤

١٧١ نفس المرجع، ص ٧٠

١٧٢ نفس المرجع، ص ٧١

١٧٣ نفس المرجع، ص ٧١-٧٢

١٧٤ نفس المرجع، ص ٧٢

## في عهد أبي بكر

تحدث محمد حسين هيكل حياة عمر رضي الله عنه مع أبي بكر رضي الله عنه مفصلاً وجعل باباً خاصاً في ذكرها باب "في عهد أبي بكر" كما سبق الذكر أن الكاتب لم يقتصر في هذا الباب على سيرة عمر رضي الله عنه فحسب بل صور أحداثاً مهمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى استخلاف عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يفكر في مصير المسلمين لأول ما أيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي حيث يقول "أيقن عمر أن رسول الله قد مات، فأخذ يفكر في مصير المسلمين من بعده، وكان الأمر جديراً بأعماق التفكير فلو أن العرب تنازعوا أمرهم بينهم لأصاب الإسلام شر ما له من دافع" <sup>١٧٥</sup> وذكر الكاتب الجدل والخلاف اللذان جريا بين المهاجرين والأنصار في الاستخلاف وحزم عمر رضي الله عنه الذي أدى إلى بيعة أبي بكر رضي الله عنه.

ويعد الكاتب أن مواقف عمر رضي الله عنه في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه ترشح عمر رضي الله عنه لإمارة الدولة وتؤهله لها حيث يقول "هو موقف يرشح عمر للإمارة، ويشهد بجدارته لتولي سياسة الدولة الناشئة، مع إنكاره لذاته وتوجهه بكل تفكيره لخير الجماعة وحسن نظامها، لقد كان أشد الناس جزعاً لوفاة رسول الله ... فلما تيقنوا لم يملك الجزع عليه تفكيره، ولم يصرفه الحزن عن التحدث إلى أبي عبيدة في أجل شأن المسلمين خطراً في تدبير أمورهم وتوجيه سياستهم، وهو لم يكن يبتغي الأمر لنفسه على جدارته به بل كان يفكر فيه تفكيراً منزهاً عن الأثرة والهوى؛ لذلك أسرع يريد أن يبائع أبا عبيدة فلما نبهه أمين الأمة إلى أن الصديق أحق المسلمين جميعاً بالأمر لم يتردد في إقرار رأيه." <sup>١٧٦</sup>

وقد قام الكاتب بتحليل سياسة عمر رضي الله عنه وأبي بكر رضي الله عنه وأنها اختلفا في بعثة جيش أسامة الذي جهزه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم بالشام ويرى أبو بكر رضي الله عنه أن يبعث جيشاً في إمارة أسامة رضي الله عنه وأما عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة فيرون أن يبقى جيش أسامة في المدينة ليكون عوناً للخليفة على المشركين حيث يقول

<sup>١٧٥</sup> نفس المرجع، ص ٧٥

<sup>١٧٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٧

الكاتب محللاً لسياستهما " فقد كان أبو بكر متبعاً وليس بمبتدع، فما صنع رسول الله هو لا محالة يصنعه، وللمسلمين أن يقولوا ما شاءوا، وقد أمر رسول الله أن يتم بعث أسامة فليتم، ليختلف المهاجرون والأنصار، ولتثر شبه الجزيرة كلها، فكيف تطوع لمسلم نفسه ألا ينفذ أمره! وكيف لخليفته الأول أن يكون أول مخالفه.

وكان عمر يرى واجباً على السياسي أن يقيم وزناً لكل ما حوله من الأحداث، إن المسلمين قد كانوا يدينون لأمر رسول الله عن إيمان وتسليم، وليس من حق أبي بكر أن يطمع في أن يدينوا له كما كانوا يدينون للرسول المصطفى من عند الله، فجدير بالخليقة أن يقيم لهذه الأمور وزنها، وجدير به، وقد انقطع الوحي بوفاء الرسول، أن يكون السياسي الذي يدبر الأمور بثاقب نظره وحسن بصره بالأمور، بعد أن لم يبق لغري البصر بالأمور تدبري أو سلطان.<sup>١٧٧</sup>

ويرى الكاتب مع هذا الخلاف بينهما وكانا يؤديان حقاً لصاحبه " لكن هذا الاختلاف لم يكن ليحني على تقدير أحدهما صاحبه ومحبه إياه واحترامه له؛ لذلك أدى عمر لأبي بكر حقه، فلما أصر الصديق على رأيه سار عمر في الجيش جندياً مجاهداً في سبيل الله بإمارة أسامة.... وأدى أبو بكر لعمر حقه، فاصطفاه وزيراً يشير عليه كما كان يشير على رسول الله، وكذلك ظلت علاقات الرجلين علاقات مودة صادقة واحترام متبادل وتعاون وثيق لخري الإسلام والمسلمين<sup>١٧٨</sup>

وذكر الكاتب وقد وقع مثل هذا الخلاف بينهما في مسألة مانعي الزكاة وكان أبو بكر ﷺ يرى لا محالة من قتال مانعي الزكاة بينما كان عمر ﷺ يرى كيف نقاتل من قال لا إله إلا الله ولما يرى عمر ﷺ أبا بكر ﷺ أنه يقر برأيه فقام بجانبه وقتله معه حيث يقول " وسار عمر إلى جانب الصديق مجاهداً في صفوف المسلمين، إنه رجل نظام، وأبو بكر هو المسئول عن شؤون الدولة، فواجب عمر أن يشري برأيه، وواجبه كذلك أن

<sup>١٧٧</sup> نفس المرجع، ص ٧٨-٧٩

<sup>١٧٨</sup> نفس المرجع، ص ٧٩

يطيع أمر الخليفة متى أمر، وقد فعل، ثم بقي الوزير الذي يُسمع لقوله وتُقدر مشورته. "١٧٩"

وقد تحدث الكاتب عن مسألة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه مفصلاً وإن عمر رضي الله عنه أشار أبا بكر رضي الله عنه أن يعزل خالد رضي الله عنه لما يرى أسباباً توجب عزله أما أبا بكر رضي الله عنه فيرى إن خالد رضي الله عنه فعل خطأ لا عمداً. ويقدم الكاتب أن عمر رضي الله عنه لم يقنع بجواب أبي بكر رضي الله عنه لأنه رجل يؤمن بالنظام حيث يقول "وكيف لعمر أن تطيب نفسه فيسكت عن رجل قتل امرأ مسلماً ونزا على امرأته، فوجب رجمه! ليكن هذا الرجل سيف الله! وليكن خال عمر وابن عم أمه! وليكن له من الفضل في قتال المرتدين ما له! إن الأمر يتصل بنظام الجماعة والمحافظة عليه، ولا شيء أضر بهذا النظام من التفريق بين الناس في المعاملة، والتسامح مع أحدهم في أمر يؤخذ به غيره ويعاقب عليه" <sup>١٨٠</sup> ويرى الكاتب أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يختلفا في مسألة كما اختلف في مسألة خالد رضي الله عنه ويذهب الكاتب إلى أن هذا الاختلاف كان يتفق طبيعتهما وسياتهما في الدولة وكان عمر رضي الله عنه يرى لا عذر لرجل عن إثم ينقض نظام الحكم على أساس المساواة فالعفو عنه أشد خطراً على نظام الجماعة.

قد أورد هيكلم ما يرويهِ بعض المؤرخين ذلك أن عمر رضي الله عنه كان سيئ الرأي في خالد رضي الله عنه قبل إسلامه ويظن الكاتب لعل سبب هذا الرأي لعمر رضي الله عنه هو موقف خالد رضي الله عنه غزوة أحد ويقول الكاتب محلاً عن علاقتهما "فالثابت أن ابن الخطاب لم يحب خالداً وإن لم يمنعه ذلك من تقدير قدرته والإعجاب بعبقريته قيادته، وكان خالد يبادل عمر هذا الشعور" <sup>١٨١</sup>

ويقدم الكاتب مع هذا الاختلاف الواضح بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يغير هذا الخلاف علاقتهما وكان يشد بعضها بعضاً حيث يقول الكاتب "من حقا أن تعجب لهذا الاختلاف الواضح بين أبي بكر وعمر في أمر خالد بن الوليد، لكن من الحق عليك أن تعجب بهذين الرجلين العظيمين كيف لم يغير هذا الاختلاف البين من مودتهما ومن وثيق تعاونهما لخير الإسلام والمسلمين، فقد ظل عمر على ولائه لأبي بكر

<sup>١٧٩</sup> نفس المرجع، ص ٨٠

<sup>١٨٠</sup> نفس المرجع، ص ٨١

<sup>١٨١</sup> نفس المرجع، ص ٨٢

وعلى عهده معه، يؤدي واجبه في الإدلاء بالشورة، وينفذ أمر الخليفة بإخلاص تام في كل ما يعهد الخليفة إليه في تنفيذه، وقد ظلت ثقة الصديق بعمر كما كانت، ولم يعرها وهن ولم تتغير في قليل ولا كثير،<sup>١٨٢</sup>

وقد دعا أبو بكر رضي الله عنه الناس إلى فتح الشام ولما يرى عمر رضي الله عنه الحاضرين لم يحتمس لهذه الدعوة فصاح فيهم يشجعهم إلى الجهاد وقد قام الكاتب بتحليل هذا الخبر ويرى الكاتب تغيرا في سياسة عمر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه في عهد أبي بكر رضي الله عنه وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل مشورة وحسن السياسة أكثر مما رجل الفتوحات والغزوات فلما رأى عمر رضي الله عنه سياسة الجهاد والحزم تؤدي إلى الرفعة والنصر آمن بها وأيد أبا بكر رضي الله عنه فيها بكل قوة ويقول الكاتب محللا " فهذا التغير الذي طرأ في اتجاه عمر، وأدى إلى تأييد سياسة الغزو بكل هذه القوة، يعزز تصويرنا السابق لطريقة تفكيره، ويزيدنا اقتناعا بأنه كان رجلا عمليا لا يقيم وزنا للفكرة من حيث ما تترك من أثر في واقع الحياة وانفلاته من سياسة الحذر إلى سياسة الغزو في عهد الصديق يزيد هذه الصورة جلاء وضوحا ..... فلما جهز أبو بكر المدينة لحروب الردة وقف بعيدا عن هذا التجهيز، لكن سياسة أبي بكر في الغزو نجحت فقضت على المرتدين وفتحت العراق، عند ذلك انقلب عمر يؤيدها بكل قوته، كما آمن فانقلب يؤيد الإسلام بكل قوته.<sup>١٨٣</sup> وكذلك يعتقد الكاتب أثر هذا الاتجاه الجديد في تفكير عمر رضي الله عنه تأثيرا بالغا في استمرار الفتح الذي بدأه الخليفة الأول إلى أن أقامت الإمبراطورية الإسلامية على الإمبراطوري الفارس والروم.

ثم يتحدث الكاتب عن تفكيره الاجتماعي وكان تفكير عمر رضي الله عنه في الاجتماع يخالف تفكير أبي بكر رضي الله عنه وكان أبو بكر رضي الله عنه يسوي بين المسلمين جميعا ولا يفرق بين السابقين إلى الإسلام وبين من أسلم بعد الفتح. وأما عمر رضي الله عنه فكان يفضل بعضهم على بعض حسب قدرهم.

<sup>١٨٢</sup> نفس المرجع، ص ٨٢

<sup>١٨٣</sup> نفس المرجع، ص ٨٥



ويؤول هيكل أن تفضيل عمر رضي الله عنه بعضهم على بعض لم يكن قائما على الهوى ولكن إنه كان على اقتناع ويبين أن هذا التفصيل لم يكن يؤثر عمر رضي الله عنه في معاملته لهم حيث يقول " على أن ما رآه عمر من تفضيل السابقين للإسلام وتفضيل أهل بدر وتفضيل آل البيت، لم يكن مصدره الهوى، وإنما كان مصدره الاقتناع، فلم يكن له أي أثر في معاملته لهؤلاء جميعا وفي عدله بينهم في خلافة أبي بكر وفي خلافته، ذلك أنه كان مفطورا على العدل"<sup>١٨٤</sup> ويختتم الكاتب هذا الباب بذكر بعض صفاته كالعدل والزهد وغلظته وما جرى في استخلاف عمر رضي الله عنه.

### عمر يستفتح عهده

قد تناول هيكل في هذا الباب ما حدث في أوائل عهده. بدأ الكلام بوفاة أبي بكر رضي الله عنه ثم أتبع بذكر بيعته ويقدم الكاتب أن العلاقة بين عمر رضي الله عنه وأصحابه لم تكن وثيقة في أول أيام خلافته كما أصبحت من بعد. فيرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه سعى لتقريب قلوب الناس إليه وكان من سياسته في تقريب الناس إليه أنه أمر أن يردوا سبائيا أهل الردة إلى عشائريهم وكان هذا يخالف رأي أبي بكر رضي الله عنه وقد قصد به تأليف قبائل العرب وكسب قلوب الناس حيث يقول " الحق أن عمر لم يذق النوم في الليلتين اللتين انقضتا منذ قبض أبو بكر إلا غرارا ، فالناس يتتابعون على بيعته احتراما لعهد الصديق ووصيته، ولكن الكثيرين من زعمائهم لا يزالون يبرمون به لغلظته، والموقف أدق من أن يدعه عمر للزمن مكتفياً بأن يدعو الله أن يحببه للناس وأن يحبب الناس إليه، فإن لم يأخذ الأمر بالحزم أو شكت شؤون الدولة أن تضطرب، أما وقد أمر برد السبي إلى عشائريهم فتألف قبائل العرب وكسب قلوبا كانت تنفر من شدته، فليمض غري متردد في سياسته.<sup>١٨٥</sup>

وكذلك علل الكاتب سبب خطبة عمر رضي الله عنه بأنه يرى في وجوههم خوف شدته وغلظته فأراد أن يخفف عنهم حيث يقول الكاتب عنه " ازدادت الأبصار شخوصا إلى عمر، وخيل إلى الحاضرين بالمسجد جميعا أن هذا

<sup>١٨٤</sup> نفس المرجع، ص ٨٦

<sup>١٨٥</sup> نفس المرجع، ص ٩٤-٩٥

الرجل سيكون عليهم سوط عذاب بشدته وغلظته، ورأى عمر ذلك في وجوههم، فصعد المنبر حني ازدحموا لصلاة الظهر فقال: بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي..... إلخ.<sup>١٨٦</sup> ويعتقد الكاتب هذه الخطبة جعلت تفكيراً جديداً في قلوب الناس " وجعل الناس يفكرون فيما سمعوا منه لقد عرفوه رجلاً صريحاً ظاهره كباطنه... وعرفوه رجلاً عادلاً مع ما فيه من شدة وغلظة... إنه وعدهم أن يزيد في عطاياهم وأرزاقهم، وأن يكون أبا لعيالهم إذا غابوا عنهم في حرب، أليس خليقاً بهم أن يولوه كل ثقتهم، وأن يجيبوا دعوته إذا دعاهم؟"<sup>١٨٧</sup>

ثم تحدث الكاتب عن مسألة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه ويعد الكاتب عزل خالد رضي الله عنه من مغامرة عمر رضي الله عنه لأنه عزله لما كان المسلمون في حال حاسم وهم يواجهون الروم حيث يقول " كيف غامر عمر بعزل خالد وخالد على رأس قوات المسلمين بالشام، وهذه القوات في موقف دقيق! فقد كانوا هناك بإزاء الروم لا يواجهونهم لا يقدرّون من أمرهم على شيء"<sup>١٨٨</sup>

ثم قام الكاتب ببيان أسباب عزله لم يعتقد هيكل أن عمر رضي الله عنه عزله بسبب خوف افتتان الناس بخالد بن الوليد رضي الله عنه أو بخوف افتنانه بالناس. واحتج برواية أن خالد رضي الله عنه رجع إلى المدينة وسأل عمر رضي الله عنه عن سبب عزله فأجابه " ما عزلتك لربيبة فيك ولكن افتتن بك الناس، فخشيت أن تفتتن بالناس " ويرى الكاتب هذه الرواية لا سند لها ويرى أن خالد لم يذهب إلى المدينة بعد عزله. وكذلك يعتقد الكاتب أن عمر لم يعزله بمقتل مالك بن نويرة حيث يقول الكاتب " ولا أحسب كذلك أن مقتل مالك بن نويرة كان سبب العزل، فقد انقضت سنتان بين هذا الحادث واستخلاف عمر، وفي هاتين السنتين بلغت عبقرية خالد في القيادة أوجهاً،"<sup>١٨٩</sup> وأن ما يعتقد الكاتب من سبب عزله هو عدم وجود الثقة بينهما حيث يقول " وعندي أن عمر

<sup>١٨٦</sup> نفس المرجع، ص ٩٥

<sup>١٨٧</sup> نفس المرجع، ص ٩٦

<sup>١٨٨</sup> نفس المرجع، ص ٩٨

<sup>١٨٩</sup> نفس المرجع، ص ٩٩

إنما عزل خالد لأن الثقة بين الرجلين لم تكن قائمة قبل خلافة عمر ولا في أثناءها ولست أقصد ثقة عمر بعبقرية خالد أو ثقة خالد بعمر إنما أقصد الثقة القائمة على ما يكون للرجل من حسن الرأي في صاحبه حتى ليغضي عن هأنته" ١٩٠ ثم يعلل الكاتب مما أدى إلى عدم الثقة بينهما منها: يرى عمر ﷺ فيه زهوا يدفعه إلى التسرع في الحرب، ومنها قتال خالد ﷺ يوم فتح مكة ومقتل مالك بن نويرة .

ويظن الكاتب أن عمر كان يحسد على خالد وأن خالد كان يحسد على عمر ويرى الكاتب ليس من طبيعة الإنسان أن يتصرف في شؤون الحياة كلها بعقله وحده بل إن لشعوره عليه سلطان في تصرفه وكذلك حدث مع عمر وخالد حيث يقول " ومن المحال أن نقيم بين حكم الشعور وحكم العقل حدا فاصلا، صحيح أن بعض الناس أكثر تأثرا بشعورهم، وبعضهم أكثر تأثرا بعقلهم، ولا ريب أن قد تأثر عمر بشعوره نحو خالد، ولعله كذلك قد ظن أن خالد حسده على الخلافة، كما ظن خالد من قبل أن عمر حسده على فتح العراق." ١٩١ ويبين أن عزل عمر ﷺ لخالد ﷺ لم يكن شذوذا من أعماله بل كانت سياسته مع جميع الولاة لأنه كان يحرص على تركيز السلطة كلها في يديه.

وقد اتخذ عمر ﷺ في نصارى نجران سياسة جديدة فذلك أنه أمر أن يجلبهم عن ديارهم وقد حاول الكاتب أن يرد للمستشرقين الذين يرونه نقضا لما صنعه رسول الله ﷺ ويعتقد الكاتب أن سببه يرجع إلى سياسة الدولة عنده حيث يقول " فإنه في رأيي لم يكن السبب في تصميم عمر على إجلائهم عن شبه الجزيرة، وإنما يرجع السبب في ذلك إلى تكييف عام لسياسة الدولة اقتنع به عمر فننفذه في حزم وعدل" ١٩٢.

وكذلك يرد الكاتب لمن يأخذون على عمر ﷺ بحرية العقيدة لما أجلى النصارى ويرى الكاتب ليست حرية العقيدة في عصر عمر ﷺ كمبدأ حرية العقيدة في هذا العصر وأن العقيدة كانت هي أساس حياة الجماعة في عصر عمر ﷺ حيث يقول الكاتب " فالواقع من عصر عمر أن العقيدة كانت أساسا جوهريا في حياة

١٩٠ نفس المرجع، ص ٩٩

١٩١ نفس المرجع، ص ١٠٠

١٩٢ نفس المرجع، ص ١٠٢

الجماعة، فكان المخالفون لعقيدة الجماعة أو الخارجون عليها يعدون في حكم الأجنبي عن الجماعة، بل في حكم الخارجين عليها، وكان حرهم لذلك حلا لصاحب الأمر بل واجبا عليه، ولهذا حورب محمد في دعوته إلى الله وإلى دين الله، ولهذا شبت حروب شعواء بين الروم والفرس بسبب العقيدة، وقد ظل الأمر على هذا في أوروبا وغير أوروبا إلى عهد غير بعيد منا<sup>١٩٣</sup>

ويأتي هيكل بسبب آخر في إجلالهم ولم تكن للدولة الإسلامية وحدتها السياسية في عهد النبي ﷺ وأبي بكر لذا عاهدا النصارى ولما جاء عهد عمر ﷺ أصبحت دولة متحدة تدين كلها بدين واحد تحت أمير واحد وأصبحت المدينة عاصمتها بلا منازعة ففكر عمر ﷺ أن ينفي عنها كل سبب للضعف أو الوهن.

ويرى الكاتب أن هذا العمل لعمر ﷺ خليق بالحمد غير خليق باللوم ذلك لأن عمر ﷺ لم يظلم كما ظلم الكاثوليك أو البروتستانت إذا كانوا يكرهون خصومهم في المذاهب حتى قتلوهم وأما عمر ﷺ فأول ما أوصى به يعلى بن أمية ألا يفتن نصارى نجران عن دينهم وأوصى أن يدع لهم حرية كاملة وأن يعطيهم أرضا خارج شبه الجزيرة.

يختتم الكاتب هذا الباب محللا لسياسة عمر ﷺ الجديدة ويرى أن عمر ﷺ سار في كثير من الشؤون السياسية مسارا جديدا لم يكن يسلكه النبي ﷺ وأبو بكر ﷺ من قبله حيث يقول "فلما أمر أبا عبيدة، وعزل خالدًا، وأمر بإجلاء نصارى نجران لم ير الناس في ذلك كله ما يبرمون به وإن رأوا فيه جديدا استفتح عمر به عهده، مستقلا فيه برأيه، غير متأس فيه بسلفه، وما لهم يبرمون به، وتبعة ذلك كله عليه، وقد عرفوه رجلا يضطلع بأجسام التبعات فلا ينوء بحملها."<sup>١٩٤</sup>

<sup>١٩٣</sup> نفس المرجع، ص ١٠٢

<sup>١٩٤</sup> نفس المرجع، ص ١٠٥

## عمر في بيت المقدس

زيارة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس لصلح أهل إيلياء باب هام في خلافته ومن المشهور أن عمر رضي الله عنه سافر من المدينة إلى بيت المقدس ليتم الصلح ويعتقد هيكلاً أن عمر رضي الله عنه لم يسافر إليه قاصداً الصلح فحسب بل أنه سافر مع المدد إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه فأتم الصلح معهم حيث يقول "ومن عجب أن يسير عمر بالجيوش لغير شيء إلا أن يتم الصلح ويكتب عهده، ومن عجب كذلك أن يطلب أهل بيت المقدس أن يقدم عمر من المدينة ليتم الصلح معهم وهم يعلمون أن بينه وبينهم مسيرة أسابيع ثلاثة تطرد العير في أثناءها مقبلة من المدينة إليهم" <sup>١٩٥</sup> ثم يرجح الكاتب أنه لما علم البطريق نزول الخليفة بالجابية اشترط أن يأتي بنفسه ليكتب عهدها.

ومن قصة عمر رضي الله عنه المعروفة في بيت المقدس لما أدرك وقت الصلاة طلب البطريق من عمر رضي الله عنه أن يصلي من الكنسية، ولكن عمر رضي الله عنه رفض هذا خوفاً أن يراه المسلمون سنة. ويرد الكاتب المستشرقين الذين يذهبون إلى أن عمر رضي الله عنه إنما رفض الصلاة من الكنسية بسبب وجود الصور والتماثيل ويرون أن العذر الذي اعتذره ستر للسبب الحقيقي حيث يقول "وهذا تفسير غير صحيح لحادث تاريخي جليل الخطر في علاقة أهل الأديان المختلفة ... ومما يشهد بعدم صحته أن عمر زار كنيسة المهديت لحم مع صفرنيوس بعد زيارته كنيسة القيامة، فلما أدركه موعد الصلاة صلى بها، وفيها من التماثيل والصور والصلبان ما بكنيسة القيامة بل ما يزيد عليه، ثم إنه خشي أن يتخذ المسلمون صلاته بها سنة فيخرجون منها أصحابها، فكتب للبطريق عهداً خاصاً يجعل هذه الكنيسة للنصارى، وألا يدخلها من المسلمين أكثر شخص واحد في المرة" <sup>١٩٦</sup> ويثبت الكاتب ما كان لعمر رضي الله عنه أن يتحرج بفعله لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالكعبة وبها من الأصنام والأوثان.

<sup>١٩٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٣

<sup>١٩٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٧

ويصور الكاتب أن اعتذار عمر رضي الله عنه عن الصلاة بالكنيسة حادثاً يصور تسامح الإسلام وسياسة المسلمين وحرية العقيدة لذلك العهد ويعتقد الكاتب لعل هذه السياسة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه تكون حلاً لكثير من المشاكل السياسية في هذا العهد " ولو أن الملوك والساسة من أهل الأمم المختلفة أدركوا ما أدركه عمر في ذلك العهد، ورأوا مثله أن لا إكراه في الدين، وجعلوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله، ولم يزعموا لأنفسهم حق فلسطين باسم المعاد أو هيكل سليمان، إذن لاستراح العالم من عناء يقاسيه في شتى أرجائه، لا تخلو منه قارة من القارات ولا أمة من الأمم".<sup>١٩٧</sup> ويرى الكاتب أن ما ينسب إلى عمر رضي الله عنه من رواية عهده لنصارى بيت المقدس لم يثبت لأنه لا يتفق مع موقفه بكنسية المهد وكنيسة القيامة.

وقد رد الكاتب المستشرقين الذين يذهبون إلى أن عمر رضي الله عنه لم ينصف لقس من النصارى الذي قاطع كلامه لما قرأ "ومن يضل فلن تجده ولياً مرشداً" حين يخطب المسلمين بقوله: إن الله لا يضل أحداً، فلما كررها القس أنذره عمر رضي الله عنه ألا يكرر فيقتل. ويرى الكاتب ولو ثبت هذا لا يعارض عدله حيث يقول " فلم يكن عمر ساعته في موقف جدل مذهبي مع هذا القس، وإنما كان في موقف الخطيب يذكر المسلمين بما يؤمنون به ولا يمارون فيه، فتدخل هذا القس بالمقاطعة وتكريره لها إخلال بالنظام يدعو إلى الظن بأن مقترفه أراد أن يُفسد على أمري المؤمنين موقفه؛ لذلك لم يزد عمر على النذير " <sup>١٩٨</sup>

### مصير خالد بعد إخضاع الشام

قد تحدث الكاتب عن عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه مفصلاً في هذا الباب ويحلل الكاتب فيه بعض مواقف خالد رضي الله عنه الذي أدت إلى عزله. فيصور الكاتب أن عمر رضي الله عنه فكر في خالد رضي الله عنه أنه يستقل بالرأي ولا يشاوره في الأمر، فيكون مهدداً للدولة بعد حيث يقول " كيف يستقيم وقد فتن خالد بالناس لإعجابهم به وإكبارهم فعالة، فخيّل إليه أنه أصبح صاحب الأمر والنهي في الشام كله، وأنه صار فيه ملكاً كجبله وأبائه، ويعطي ويمنع

<sup>١٩٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٨

<sup>١٩٨</sup> نفس المرجع، ص ٢٥٠

ألا لئن تُرِكَ وشأنه ليلبغن به الزهو يوما، فلا يقيم لأمر الخليفة وزنا ولا يحسب له حسابا، فلئن أراد الخليفة يومئذ نزعته من عمله ليثورن به وليجدن من الجند ومن أهل الشام أعوانًا له وقد يؤيده الروم فتكون الطامة الكبرى، ويومئذ لا يلومن عمر إلا نفسه.<sup>١٩٩</sup> فأمر عمر رضي الله عنه أبا عبيدة رضي الله عنه أن يحاسب خالدًا رضي الله عنه. وصور الكاتب هذا المشهد للحساب تصويرا دقيقا في صفحات كثيرة.

ويرى هيكل أن عمر رضي الله عنه كان لا يزال على سوء رأيه في خالد رضي الله عنه حتى بعدما تحدث معه خالد رضي الله عنه وجماعة من الناس في مسألة عزله ويظن الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان أشد قسوة على خالد رضي الله عنه بعدما عاد معزولا إلى المدينة ثم يبين سبب قسوته "لأنه رأى جماعة من المتعصبين لخالد يحاولون إثارة الفتنة وأن يمشوا بين الناس بالفساد، فلو أنه أظهر اللين لظن قومه لينه ضعفا، ولأيقنوا أنه عزل خالد في غير إثم، ولجرا ذلك على الشر وشجع عوامل القلق، ولم يغب ذلك عن فطنة خالد ولم تفته مرامي أمير المؤمنين فيه، فقد كان يرى عمر إذا خلا إليه كان الرقة معه واللفظ به، فإذا تحدث إليه قوم في الأمر كان ما رأيت بأسا وشدة.<sup>٢٠٠</sup>

ثم يقوم هيكل بتحليل قول عمر رضي الله عنه "إني لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانه، ولكن الناس فتنوا به فخفت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع، وألا يكونوا بعرض فتنة" ويظن الكاتب هذا التعبير لعمر رضي الله عنه من خطوة سياسية لتسكين الناس حيث يقول "أفتعبر هذه الإذاعة تعبيرا صادقا عن رأي عمر في خالد، وتشهد أنه اقتنع بأن الرجل لم يرتكب إثم الخيانة ولا إثم الإسراف حين أجاز الأشعث بعشرة الآلاف؟ أم هي إذاعة سياسية قصد بها ابن الخطاب إلى تسكين الخواطر التي ثارت لما أصاب سيف الله، تعصبا له وإعجابا به، وخشية أن يجري عمر في سياسته على تغليب الهوى والأخذ بالظنة في أمر بُناة الإمبراطورية الناشئة؟ أغلب الظن أنها كانت إذاعة سياسية أريد بها الاعتذار عن أمر أوشك حتى وقوعه أن يحدث حدثا،"<sup>٢٠١</sup>

<sup>١٩٩</sup> نفس المرجع، ص ٢٦٣

<sup>٢٠٠</sup> نفس المرجع، ص ٢٦٩

<sup>٢٠١</sup> نفس المرجع، ص ٢٦٩

فبين سبب ظنه أنها إذاعة سياسة فهو قول عمر رضي الله عنه عند وفاة خالد رضي الله عنه "يرحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه به" هذا القول يشير إلى ظنة الخيانة التي قامت في نفس عمر رضي الله عنه. ويرى لم تكن فتنة الناس بخالد رضي الله عنه وحدها من أسباب عزله. ولم ينس الكاتب أن يذكر حب عمر رضي الله عنه لخالد رضي الله عنه لما توفي خالد رضي الله عنه ولم ينه عمر رضي الله عنه عن بكاء على خالد رضي الله عنه وأتى بروايات يعبر عمر رضي الله عنه فيها عن ندمه لما فعله لخالد رضي الله عنه.

وقد قام الكاتب بمقارنة بين عمر وخالد رضي الله عنهما ويقول الكاتب "وخالد أعظم بناءة الإمبراطورية الإسلامية، وعمر أعظم من وطء ركنها ووجه سياستها"<sup>٢٠٢</sup> ويختتم الكاتب عن عزل خالد بكلامه "وعندي أن عمر إنما عزل خالد عن كل عمل للسبب الذي عزله من أجله عن إمارة الجند غداة خلافته، فالثقة بين الرجلين لم تكن قائمة في عهد أبي بكر ولا من قبله"<sup>٢٠٣</sup>

## المجاعة والوباء

جمع هيكل في هذا الباب حادثين هامين من سيرة عمر رضي الله عنه فالأول المجاعة التي انتشرت في البلاد العربي بسبب إمساك المطر لتسعة أشهر فصارت الأرض مجدبة لذا سمي هذا العام عام الرمادة والثاني الطاعون الذي انتشر في عمواس. وقد قام الكاتب بوصف دقيق لأيام المجاعة وروى أن عمر رضي الله عنه حلف ألا يأكل سمنا ولا زيتا حتى ترتفع المجاعة ثم يحلل الكاتب هذا التصرف لعمر رضي الله عنه حيث يقول الكاتب محللا "وقد حقق بتصرفه هذا غرضين جليلين: أولهما الشعور بألم الناس شعورا يدفعه إلى مضاعفة الجهد في العناية بهم والعمل لرفع الضر عنهم، والثاني طمأنينة السواد إلى أن أمير المؤمنين يشاركتهم في بأسائهم وضرائهم، فلا تثور نفوسهم بل يظلون راضين بكل ما يصيبهم؛ لأن أكبر رجل في الدولة يشاركتهم فيه، وقد بلغ عمر من هذين الغرضين خير ما يبلغه حاكم في أية أمة من الأمم."<sup>٢٠٤</sup>

<sup>٢٠٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٧٢

<sup>٢٠٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٧٣

<sup>٢٠٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٢



ثم أتى الكاتب بأخبار طاعون عمواس وقصة رجوع عمر رضي الله عنه إلى المدينة من طريق إلى الشام لما علم أن الأرض مصابة بطاعون فأتى بما جرى من حوار بينه وبين أبي عبيدة رضي الله عنه فينتقل الكاتب بالقارئ إلى تصوير حب عمر رضي الله عنه لأبي عبيدة رضي الله عنه ويرى أن عمر رضي الله عنه لم يستطع أن يترك أبا عبيدة رضي الله عنه إلى الطاعون لأن عمر رضي الله عنه أراد أن يستخلفه وكان أحد الرجلين اللذين داعهما أبو بكر رضي الله عنه للبيعة حيث يقول الكاتب عن حبه " أن عمر كان يحب أبا عبيدة أصدق الحب، ويضعه في أسى مكان من نفسه، ولذا فكر في إبعاده عن الشام لاستخراجه من الوباء، لكنه كان يعرف ما انطوت عليه نفس صاحبه من صدق الإيمان بالله وبفكرة الواجب، وأنه لن يدع رجاله بالشام فرارا بنفسه من قدر الله، فكتب إليه فلم يشر إلى شيء مما دار بنفسه، بل قال له: «أما بعد، فإني قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك، إذ نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلي وقرأ أبو عبيد الكتاب فأدرك مراد عمر "٢٠٥ فكتب إلى عمر رضي الله عنه أنه لم يرد أن يفارق المسلمين فلما قرأ عمر رضي الله عنه هذا الكتاب لأبي عبيدة رضي الله عنه بكى.

وقد حلل الكاتب الحوار الذي دار بين عمر وأبي عبيدة رضي الله عنهما عند رجوع عمر رضي الله عنه إلى المدينة من طريق إلى الشام لما علم عمر رضي الله عنه أن الأرض مصابة بطاعون وهو يقول " أفرارا من قدر الله يا عمر فقال: «نعم! فرارا من قدر الله إلى قدر الله. وهذا الاعتراض وهذا الجواب يصوران التفكير القدري وما وقع عليه من خلاف لا يزال قائما إلى اليوم، ونحسب كلمة عمر أدق تصويرا للقدرية الإسلامية<sup>٢٠٦</sup> ويعتقد الكاتب أن واجب أحدهما يختلف من واجب الآخر فأبو عبيدة رضي الله عنه أمير الجند وعمر رضي الله عنه السياسي ورجل الدولة فأدى كلاهما واجبهما أحسن قيام حيث يقول " وأول واجب على أمير الجند ألا يلقي بجنده إلى التهلكة بسوء رأيه، وألا يعرضهم للموت ... فإذا خاضها وجب عليه أن يعمل للانتصار فيها بأقل تضحية ممكنة، وأول واجب على السياسي ورجل الدولة ألا يعرض نفسه ومن يسوسهم إلى هلكة يستطيع تجنبها، أو

<sup>٢٠٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٤

<sup>٢٠٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٨

يستطيع إنقاذ الناس منها،... فإذا ظفر من ذلك بما أراد كان ظفره فخرا له كفخر الجندي بانتصاره ثم كان هذا الظفر قدرا من الله ورحمة بعباده.<sup>٢٠٧</sup>

ويثبت هيكل أن هذه الحادثة دليلا للحرية العقلية التي كانت موجودة بين المسلمين ويعتقد أن هذه الحرية من العناصر الهامة لقوة المسلمين حيث يقول محللا عن هاتين النظريتين "ويؤمن كل من الفريقين بأن له الحرية التامة في التمسك برأيه وعليه في الوقت نفسه أن يحتم الرأي الآخر، ثم لا يطعن تأييده هذا الرأي أو ذلك في عقيدته ولا يغير من حسن إيمانه وإسلامه أما وعمر أمير المؤمنين فرأيه هو الذي ينفذ، ثم يبقى أبو عبيدة ومن معه على رأيهم لا يبدلونه ولا ينزلون عنه ويبقى عمر على احترامهم واحترام رأيهم، كما يبقون هم على احترامه واحترام رأيه. هذه الحرية العقلية وما أدت إليه من تبادل الاحترام بين هؤلاء المسلمين الأولين كانت عنصر قوتهم وسبب ظفرهم بعدوهم وتغلبهم عليه وفتحهم بلاده، ذلك بأنهم كانوا يؤمنون بأن كل واحد منهم إنما يصدر في رأيه عن قصد الخير للجماعة"<sup>٢٠٨</sup>

ثم ينظر الكاتب إلى هذه الحادثة من ناحية العاطفة ويعد هذه مثلا لوفاء نادر حيث يقول "فأنت إذا نظرت إليهما من ناحية العاطفة رأيتهما مثلا في الوفاء قل نظيره، وفاء من عمر لأبي عبيدة أمين الأمة وصاحبه في السقيفة والقائد السياسي الذي رضي أهل الشام حكمه، ووفاء من أبي عبيدة لجنوده الذين خاضوا معه المعارك وبدلوا أنفسهم في سبيل الله، وإن أنت نظرت إليهما من ناحية الخير العام للدولة الناشئة رأيت الرجلين يختلفان رأيا على هذا الخير وهما يلتقيان مع ذلك عنده، فعمر يعرف قدر أبي عبيدة وما للمسلمين من خير في بقائه،... وأبو عبيدة يعرف واجبه لجنده ويرى مغادرته إياهم نجاة بنفسه شر مثل يضرب لهم ولمن دونه من أمرائهم."<sup>٢٠٩</sup>

---

<sup>٢٠٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٨٩

<sup>٢٠٨</sup> نفس المرجع، ص ٢٩٠

<sup>٢٠٩</sup> نفس المرجع، ص ٢٩١

## حكومة عمر

قد تحدث الكاتب عن سياسة عمر رضي الله عنه وإصلاحاته مفصلاً في هذا الباب وأول ما بدأ الكاتب به هو كلامه عن توسع الدولة الإسلامية وإن الدولة الإسلامية توسعت توسعاً واسع النطاق في عهد عمر رضي الله عنه وأما الكاتب فيثبت أن توسع الدولة لم يكن من إرادة عمر رضي الله عنه وإنما كان يريد جمع الجنس العربي حيث يقول " أن التوسع في الفتح لبلوغ هذه الأرجاء لم يكن مما أراده عمر أو أراده أبو بكر من قبله وإنما كانت أن يجمع الجنس العربي في وحدة تمتد من خليج عدن جنوباً إلى أقصى الشمال من بادية السماوة، وأن يدخل العراق والشام في هذه الوحدة؛ لأن السلطان فيها كان للخميين والغسانيين من العرب،"<sup>٢١٠</sup>

ويرى هيكل أن سبب هذه الفتوحات المذهلة السريعة يرجع إلى نظام الحكم في شبه الجزيرة أما هذا النظام فلم يكن نتيجة تفكير منطقي ولا من أعمال الفقهاء بل نشأ هذا النظام مع أطوار الزمان اللازمة إنما كان على ولي الأمر أن يوفي ما رآه من الحقوق حيث يقول الكاتب " فإذا أسرع الفتح ما أسرع في عهد أبي بكر وعمر وجب أن يستند النظام إلى بديهة ولي الأمر أكثر من استناده إلى منطقته، وأن يساير ولي الأمر الفتح في أطواره لا يسبقها ولا يستأخر عنها"<sup>٢١١</sup>. ويرى الكاتب أن القائمون بأمر الإسلام في شبه الجزيرة محور هذه الوحدة بقوة شخصياتهم وفي مقدمتهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

ويقدم الكاتب أن نظام الحكم بالمدينة كان قائماً على أساس الشورى ويشرح أن نظام الشورى عند عمر رضي الله عنه ليس النظام البرلماني في اليوم حيث يقول "ولم يكن الانتخاب بالصورة التي نعرفها اليوم أساس تلك الشورى، بل كان الخليفة هو الذي يختار من يستشيرهم، ثم كان يفاضل بين آرائهم، فيأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء"<sup>٢١٢</sup> ويرد الكاتب لمن يظن أن عمر رضي الله عنه أنكر على بني هاشم أن يكون لهم ما لغيرهم من حق في الخلافة يبين الكاتب سبب استبقائهم في المدينة " استبقى عمر بالمدينة بني هاشم وكبار الصحابة

<sup>٢١٠</sup> نفس المرجع، ص ٤٧٩

<sup>٢١١</sup> نفس المرجع، ص ٤٨٠

<sup>٢١٢</sup> نفس المرجع، ص ٤٨٧

ورؤوس قريش ليشيروا عليه بما أوتوا من عقل راجح وحكمة وحنكة؛ لأن الشورى كانت أساس الحكم."

٢١٣

فبعدهما بين الكاتب أعمال عمر رضي الله عنه المذهلة يستقصي عن سر قدرته العجيبة لهوض هذه التبعات الجسام فيرى الكاتب أن فضل هذا السر " يرجع إلى إنكار عمر نفسه، وإلى تجرده للقيام بواجبه شعورا منه بجسامة هذا الواجب، فهو لم ينظر من الخلافة إلى سلطانها وظاهرها وإنما كان كل نظره إلى القيام بأعبائها وتبعاتها لذلك لم يُبطر سلطانها المطلق، ولم يزدده مظهرها البراق، وقد بلغ شعوره بهذا الواجب مبلغا لا يقص التاريخ في عصر من العصور نظيره، ولا أحسب تعبيرا يصور هذا الشعور خيرا من قوله هو: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسنني ما يمسنهم؟! <sup>٢١٤</sup>

ويقدم الكاتب أن توسع الدولة الإسلامية لم تغير شيئا في بساطة العيش لعمر رضي الله عنه لأنه لم ير أن له حق يزيد عن حق غيره بسبب الخلافة وأثبت الكاتب مساواته بسائر المسلمين بقصة قميص صنع عمر رضي الله عنه من نصيبه ونصيب ابنه. ويصور الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان بمنزلة الحارس الأمين على مال المسلمين ويقدم أن عمر رضي الله عنه يرى خلافته كأبوة حيث يقول " لم يبتغ عمر من الخلافة شيئا إذن لنفسه، بل كان يعد نفسه الحارس الأمين على مال المسلمين، كما كان الحارس الأمين على وحدتهم وحریتهم،...وزادهم محبة له أنه كان يرى الخلافة أبوة تلقي على الخليفة واجبات للمسلمين هي واجبات الأب نحو أبنائه والحنان والبر أقدس عواطف الأبوة وأسمائها. وكان عمر أشد الناس حنانا على المحتاجين إلى الحنان وأشدهم برا بهم." <sup>٢١٥</sup> فأتى بأخبار كثيرة مشهورة تثبت أبوته وحنانه لرعيته.

ثم ينقل الكاتب كلامه إلى عدله فبعد ما ذكر قصص عدله التي تتجلى فيها صرامته يذهب الكاتب إلى أن سبب شدته يرجع إلى كفالة الأمة حيث يقول " وترجع شدته على ذويه وعلى عماله وذوهم إلى اقتناعه بأنه

<sup>٢١٣</sup> نفس المرجع، ص ٤٨٩

<sup>٢١٤</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٠

<sup>٢١٥</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٢

لا سبيل إلى كفالة الحرية والعزة والكرامة للأمة إلا أن يسوي العدل بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير والأمر والسوقة والولادة أجسم من المحكومين تبعه؛ لأن الحكم يغريهم بالبطش إذا لم يجدوا من يردعهم عنه" ٢١٦

ويرى الكاتب سبب قدرة عمر رضي الله عنه العجيبة لينهض بالتبعات الجسام وتوسع الدولة الإسلامية يرجع إلى العلاقة بين عمر رضي الله عنه ورعيته والثقة القائمة بينهم حيث يقول " كانوا يرون أمير المؤمنين خير كفيل بحقوقهم وبمن ي خلفون وراءهم من عيالهم وكانوا يرونه يؤثر على نفسه وأهله ويؤدي لكل ذي حق حقه، .... وما ضر أحدهم أن يُقتل في سبيل الله وفي سبيل الإمبراطورية الإسلامية، وهو على يقين من أن بنيته سيحزون إذا استشهد بخير مما يجزون إذا ظل حيا، وأنه ستنتفح له أبواب الجنة بما وهب الله نفسه مجاهدًا في سبيله." ٢١٧

ثم أثبت هيكلاً أن ما جاء به عمر رضي الله عنه في القضاء وما أوصى به القضاة في معاملة الخصوم يعد من مبادئ يتبعها كثير من الأمم اليوم في القضاء حيث يقول "أرأيت إلى المبادئ التي قررها عمر في هذا الكتاب أليست هي المبادئ التي القضاء عليها اليوم في أكثر الأمم حضارة؟! بل أليست هي المبادئ الثابتة التي لم تتغير بتغير الزمان والتي تناولها كتب الفقه والتشريع بالتعليق والشرح في عشرات الصحف ومئاتها أوليس ما ذكره عمر، عن أدب القاضي وما يجب عليه أن يلزمه في معاملة الخصوم، بالغاً غاية السمو! ... فكان اجتهاده موفقاً بل كان حجة يأخذ بها من بعده مطمئناً إليها واثقاً بها." ٢١٨

كما سبق الذكر أن عمر كان يفضل بعضهم على بعض في العطاء حسب قدرهم فبين الكاتب تأثير هذا العطاء في اقتصاد الدولة الإسلامية ويرى أن العطاء أسفر عن ظهور الطبقات في المجتمع وود عمر رضي الله عنه لو فعل كما فعل أبو بكر حيث يقول " فأما الأكثرون فكانوا يقبضون عطاءهم ويثمرونه في التجارة؛ لذلك

٢١٦ نفس المرجع، ص ٤٩٦

٢١٧ نفس المرجع، ص ٤٩٧

٢١٨ نفس المرجع، ص ٥٠٢

أسرعت ثروة أصحاب العطاء الذين يعدون بالألوف إلى الزيادة أضعافاً مضاعفة، فظهرت بين الطبقات فوارق تأثر بها النظام الاجتماعي تأثراً واضحاً، لفت عمر ودعاه للتفكير في الأمر والتماس الوسيلة لإعادة النظر فيه، ... وود لو صنع صنيعه في أمر العطاء؛ لذلك قال: «والله لئن بقيت إلى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم، ولأجعلهم رجلاً واحداً.... لكنه لم يبق إلى الحول، بل قتل هذا العام المقبل، فبقيت الطبقات، ثم كان لبقائها من الأثر في حياة الأمة الإسلامية من بعد ما لا يدخل تفصيله في نطاق هذا الكتاب.<sup>٢١٩</sup> ثم تحدث الكاتب عن ديوان الإنشاء ويختتم الكاتب هذا الباب بتخليص تطور النظام من البداوة العربية إلى الصورة المدنية ويرى سبب هذا التطور هو النظام القائم على القرآن والسنة والشورى والمساواة والحرية والعدل.

### الحياة الاجتماعية في عهد عمر

تحدث الكاتب في هذا الباب عن صورة مجملّة للأحوال الاجتماعية عند العرب عامة وقد بدأ كلامه بمكانة المرأة عندهم ثم تابع كلامه بنظريتهم وموقفهم للزواج فحياتهم الاقتصادي فبين عن عيش البادية والحضر فعقائدهم وعبادتهم الأصنام ثم فصل ما فعل الإسلام بهم وتأثير هذا الدين عليهم. فبعدهما فصل الكاتب عن حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية يقول كان لعمر رضي الله عنه أثر كبير فيها حيث يقول مجيباً لسؤال أي أثر أدى إليه اجتماع هذه العوامل الكثيرة في حياة العرب الاجتماعية لذلك العهد " تقتضيها الإجابة على هذا السؤال أن نضم إلى هذه العوامل عاملاً وجهها جميعاً هذا العامل هو عمر نفسه؛ فقد كان لاجتهاده في الفقه والسياسة والاقتصاد والاجتماع أثر أعظم الأثر في الجماعة الإسلامية كلها وفي العرب جميعاً، ... وهذا الاجتهاد هو الذي عصم الحياة الاجتماعية في عهده من التدهور، وهو الذي حفظ للروح الإسلامي سؤدده على نفوس المسلمين حيثما كانوا"<sup>٢٢٠</sup>

<sup>٢١٩</sup> نفس المرجع، ص ٥١٠

<sup>٢٢٠</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٠

ويذهب الكاتب إلى أن تعصب العرب لجنسهم زاد توسع الدولة الإسلامية ولا يرى الكاتب تعصبهم للجنس من الخصال السلبية حيث يقول " وليس لنا أن نؤاخذ العرب بتعصبهم لجنسهم؛ فالتعصب للجنس كان ولا يزال سنة في الأمم تأخذ بها وتعمل على تقويتها، ألا يزعم الجنس الأبيض اليوم أن القدر اختاره ليرقى بالأجناس الملونة على تعبيرهم...أولا يزعم الجنس الآري ... فإذا كان العرب قد بالغوا في التعصب لجنسهم، يوم كانوا الغالبين وكانت مقاليد الحضارة في أيديهم، فلهم من العذر أنهم جروا على السنة التي تجري عليها الأجناس كلها والشعوب جميعًا؛ فتعصبوا لعربيتهم، وإن خالف هذا التعصب مبادئ الإسلام،<sup>221</sup> يرى أن العصبية للقبيلة سكنت في عهد عمر رضي الله عنه لاشتغال المسلمين بالجهاد.

وقد فصل الكاتب عن حرص العرب في الخمر والنساء فلما كان الفتح عظم حظهم في الرخاء ويرى بعضهم عادوا إلى تمتع بها فانتقل كلامه إلى حرص العرب في الغناء فيقدم أن عمر رضي الله عنه كان يحب الغناء فيحلل رواية تنسب إليه أنه سمح أصحابه للغناء في سفره للحج ولكنه نهاهم الغناء لما رأهم اجتمعوا لسماع الغناء وتفرقوا لسماع القرآن. حيث يقول محللا لهذه الرواية " وإنما نهى عمر عما يحرك في النفس نوازع الضعف ونزغ الشهوة لما رأى من سوء أثره في حياة الجماعة، وحياة الجماعة وقوة هذه الحياة ونشاطها وتوثبها إلى الأغراض السامية واجبات يضطلع بها الحاكم كاضطلاعه بحفظ النظام في الدولة والمحافظة على سلامتها؛ لأن هذه القوة وهذا النشاط وهذا التوثب كلها أدوات للنظام والسلامة وليست الأقوال دون الأفعال أثرًا في هذه الحياة.<sup>٢٢٢</sup>

ثم حلل قصة أخذ عمر رضي الله عنه الحطيئة لهجائه ويرى أن سبب أخذه يرجع إلى إدراك عمر رضي الله عنه بأن الناس يتأثر كبيرا مما يسمعون ويرون من حولهم حيث يقول " وإنما عاقب عمر الشعراء الهجائين فحبسهم وضرهم وعزهم وأنذرهم، مع شغفه بالشعر وروايته، لما يعلمه من أن القول أعمق في حياة الجماعة الإنسانية

<sup>221</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٤

<sup>٢٢٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٩

أثرًا من كل ما سواه، فالناس من طفولتهم إلى ختام حياتهم، يتأثرون به ويتدفعون إلى أعمالهم بما يلقنونه منه عقائدنا وعاداتنا وعلمنا وتفكيرنا وعواطفنا وميولنا تتكيف كلها بما نسمعه منذ طفولتنا من أهلنا وأساتذتنا وأصحابنا".<sup>٢٢٣</sup>

فأتبع الكاتب تحليل قصة الحطيئة بكلامه عن حرية التعبير وحرية الرأي ولا يرى الكاتب الهجاء من حرية التعبير مع إيمانه الشديد في حرية التعبير فبين الفرق بين الرأي والهجاء حيث يقول " أن الرأي شيء، والهجاء والقذف شيء آخر الرأي فكرة أو مجموعة من الأفكار تصدر عن المنطق أو عن الوجدان وغاية صاحبه منه أن يكون الناس أقل شقاء أو أسعد حالاً مما هم فيه، قد يخطئ صاحب الرأي وقد يصيب، وأنت في جُلٍّ من أن تحارب الرأي إذا اعتقدته خاطئاً، لكنك لا تملك أن تحارب صاحب الرأي إلا أن تقيم الدليل على سوء نيته في إبدائه، ... أما أن تتعرض إلى ما وراء ذلك من حياته فذلك هو القذف، وهو الهجاء والإقناع فيه، وهو ما لا يجوز لقانون أو لحاكم أن يبيحه، بل يجب أن يعاقب مرتكبه عقاباً رادعاً في بدنه وفي ماله"<sup>٢٢٤</sup> ويختتم الكاتب هذا الفصل بتقديم أن عمر رضي الله عنه بذل كل جهوده لحفظ الإسلام من كل الشائبات ويرى أن دوره في الحياة الاجتماعية ودوره في السياسة كانا على حد سواء حيث يقول "ولا أخالني أغلو إذا قلت: إن فضله في هذه الناحية لا يقل عن فضله في الناحية السياسية وأثره في توجيه هذا التطور لم يقف عند ما أشرنا إليه في هذا الفصل وفيما سبقه من فصول الكتاب، بل كان لاجتهاده رأيه أكبر الأثر في هذا الأمر، كما كان له أكبر الأثر في غيره من أمور المسلمين".<sup>٢٢٥</sup>

## اجتهاد عمر

تحدث الكاتب في هذا الفصل عن اجتهاد عمر رضي الله عنه وقام بتحليل أثره وأثر موافقته ومخالفته في حياة الإسلام والمسلمين وتطور الإمبراطورية الإسلامية ونهوضها. ويستفتح الكاتب كلامه ببحث الفرق بين الخليفة وملك

<sup>٢٢٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٤٠

<sup>٢٢٤</sup> نفس المرجع، ص ٥٤١

<sup>٢٢٥</sup> نفس المرجع، ص ٥٤٣



ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان خليفة كما كان أبو بكر رضي الله عنه خليفة. ثم فصل عن اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في أمور لم ينزل الوحي فيها وأتى بشواهد لاجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم وقياسه شوراها وحنه الصحابة على الاجتهاد. فشرح الكاتب عن اجتهاد الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين بعض اجتهاد أبي بكر رضي الله عنه.

ويقدم الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يعلم روح النصوص الإسلامية ويدرك بمقاصد الشريعة حيث يقول " أن الفاروق كان يؤمن بأن الإسلام روح وعقيدة، وأن الإنسان لا يكمل إيمانه حتى يدرك الروح الذي أوحى الله به دين الحق إلى رسوله لذلك كان يطبق أحكام القرآن بالروح التي نزلت بها، فإذا ثبتت عنده سنة عن رسول الله من قول أو فعل، عرف مناسبة هذه السنة ليكون دقيقا في الأخذ بها من ثم كان يسترشد بالروح لا بالحرف عند الفصل فيما يعرض عليه، ... فإذا ورد نص لم يبق في أحوال الجماعة ما يقتضي تطبيقه لم يطبقه.<sup>٢٢٦</sup> وأتى الكاتب بحجة لمقاله هذا أنه منع عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ما كان يعطي لهما رسول الله من نصيب الزكاة لأنه يرى إنما فرض لهما وأمثالهما زكاة حين كان الإسلام في حاجة إلى تألفهم فإذا زالت الحاجة سقط الفرض وكذلك شرح اجتهاده في طلاق المرأة.

وكان من اجتهاد عمر رضي الله عنه أنه نهى أصحابه رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم خشية الاختلاف. فحلل الكاتب نهيه لرواية الحديث ويذهب إلى أنه لم ينصف من يرى أن عمر رضي الله عنه أخطأ في نهيه فلأن عمر رضي الله عنه ظن أن الخلفاء من بعده يفعل كما فعله هو حيث يقول الكاتب "لكنك تكون غير منصف في هذا الحكم وإن قامت لك الشبهة فيه؛ فقد كان عمر يحسب أن الذين يخلفونه من أمراء المؤمنين سيسيروا سيرته في النهي عن رواية الحديث، وسيحبسون مثله من يكثر الحديث عن رسول الله، فإذا لم يفعل هؤلاء الخلفاء، بل تغاضوا متعمدين عن الأحاديث توضع لأسباب سياسية وغير سياسية، وشجع بعضهم على وضعها

<sup>٢٢٦</sup> نفس المرجع، ص ٥٥٥

فالذنب في ذلك ليس ذنب عمر، بل ذنب أولئك الخلفاء، والذين شجعوا منهم على وضع الأحاديث أعظم وزرا وأكبر جريرة، أفيكون من العدل والأمر كذلك، أن ينسب الخطأ إلى عمر؟!<sup>٢٢٧</sup>

فذكر الكاتب قصة نصر بن حجاج الذي كان رجلا جميلا ولما يرى عمر رضي الله عنه أن النساء يفتتنن بحسنه أمره أن يسير إلى بصرة، فأتى الكاتب بهذه الرواية ليثبت أن عمر رضي الله عنه كان أشد ميلا في اجتهاده إلى الصرامة والحزم وليثبت أن العدل الصارم ديدنه في قضائه. ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه مال إلى الصرامة ليمحص الدولة الإسلامية من الضعف حيث يقول الكاتب " وإنما أراد عمر بهذه الصرامة الحازمة أن يحارب في نفوس العرب كل ضعف يجعل للهوى سلطانا عليها ذلك بأن القوة روح الإسلام وجوهره، فالقوة هي التي يتسلط بها المرء على نوازع النفس ونزغ الهوى، وهي التي تنزع من الأمة كل نقائص الضعف، وتدفع عنها كل معتد عليها يريد فتنتها عن عقيدتها."<sup>٢٢٨</sup>

ويختتم الكاتب هذا الفصل بمقارنة عمر رضي الله عنه بنابليون وهو يسأل أكان عمر رضي الله عنه يستطيع أن يفاخر باجتهاده أكثر من مفاخرة نابليون بالفتوح التي تمت في عهده؟ حيث يقول الكاتب مجيبا " يجب قبل أن تجيب على هذا السؤال أن تفرق بين ما آلت إليه إمبراطورية نابليون، وما آلت إليه إمبراطورية عمر، لقد تحطمت الأولى ونابليون حي، وبقيت الثانية يتوارثها المسلمون قرونا عدة جيلا بعد جيل وأسرّة بعد أسرة، مع ذلك لو أن عمر كان ممن يفاخرون لكان أكثر فخرا باجتهاده: فهذا الاجتهاد هو الذي أقام الإمبراطورية الإسلامية، وهو الذي أبقاها على الزمان."<sup>٢٢٩</sup>

## مقتل عمر

قد تناول الكاتب في هذا الباب أخبارا تتعلق بوفاته رضي الله عنهما وشعوره بدنو أجله وما حدث

<sup>٢٢٧</sup> نفس المرجع، ص ٥٦٢

<sup>٢٢٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٦٩

<sup>٢٢٩</sup> نفس المرجع، ص ٥٧١

يوم وفاته والأسباب التي أدت إلى مقتله ولم يترك الكاتب أن يذكر فيه حياته مجملاً. ولما صور الكاتب مشهد قتله رجح رواية تحكي أن المسلمين استأنفوا الصلاة بعد ما حمل عمر رضي الله عنه إلى داره على رواية تحكي أن عمر رضي الله عنه استخلف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة والدم يخرج من جرحه وصلى المسلمون وعمر رضي الله عنه في حاله حيث يقول الكاتب "ولو أنا استطعنا أن نتصور عمر يفكر مع ما أصابه من طعنات في استخلاف عبد الرحمن بن عوف على الصلاة وهو تصور بعيد عن مألوف العقل. لما استطعنا أن نتصور الناس في هذه الساعة تلتئم صفوفهم وهم فيما هم فيه من روع وفزع، لا بد إذن أن يكون عمر قد حمل إلى داره في جوار المسجد واعياً أو فاقد الوعي من هول طعناته."<sup>٢٣٠</sup>

فقد صور الكاتب آخر أوقاته في صورة مفصلة فصور الكاتب حزن الناس وخوفهم لما يقع بعد وفاته ويرى الكاتب أن لهم عذر جدير لخوفهم وحزنهم حيث يقول "وكان لهم العذر أن تثور مخاوفهم فمن ذا يستطيع أن يضطلع من بعده بالعبء العظيم الذي خلفه بمثل ما اضطلع هو به ومن ذا يستطيع أن ينسى نفسه وأهله، وأن يتجرد الله ولخدمة المسلمين والعدل بينهم تجرده لقد استفتح عهده وشبه الجزيرة وحدها في سلطانه، ومات والإمبراطورية الإسلامية تشتمل فارس والعراق والشام ومصر مع ذلك لم يغير من تقشفه وبساطة عيشه ..... لذلك اشتد حزن الناس لموته وجزعهم عليه."<sup>٢٣١</sup>

ويقدم الكاتب أن أهل الشورى كانوا مشغولين بالخلافة فيرى اشتغالهم بها سببا لقلّة إيراد المؤرخين رثائهم فيه حتى تدهش القارئ حيث يقول "قد يدهشك، والأمر ما ترى ألا يورد المؤرخون من رثاء أصحاب الرأي يومئذ لعمر مثل ما أوردوا من رثائهم لأبي بكر يوم قبض، فكل ما ينسب إلى علي بن أبي طالب... ربما أذهب اشتغال أهل الشورى بالخلافة بعض الشيء من دهشتك لقلّة ما أوردته المؤرخون عما رثي به عمر يوم وفاته، وسترى مبلغ هذا الاشتغال بعد حين فلا يبقى من دهشتك شيء"<sup>٢٣٢</sup>

<sup>٢٣٠</sup> نفس المرجع، ص ٥٧٨

<sup>٢٣١</sup> نفس المرجع، ص ٥٨٨

<sup>٢٣٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٩٠

ثم يبحث الكاتب عن سبب مقتله ويرى أن قصة شكوى أبي لؤلؤة من الخراج خدعة أريد بها ستر الحقيقة عن الأعين ويرى أن السبب الحقيقي هو مؤامرة ممن غلب عليهم المسلمون حيث يقول " الحقيقة أن الفرس واليهود والنصارى قد كانت في نفوسهم حفيظة أي حفيظة على العرب عامة وعلى عمر خاصة بعد أن غلب المسلمون الفرس والنصارى على أمرهم، وتولوا حكم بلادهم، واضطروا عاهل الفرس إلى فرار انتهى به إلى شر مصير .... ومن يدري لعلهم ائتمروا فكانت فعلة فيروز ثمره مؤامرة أرادوا بها شفاء ما في نفوسهم من غل وحسبوا أنهم قادرون بها على أن يشتتوا شمل العرب ويفتوا في أعضاء المسلمين.<sup>٢٣٣</sup> واحتج لمؤامرتهم رواية عبد الرحمن بن عوف تحكي أنه رأى سكين التي قتل بها عمر رضي الله عنه مع الهرمزان وجفينة.

وفي نهاية هذا الفصل يعبر الكاتب عن عجبه لاعتقاد الناس أن عمر رضي الله عنه مقتول بسبب الخراج حيث يقول " فذهب عمر ضحية مؤامرتهم لم يكن ذلك عجباً، وإنما العجب أن يظل الناس يعتقدون أن فيروز قتل عمر؛ لأنه لم ينصفه بتخفيف الخراج عنه، مع أن عوده للشكوى من ثقل الخراج لم يكن أيسر منه.<sup>٢٣٤</sup> وكذلك يبين هيكل إنه أراد بمقاله هذا أن يقوم بحق مؤرخ حيث يقول "فحق على كل مؤرخ أن يبدي رأيه في أمر أصبح ملك التاريخ فأصبح واجباً جلاؤه، لهذا أبدت رأبي فيه مؤقناً أن هذا الرأي يفسر الكثير مما حدث من بعد بين العرب والفرس"<sup>٢٣٥</sup>. ومن الملحوظ أن هيكل ذكر في الهوامش أن عباس محمود العقاد أيضاً يرى هذا الرأي في كتابه 'عبقريّة عمر' حيث يقول هيكل عن رأي العقاد " وفي رأي الأستاذ العقاد أن كعب الأخبار كان شريكاً في المؤامرة. وأنا مقتنع أنه كان على علم بها، لكني لا أستطيع القطع باشتراكه فيها.<sup>٢٣٦</sup>

<sup>٢٣٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٩١

<sup>٢٣٤</sup> نفس المرجع، ص ٥٩٩

<sup>٢٣٥</sup> نفس المرجع، ص ٥٩٩

<sup>٢٣٦</sup> نفس المرجع، ص ٦٠٢

## الباب الثالث: تحليل كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد

- الفصل الأول: عباس محمود العقاد حياته وشخصيته
- الفصل الثاني: دراسة عن سلسلة 'عقريات' العقاد
- الفصل الثالث: ميزات كتاب 'عبقرية عمر'

## الفصل الأول

### عباس محمود العقاد حياته وشخصيته

#### مولده ونشأته وثقافته

هو عباس محمود إبراهيم مصطفى العقاد ولد في إحدى القرى بجنوب مصر مدينة أسوان سنة ١٨٨٩ في أسرة فقيرة شديدة التمسك بالدين. وكان يسافر العقاد إلى القاهرة وكثير من أماكن شمال مصر وهو يلتمس الرزق ولم يجد رزقا كافي لحاجاته الأصلية واضطر أحيانا لبيع كتبه.

وكان عباس محمود العقاد صاحب قدرة جبلية كثيرة، وأبرزها التحدي وحدة الطبع وكان يفتخر بنفسه، ويعترف منها القدرة على ما لا يمكنه كثير من أصحابه وكان شديد الخصومة ولعل هذه الصفة سبب لكثرة مشاكساته وخصوماته. وتثقف نفسه معتمدا على ذكائه ومطالعه واسعة النطاق واتصال بالمتقنين والأدباء ورجال الفكر.

وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ نصير وهو في السابع من عمره سنة ١٨٩٦. وتلقى العقاد العلوم والثقافة من المنابع المتعددة حتى أصبح في مقدمي المثقفين في مصر وقد تحدث العقاد بنفسه عن رأيه في أهمية مطالعة الكتب " الكتب طعام الفكر، وتوجد أطعمة لكل فكر، كما توجد أطعمة لكل بنية، ومن مزايا البنية القوية أنها تستخرج الغذاء لنفسها من كل طعام ... وعندي أن التحديد في اختيار الكتب إنما هو كالتحديد في اختيار الطعام. وكلاهما لا يكون إلا لطفل في هذا الباب أو مريض".<sup>٢٣٧</sup> ولم ير العقاد أن الإنسان الذي يطالع الكتب غني عن تجارب الحياة، بل عليه أن يأخذ العلوم والتثقيف من تجارب الحياة مع مطالعة الكتب.

<sup>٢٣٧</sup> العقاد، عباس محمود. أنا. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤. ص ٦٢. ٤

ترجع المنابع التي تلقاها العقاد ثقافته إلى شيئين: الأولى الثقافة الغربية، بما قامت عليه من فلسفات، وتيارات أدبية ونقدية حديثة، والثانية: ترجع إلى الثقافة العربية والإسلامية.

وكان للجو الاجتماعي في الأسوان حينئذ دور كبير في غرس بذور الثقافة الغربية فقد كانت الأسوان ملتقى للسائحين، ولهذا كانت المجالات والكتب الأجنبية شيئاً مألوفاً فيها، وهذا الذي صرف العقاد إلى عالم جديد الثقافة، وحيث جعله قادراً على الاطلاع على الآداب العالمية ففتحت أمامه آفاقاً جديدة ونمت حسه الجمالي. فتعلم العقاد اللغة الإنجليزية مبكراً باحتكاك لهم. وقد ذكر العقاد أنه إذا أراد أن يكتب بالعربية تمثلت له التركيب لأول مره باللغة الإنجليزية، ثم كان يخرجها على الورق عربية من طول قراءته للإنجليزية.

ولم يكن تأثير التفاعل مع الغرب قليلاً في حياته العلمية والأدبية وكان العقاد يميل إلى المذهب الرومانسي ميلاً كبيراً لطول قراءته في الكتب الإنجليزية فمدرسة الديوان أسست على الاتجاه الرومانسي. فالجو الثقافي هو الذي يمد الإنسان بنظرياته المختلفة فكرية كانت أم أدبية، لتقوده ليرسم ملامح الفترة الزمنية تبعاً للتفاعل مع الآداب والثقافات والحضارات العالمية.

وتأثر العقاد كثيراً بالكتاب الغربيين وآرائهم، فأخذ أكثر آرائه النقدية من هزلت كما تأثر بآراء هيجل حول الجمال كما تأثر العقاد بكثير من الفلاسفة الغربيين، الذين قرأ كتبهم وتأثر بآرائهم الفلسفية التي ظهرت في مؤلفاته، ف جذب إلى الفكر الألماني ممثلاً (بكانت) و (نتيشه) وشوينهور). ومن الفلاسفة الغربيين الذين تأثر العقاد (بومجارتن)، والفيلسوف الألماني (كرونني)، و (كلنجر)، فتأثر بآرائهم في الخيال والتصوير والجمال.<sup>٢٣٨</sup>

<sup>٢٣٨</sup> نصيف، أحمد ضاري. العقاد ودوره في الحركة الأدبية الحديثة. ٢٠١٨. جامعة النيلين، جمهورية السودان. ص ١٦

## فلسفة العقاد

العقاد هو المفكر والفيلسوف الذي تناول كثيرا من النظريات الفلسفية عن طبيعة الوجود ونظرية المعرفة وعلم القيم وغيرها وقد قام بالتحليلات العميقة لكثير منها وكذلك قام بتعليقات مفصلة للعديد من النظريات الفلسفية والأفكار على مرور الأيام.

والعقاد هو مفكر وفيلسوف اتجه إلى تفكير عميق عن فن كما اتجه إلى تأمل العديد من القضايا والظواهر التي تطرق إليها فكره. ولكونه فنان وأديب يملك تجربة الإبداع في الشعر والقصة والمقال الأدبي وغيرها وكذلك هو صاحب تجربة التذوق والتلقي للعديد من الفنون كالفنون التشكيلية والموسيقية والتمثيلية. وبذلك تمكن أن يجمع في نظرتة الجمالية بين الخبرة الجمالية والفنية وبين تنظيرها العقلي والتأمل فيها. ومن هنا ظهرت فلسفته في الفن والجمال محصلة لذلك التعايش بين الفكر والخبرة والفنون المختلفة.<sup>٢٣٩</sup>

تمكن العقاد أن يجمع بين التأمل العقلي للفن وبين الخبرة الحياتية له وكذلك تمكن أن يجمع أيضا بين فلسفة الفن والنقد الأدبي والفني. فلم يكن العقاد عالما بالفلسفة أو عالما بالجمال فحسب، بل كان يعلم النقد ويعتبر من الناقدین في الطراز الأول من اتسع نقده وتشعب وتجاوز العديد من الفنون المتنوعة والمتميزة، كما سيأتي بيانها في آخر هذا الفصل.

ويتجلى البعد الفلسفي في أعماله ومؤلفاته، فقد قام بأليف عشرات مؤلفات وفيها الكتب والمقالات التي تتصل من حيث موضوعها ومنهجها بالفكر الفلسفي، سواء كان ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهي جميعها تتصل من قريب ومن بعيد بالجوانب الفلسفية بصورها الخاصة والعامة.

<sup>٢٣٩</sup> الجزيري، محمد مجدى. نظرة جديدة إلى فلسفة الفن عند العقاد. طنطا: المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٩٣. ص ٤-٣



ويرى الباحث أحمد ضاري نصيف أن العقاد تناول الجمال من الجانب الفني، حيث يقول "ومن الدنيا بأن تصله من طريق الضرورة والدنيا روح نلمسه بيد من المادة، فالروح هو الحقيقة، والمادة وسيلة الإحساس به، ورأي العقاد بالجمال، هو أن الحقيقة الفنية أسبق من الحقيقة الفلسفية وأنها الأساس في فهم ظواهر الكون، وهذا المنهج يتفق وطبيعة العقاد الذي يقول:

الشعر من نفس الرحمن مقتبس      والشاعر الفذ بين الناس رحمن<sup>٢٤٠</sup>

وينظر العقاد إلى النظريتين اللتين في غرض الفن في الحياة من ناحية جديدة، هما 'الفن للفن' و'الفن للحياة' ولا يميل العقاد كاملاً إلى أحد من النظريتين بل أتى برأي جديد فموقفه منهما إن للفن موضوعه، وهو تجلية الخيال والشعور على نحو فيه خلق وإبداع وتقدير للذات، حيث يقول "أننا نرتقي في تقدير الفن كلما ارتقيناه في تقدير الحس والبداهة، وفي العلم بوظيفة الخيال فليس الفن مقيداً بالحس ولا بالمدركات الحسية، وليس الخيال خداعاً منعزلاً عن حقائق الأشياء، بل هو وظيفة مبدعة تنفذ من أسرار الخلق إلى الصميم<sup>٢٤١</sup>."

وقد وضع العقاد بنفسه عن فلسفته في الحب في سيرته الذاتية 'أنا' وهو يقول "ما ليس بالحب أسهل في التعريف مما هو الحب، وهكذا الشأن في كل تعريف لمعنى من المعاني أو كائن من الكائنات،<sup>٢٤٢</sup> ويرى ليس من السهل أن يعرف الحب وهو يقول "فنحن نستطيع في لمحة عين أن نعرف أن زيدا ليس بعمر، ولكننا لا نستطيع في هذه السهولة أن نذكر تعريف عمرو أو زيد." واتخذ العقاد طريق النفي لتعريف الحب ويقول "فليس الحب بالغيرية الجنسية، لأن الغريزة الجنسية تعم الذكور والإناث، ولا يكون الحب بغير تخصيص وتمييز. وليس الحب بالشهوة لأن الإنسان قد يشتهي ولا يحب وقد يحب وتقضى الشهوة

<sup>٢٤٠</sup> نصيف، أحمد ضاري. العقاد ودوره في الحركة الأدبية الحديثة. ص ١٩.

<sup>٢٤١</sup> العقاد، عباس محمود. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية. ط ٢. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦. ص ٦٢

<sup>٢٤٢</sup> العقاد، عباس محمود. أنا. ص ١٢٠.

على حبه، وليس الحب بالصدقة، لأن الصداقة أقوى ما تكون بين اثنين من جنس واحد، والحب أقوى ما يكون بين اثنين من جنسين مختلفين، وليس بالانتقاء والاختيار لأن الإنسان قد يحب قبل أن يشعر بأنه أحب، قبل أن يلتفت إلى الاقتناء والاختيار. وليس الحب بالرحمة، لأن المحب قد يعذب حبيبه عامداً أو غير عامداً، وقد يقبل منه العذاب مع الاقتراب ولا يقبل منه الرحمة مع الفراق. " يذهب العقاد إلى أن في الحب شيء من العداوة... وفي الحب شيء الأنانية... وفي الحب شيء من الغرور.. وفي الحب شيء القضاء والقدر.. ويخلص العقاد كلامه عن الحب " وخالصة التجارب كلها في الحب أنك لا تحب حين تختار ولا تختار حين تحب، وأنا مع القضاء والقدر حين نولد وحين نحب وحين نموت، لأن الحياة وتجديد الحياة وفقد الحياة هي أطوار العمر التي تملك الإنسان، ولا يملكها الإنسان.<sup>٢٤٣</sup>

ومن مؤلفاته ومقالاته التي فيها دلالات فلسفية كثيرة ومنها ما ألفه عن فرنسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي باسم 'فرنسيس بيكون' (١٩٤٥)، وكذلك ما ألفه عن ابن رشد باسم 'ابن رشد' (١٩٥٣).

وكذلك قام العقاد باستعراض آراء المفكرين في القرن العشرين في مسألة العقيدة الدينية، والفلسفة القرآنية في كتابه عقائد المفكرين (١٩٤٨). وتناول فيه الإسلام ومبادئه، وأوامره ونواهيه، وموقفه من جميع مظاهر الحياة، وموقفه من الناس وموقف من النفس، وأول ما بدأ به كلامه عنه هو القرآن الكريم، ويقدم أن هذا الكتاب يخاطب الضمير الإنساني، ثم يشرح الفلسفة القرآنية واحداً فواحداً. ويرى أن الأخلاق التي يدعوا إليها الإسلام هي الأخلاق التي تنشأ من صحة النفس وصحة الجسد، فالنفس الصحيحة هي مصدر الأخلاق الصحيحة، فعمل صحيح يصدر من الجسد الصحيح، والأخلاق الجميلة التي شجعت عليها الدعوة الإسلامية هي الأخلاق التي تنبع من شعور الإنسان بالتبعية، وكذلك يقدم أن الحكومة في منظور النص القرآني فهي الحكومة الديمقراطية نفسها في عصرنا الحاضر، فيذهب العقاد إلى أن المرأة في المنظور الإسلامي عينت منزلتها بالنسبة إلى الرجل، فقد أجمل الإسلام مالها وما عليها من

<sup>٢٤٣</sup> نفس المرجع، ص ١٢٤.

الحقوق ، أخيرا في العلاقات الدولية يرى أن القرآن حث المسلمين على أن يقيموا علاقاتهم مع الأمم الأخرى وأمرهم على إيفاء بالعهود وإتمامها إلى مدتها إن كانت موقوتة.<sup>٢٤٤</sup>

## حياته الصحافية والسياسية

كان العقد صحفيا بارعا ترك سمته في الصحافة. وتنتشر حياته الصحافية في ثلاث مراحل والمرحلة الأولى تبدأ من سنة ١٩٠٧ م إلى سنة ١٩١٤ م. وكانت هذه المرحلة تعد بداية لحياته الصحافية. والمرحلة الثانية تبدأ من الثورة ١٩١٩ م إلى سنة ١٩٣٦ والثالثة من سنة ١٩٣٧ إلى سنة ١٩٦٤ م .

كانت أول صحيفة التي أصدرها العقد هي باسم: "التلميذ" ، محاكاة لصحيفة "الأستاذ" التي يصدرها عبد الله النديم. وافتتح الكتابة بمقال عنوانه: " لو كنا مثلكم لما فعلنا فعلكم " يعارض بها مقالة عبد الله النديم: "لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا" يعني بها الأوربيين. وعند السادسة عشر أصدر صحيفة أسبوعية أخرى باسم: رجع الصدى<sup>٢٤٥</sup>.

ويقول العقد في كتابه 'حياة القلم' عن صحيفة التلميذ " لفتتني العناوين البارعة فقرأت كل ما وجدته من صحف النديم ووحدتني ذات يوم أقطع الورق قطعاً على قدر المجلة واعتمد إلى مكان العنوان منها فأكتبه يخطي متألقا وعارض عنوان "الأستاذ" بعنوان "التلميذ".<sup>٢٤٦</sup>

فلما رأى العقد فريد وجدي يبدأ صحيفة "الدستور" سنة ١٩٠٧ استقال من وظيفته الحكومية وأراد أن يعمل كاتباً فيها فبدأ عمله الصحفي في الدستور واستمر فيها إلى أن يصبح محرراً لها. ثم ابتعد العقد عن صحيفة الدستور لبضعة أشهر بسبب الاختلاف الذي كان بينه وبين فريد وجدي في القضايا الفكرية والسياسة، على رغم من مخالفتها ثم عاد إليها واستمر فيها إلى أن يصدر آخر عددها. وتنافس العقد في

<sup>٢٤٤</sup> نصيف، أحمد ضاري. العقد ودوره في الحركة الأدبية الحديثة. ص ٢١.

<sup>٢٤٥</sup> د النبي، محمد سعيد حسب. "عقرية العقد - ١". صحيفة اللغة العربية. ٢٤-٢٣-٢٠٢٣.

[https://www.arabiclanguageic.org/view\\_page.php?id=2663](https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=2663)

<sup>٢٤٦</sup> العقد، عباس محمود. حياة القلم. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩. ص ٣٧.

الكتابة مع محمد حسين هيكل ومصطفى الصادق الرافعي وابراهيم عبد القادر المازني وخليل المطران وطمه حسين وغيرهم. ولما توقفت الدستور انتقل إلى صحيفة المؤيد وعمل فيها محررا. ثم ترك العقاد 'المؤيد' لما يرى بعض محررين لها قبلوا الرشوة والهدايا من مشتركها مستغلا باسمه. ثم قضى أياما في القاهرة وراح إلى الأسوان واشتغل بتأليف كتاب له.

ولم يكن العقاد غافلا عن مصلحة شعبه ولما يرى أمير أسوان يستبد شعبه كتب بلغة عنيفة ضد ظلمه واستبداده وتتابع الكتابة الأدبية في المجلات ونشر في مجلة "المقتطف" فصولا أدبية عنها. وقد قدم الدكتور يعقوب صروف له وظيفة مراسل حربي تحت رئاسة العسكرية الإنجليزية للمنطقة المصرية الشرقية وكان يعقوب صروف مديرا لهذه المنطقة ولكن ما قبلها العقاد لأجل وطنيته. وفي هذا الوقت حصل على دعوة من عبد القادر حمزة ليقوم بتحرير صحيفة الأهالي فعمل فيها محررا. وفي هذه المدة صدر من العقاد مقالات عن الوظيفة المصرية. فترك العقاد وظيفته في صحيفة "الأهالي". ثم سافر إلى القاهرة من الإسكندرية وعمل محررا في جريدة الأهرام. وقد كتب العقاد مؤيدا لثورة ١٩١٩ وشارك معه المازني فأدت كتابتهما إلى قرار نفيهما وقد ذكر محمد عبد المنعم الخفاجي في كتابه عباس محمود العقاد بين الصحافة والأدب: "انتقل العقاد إلى القاهرة من الإسكندرية ليعمل في تحرير "الأهرام". وعقب وصوله اشتعل نيران ثورة ١٩١٩ فكان العقاد وزميله المازني محرران منشورات جماعة اليد السوداء السرية، وكتبا في الصحف مقالات نارية ملتهبة حتى تقرر نفيهما على يد وزير الداخلية ثورة باشا الذي استقال في هذه الفترة".<sup>٢٤٧</sup>

وكان العقاد يدفع عن دستور مصر وحزب الوفد بمقالاته في 'البلاغ' حتى أصبح كاتب الوفد الأول وحيث سببت هذه الكتابة لتقريب سعد زغلول إليه وسماه "كاتب جبار المنطق" وكانت مدة قيامه في البلاغ محررا سبع سنوات من سنة ١٩٢٣ إلى سنة ١٩٣٠. ولم يكن دور العقاد في مدافعة حزب الوفد قليلا بل

<sup>٢٤٧</sup> ب ك، عبد الحميد. مساهمة عباس محمود العقاد في تطور النثر الإسلامي. ٢٠١٥. المكتبة المركزية للجامعة كاننور. ص ٧٠

دافعه إلى أن ينصر الوفد على خصومه ولم تكن محاربة العقاد ضد الاستبداد محصورة في المقالات بل ألف كتابين. فأولهما "اليد القومية في مصر" والحكم المطلق في القرن العشرين".

ويتضح مما سبق أن العقاد كان مشاهدا للأحداث السياسية والاجتماعية مدركا بها وعاصر عددا كبيرا من زعماء النهضة وأمرائها. وبدأ حياته السياسية متأثرا بأفكار سعد زغلول الوطنية والتحريرية والسياسية. ولم يكن تأثير الثورة العربية غير قليل لافتتاح حياته السياسية، وكان يرى سعد زغلول رائدا له في حياته السياسية. فنشر أفكار سعد زغلول في صحيفتي 'البلاغ' والأهالي' كما رأينا من قبل. وكذلك كان يدافع عن مبادئ الوفد تحت قيادة سعد زغلول.

فصار العقاد من المتقدمين الذين يدافعون عن حقوق شعبه خاصة الحقوق الدستورية مثل حقوق الحرية والاستقلال، لأجل هذا حارب محاربة عنيفة مع القصر الملكي فبدأ أن تذيع صيته في أنحاء الدولة وانتخب عضوا بمجلس النواب. ولما حاول الملك فؤاد إسقاط حقين من الدستور أحدهما "إن الأمة مصدر السلطات"، وثانيهما "أن الوزارة مسؤولة أمام البرلمان" استجوب العقاد الملك في صوته المرتفع في البرلمان أمام أعضائه "إن الأمة على استعداد لأن تستحق أكبر رأس في البلاد يخون الدستور ولا يصونه". فاتهم العقاد العيب في الذات الملكية فسجن عام ١٩٣٠ لمدة تسعة أشهر. وحارب العقاد على خصومه بكلماته الحادة ولم يتمكنوا أن يثبتوا في ميدان الحرب السياسي أمام سنان قلمه وفرق شمل خصومه وقد ذكر عنه الأستاذ إبراهيم هلال حيث يقول "لما ينس الوفد من مناقشاتنا بالبراهين والحجة لجا إلى ذلك الوحش الرابض في جريدة البلاغ ففك عنه السلاسل والأغلال وأطلقه علينا يفتك كيف شاء".<sup>٢٤٨</sup>

وكان العقاد يحارب خصومه بالاستهزاء الشديد والسخرية الحادة وكان يضمن في كلماته الفكاهة فلما أعلن محمود باشا أنه سيحكم البلد بيد من حديد، فأخذ مؤيدوه هذا الإعلان بالعزة والفخر فهاجم العقاد بكلماته السخرية حيث جعل عنوان المقالة "يد من حديد ولكن في ذراع من جريد". تداول هذا

<sup>٢٤٨</sup> العقاد، عامر. معارك العقاد السياسية. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣، ص ٣٤.

العنوان في أنحاء البلاد وكان أثره عميقا بين الأمة المصرية. وله عدة مقالات تعلم الناس بأهمية استقلال مصر وحريتها ومنها " الاستقلال لحرية مصر لا لاستعبادها و " سيعد الدستور ولكن كيف " والرجعيون والإنجليز المحتلون " الحكم المطلق في القرن العشرين " وهي أغنية بارعة في الديمقراطية وصلاحياتها للأمم الشرقية وغيرها.<sup>٢٤٩</sup> واستمر العقاد في هذه الحال إلى أن ينتقم القصر عليه فصدر الحكم عليه بالسجن. ولم يكن العقاد غافلا عن السياسة خارج البلاد فحارب محاربة شديدة بمقالاته ضد وموسوليني وهتلر والنازية الفاشية وحارب الشيوعية الصهيونية بإذاعته ومؤلفاته ومن كل هذا يتجلى أن حياته اشتغلت بأعمال السياسية والصحافية.

## العقاد والنقد

يعتمد المنهج النقدي عند العقاد على التأثير، فيجب أن يكون صاحب هذا التأثير مصحوبا بدوق فني واطلاع واسع على مآثور الأدب والبحث عنها وكذلك النقد الأدبي، ليكي يكون هذا التأثير سليما في نتائجه. كما يقوم المنهج النقدي عنده أيضا على القواعد الفنية الموضوعية. وكان العقاد كثير المطالعة على الأدب الإنجليزي فتأثر بهذا الأدب في شعره ونظرياته الأدبية. فإذا تصفحنا أعمال العقاد النقدية ننتهي إلى القول أنه كان ناقدا بارعا ماهرا. أصبح النقد سهلا في يد العقاد حيث كان يتقن الأدب والفلسفة والتاريخ والدين ولا نخطئ إذا وصفناه " بالجاحظ العصر الحديث." والعقاد هو كما قاله حنا فاخوري حيث يقول " العقاد معلمة حية، باقية، يرجع إليها الباحثون والمنقبون فيجدون فيها غايتهم، فأدبه علم وعلمه أدب، فلسفته منطق ومنطقه فلسفة، وفنه أصول وأصوله فن، ودينه عقل وعقله دين. وهو قبل ذلك وبعده، إنسان عظيم يكاد، لو لا الضعف البشري لا وجود الزمان بمثله في كل ألف عام " <sup>٢٥٠</sup>.

<sup>٢٤٩</sup> ب ك، عبد الحميد. مساهمة عباس محمود العقاد في تطور النثر الإسلامي. ص ٧٢  
<sup>٢٥٠</sup> الفاخوري، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث. ط١. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦. ص ٢٨٩.

ومن زاد الناقد أيضا اطلاع على الأدب في العصور المختلفة، ويكون ذلك عن طريق البحث لأجزاء الموضوع الذي يقوم بنقده فيصبح نابعا عن وعي عميق، ويعتبر العقاد أحد رواد المنهج النفسي في الأدب إلى جانب محمد خلف الله أحمد، ومحمد النويهي، وعلى الرغم من الاختلاف بينهم في وسائل المنهج، والعقاد أبرزهما تطبيقا للمنهج النفسي في الأدب؛ فقد بدأه بدراسته عن ابن الرومي، فكل ما رآه عن ابن الرومي كان معتمدا على هذا المنهج للعقاد. وكذلك تأثر العقاد بطريقة هازلت إمام المدرسة الحديثة الإنجليزية ونظرياته النقدية وانتهج منهجه في النقد.

وكانت من محاولته النقدية أنه نظر إلى الشعر من جانب جديد فحاول أن يعيد فهمنا للشعر، ولما علم أن قرض الشعر لم يعتبر من البساطة والسهولة على نحو ما كان عند أجدادنا السابقين من العرب حيث عبر عن رأيه في الشعر وهو يقول " ليس الشعر لغوا تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في سماع كلامها وفتورها، فلو أنه كان كذلك لما كان له هذا الشأن من حياة الناس، إنما الشعر حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في تناول الحواس والعقول"<sup>٢٥١</sup>

وقد اهتم محمد مندور بشخصية العقاد وأعماله الأدبية اهتماما كبيرا حيث إنه خاض في دراسة عن العقاد وأسفرت هذا الاهتمام عن دراسة شاملة مفصلة عن حياة العقاد الأدبية والنقدية، حيث كان أكبر مرجع له في هذه الدراسة كتاب "فصول من النقد عند العقاد" الذي ألفه محمد خليفة التونسي فجعل التونسي مقدمة مكونة من جزأين أولهما عن العقاد ومكانته الأدبية العامة وخاصة في مجال النقد وثانيهما لرسم صورة بيانية لشخصية العقاد.<sup>٢٥٢</sup>

وقد قسم الأستاذ التونسي في كتابه هذا فصول النقد للعقاد إلى أربعة أقسام: القسم الأول: دور الأستاذ العقاد في الجزأين لكتاب "الديوان" (١٩٢١م) الذي ألفه مع كل من المازني وشكري وحاربوا فيه على

<sup>٢٥١</sup> نصيف، أحمد ضاري. العقاد ودوره في الحركة الأدبية الحديثة. ص ١٠٩.  
<sup>٢٥٢</sup> مندور، محمد. النقد والنقاد المعاصرون. القاهرة: دار نهضة مصر. ٢٠٠٣. ص ٦٤.

الأدب التقليدي حملة عنيفة، خاصة تلك التي بدأها العقاد على أحمد شوقي. والقسم الثاني: يتناول الكتيب الصغير الذي كان نشره العقاد لنقد مسرحية "قمبيز" لأحمد شوقي، والقسم الثالث: أتى الأستاذ التونسي بعدد من القصائد التي يعتبرها نقدية وسمّاها "الشعر النقدي" لأنها تعالج بعضاً من قضايا الشعر والإلهام أو قضايا نقد الحياة. والقسم الرابع: فأتى فيه بمختارات من مقالات العقاد وشذوره، اختار بعضها من مؤلفاته التي تحتوي على مجموعة من المقالات مثل: خلاصة اليومية والشذور، ومطالعات في الكتب والحياة. وحاول الأستاذ محمد خليفة التونسي أن يبين منهج عباس العقاد في الدراسة الأدبية والنقدية فيقول إن هذا المنهج قائم على ما يؤمن به العقاد من أدب الأديب، وقال إنما هو صورة نفس صاحبه وتاريخ حياته البطانية، وأن وظيفة الناقد في البحث عن الأديب وهو في أدبه، واستخراج صورته النفسية من هذا الأدب، إذ أن الشاعر الذي لا يعرف بشعره لا يستحق أن يعرف وهذا هو المنهج الذي استعمله العقاد في دراسته عن ابن الرومي. كما يدل اسم كتابه نفسه وهو "ابن الرومي - حياته من شعره" ونرى الدكتور طه حسين لا يهتم بالشاعر وحياته إلا بالقدر اللازم لفهم شعره وتدوقه على نحو ما فعل في كتابه مع المتنبي.<sup>٢٥٣</sup>

وقد تمكن العقاد أن يضع مذهبه الجديد في النقد في كتابه 'الديوان' الذي ألفه مع المازني وقد حاول كل من المازني والعقاد أن يجدد الأدب العربي وإما كان شعراً أو نثراً. فأرادا تجديداً أصلياً في آراء أدبية عند السابقين مثل الشكل والنمط والمضمون ولغة القصيدة الشعرية واللغة النثرية. وقد ركز العقاد على انتقاد الأعمال الشعرية لأحمد شوقي والرافعي بينما المازني قام بنقد الأعمال النثرية لمصطفى لطفي المنفلوطي وعبد الرحمن الشكري. ويقدم العقاد في هذا الكتاب أن شعر أحمد شوقي ممل يعتمد على الوزن والقافية والشكل الواحد. ومن بين أهم الأمور التي ثار عليها صاحبها الديوان هو التزام القافية في الشعر خاصة في القصائد الطويلة. فدعا العقاد إلى الحرية والتعدد في القافية. فنقد العقاد الرافعي في

<sup>٢٥٣</sup> نفس المرجع، ص ٦٧.



هذا الكتاب بعنوان " ما هذا يا أبا عمرو ". وقد قام العقاد بالدعوة والتوضيح مذهبه الجديد من قبل كتاب الديوان (١٩٢١) وبمقالاته مثل الخلاصة اليومية (١٩١٢) وفي مقدمة ديوان الشكري (١٩١٣) وديوان المازني (١٩١٤) وغيرها.

انتقد العقاد في كتاب الديوان أحمد شوقي نقدا عنيفا ويرى أن شعر شوقي لم يكن تعبيراً صادقاً عن النفس وآراء الحياة والكون. ويرى أن شعره لم يرقم على بنية متماسكة حية. ويوجه العقاد حديثه إلى شوقي وهو يقول " اعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها، ويحصي أشكالها وألوانها، وليست مزية الشاعر أن يقول لك عن شيء ماذا يشبه وإنما مزيته أن يقول ما هو، يكشف لك عن لبابه وصله الحياة به."<sup>٢٥٤</sup>

ألف العقاد كتيبا خاصا ينتقد فيه مسرحية " قمبيز " لأحمد شوقي وتناول فيه سقطاته في تغيير القوافي والبحور وعن أخطائه في الحوار ويعتقد العقاد أن الشاعر الذي ينظم الشعر التمثيلي لا مجال أن يكون متقنا بالموضوع التمثيلية، وقادرا على تسلسل حوارها. ويذهب العقاد إلى أن فضل الشاعر التمثيلي يظهر في ثلاثة أشياء: هي حسن النظم والصياغة، تحقيق حودث التاريخ، ابتكار الحشوات الخيالية فيما قصر فيه المؤرخون. وقد قام بنقد مسرحية "قمبيز" على هذا الأساس.

ويقدم العقاد نظرية نقدية جديدة يذهب فيها إلى أن النقد يقوم على نظرة شاملة للكون والإنسانية والطبيعة وكذلك يرى أن الأدب القومي ليس هو أدب يقتصر بالقومية في حدود الوطن الضيق ولكن القومية عنده العالم كله. ولم يقتصر اهتمام العقاد على المعاني الظاهرة بل اهتم بدقة المعنى والمعاني الباطنة. ولعل عبقرياته أفضل مثال له.

<sup>٢٥٤</sup> العقاد، عباس محمود. الديوان. ط ٤ ج ١. القاهرة: دار الشعب. ١٩٩٦. ص ١٦.

له كتب ومقالات ما تناول فيه النقد منها: مطالعات في الكتب والحياة (١٩٢٤)، ومراجعات في الأدب والفنون، وساعات بين الكتب (١٩٢٨)، وابن الرومي حياته وشعره (١٩٣١)، ورجعة إلى أبي العلاء (١٩٣٢)، وأبو نواس الحسن بن هاني (١٩٣٥)، وشعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي (١٩٣٧)، وغيرها. وكذلك كتب مقدمة لكتاب نقدي لميخائيل نعيمة "الغريال". وهذا هو العقد الذي بدأ حياته النقدية بنقد أحمد شوقي وجماعة من الشعراء المقلدين فخلف منهجا جديدا في الأدب العربي وأبقى لمن بعده نظريات نقدية جديدة.

## الفصل الثاني

### دراسة عن سلسلة 'عبقریات' العقاد

قد ساهم عباس محمود العقاد مساهمة كبيرة بمؤلفاته للأدب العربي الحديث له مؤلفات أكثر من مائة ولم تكن مؤلفاته منحصرة على مجال واحد بل انتشرت مساهماته في مختلف العلوم والفنون والمباحث الأدبية والفكرية والفلسفية والسياسية والاجتماعية. ولا سيما له مؤلفات عديدة في المجال الإسلامي والتاريخ والسير. وقد بين العقاد بنفسه غرضه الأول أو الغرض الذي تنتهي إليه جميع الأغراض من تدوين سير العظماء وهو يقول في كتابه الصديقة بنت صديق هو "توثيق الصلة بين الإنسانية وبين عظمائها وعظيماها، والنفوذ إلى الجانب الإنساني من كل نفس تستحق التنويه والدراسة".<sup>٢٥٥</sup>

ويعد عبقرياته من أعماله الإسلامية البارزة وهي سلسلة تاريخية من مؤلفاته تناول فيها الشخصيات الإسلامية التاريخية منها عبقرية محمد وعبقرية عمر وعبقرية الصديق وعبقرية الإمام علي وعبقرية خالد. وقد امتازت عبقرياته في أسلوبها الأدبي بالدقة والرصانة والقدرة على التعبير والتوضيح والموازنة والمقارنة والتعليل والتحليل، وقد نظر الكاتب إلى الأحداث التاريخية من المنظور الذي لم ينظر إليها غيره من كتاب السير. وركز فيها على الدلائل التي تشهد على عظمة تلك الشخصيات وإبداعها ومهارتها وعبقرياتها.

يرى محمد بن جلال القصاص أن العقاد إنما ينظر إلى العبقرية بغض النظر عن الدين وهو يقول " فلا هو مأخوذ بالأنبياء المرسلين، ولا بالمؤمنين الموحدين، ولا هو مأخوذ بالكافرين الضالين، ولا بالفلاسفة الملحدين، مأخوذ فقط بكل من يصنع (مجدا)، بكل من يُؤثّر في حياة الناس ويكتب عنه التاريخ"<sup>٢٥٦</sup>

<sup>٢٥٥</sup> العقاد، عباس محمود. الصديقة بنت صديق. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤. ص ٢٣.

<sup>٢٥٦</sup> القصاص، محمد بن جلال. عمالة عباس العقاد للفكر الغربي. أسرة قراء دار السلام. ص ١٠٩.

وكذلك تتميز عبقرياته بالمنهج الذي سلكه الكاتب وجمع فيها بين المناهج التاريخية والتحليلية والنقدية. واستمد العقاد لكتابتها من المواد الإسلامية وأعمال الحكماء والفلاسفة والعلماء والعظماء والقدماء. ويقوم العقاد أمام قرائه مقام أديب ومؤرخ معا. وحينما يتناول العقاد الشخصيات العبقرية ركز على اكتشاف مفتاح شخصية العبقرية الذي يبحث عنه. فيستخرج الجوانب الباطنة لذلك العبقرية ويبرز مدى عظمتها وما ينبع منها الأفعال والأقوال والتصرفات المتميزة عن الفرد العادي. ثم يوازن مفتاح شخصية العبقرية بالآخر بالتحليل النفسي الدقيق. ويخرج منها ثمة الاختلافات وثمرات المشابهات بين العبقريتين في سلوك الإنسانية، فالعبقري عند العقاد من يخدم الخدمة لغيره. ويلاحظ رجاء النقاش عن حرصه لبحث العبقرية وهو يقول " ولو استخدمنا أسلوب العقاد في عبقرياته فإننا نستطيع أن نقول: إن حبه للعبقرية صفة تصلح مفتاحا لشخصيته، فهو يطرب للعبقرية كما يطرب النحل بين الزهور، وكما تطرب العصافير في الربيع، وحتى في مواقفه السياسية كان حبه للعبقرية دافعا أساسيا من دوافع العمل والتصرف في حياته."<sup>٢٥٧</sup>

وإن منهج العقاد في عبقرياته هو الدفاع عن الإسلام. وقد ضمن فيها الرد لبعض تهجمات أعداء الإسلام وشبهات المستشرقين في تحليل كثير من الأحداث وتناول كثيرا منها في منظور حديث ليزيل الشك لأبناء العصر الحاضر وكان منهج العقاد في الدراسات والأبحاث الإسلامية عامة وفي عبقرية خاصة هو الدفاع عن الإسلام ضد أكاذيب خصومه وتقديم الإسلام في صورة حقيقة. وسيأتي تحليل بعض عبقرياته فيما يأتي.

### عبقرية محمد

صنف العقاد هذا الكتاب سنة ١٩٤٢. فبدأ سلسلته التاريخية بتصنيف هذا الكتاب وما كان غرضه

---

<sup>٢٥٧</sup> نفس المرجع، ص ١٠٩

الأول من هذا الكتاب إظهار أحكام الإسلام بل قصد المؤلف أن يقوم بإثبات صفات العبقرية لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد ذكر سامح كريم في كتابه " وليس الكتاب شرحا للإسلام أو لبعض أحكامه أو دفاعا عنه أو محاولة لخصومه.. فهذه أغراض مستوفاة في مواطن شتى يكتب فيها من هم ذووها ولهم دراية بها وقدرة عليها إنما الكتاب تقدير لعبقرية محمد بمقدار الذي يدين به كل إنسان ولا يدين به المسلم وكفى وبالحق الذي يبث له الحب في قلب كل إنسان وليس في قلب كل مسلم وكفى"<sup>٢٥٨</sup>.

وقد بين الكاتب الظرف الذي أداه إلى تأليف هذا الكتاب، كان العقاد مع أصحابه في يوم من الأيام يتحدث عن كتاب ' الأبطال ' لتوماس كارليل وخص فيه الكاتب فصلا عن النبي ﷺ وجعل النموذج البطولة النبوية بين أبطال العالم الذين اختارهم للوصف التذليل، بينما هم كذلك قال رجل غريب لهم كلمة سيئة عن النبي ﷺ وزواجه وزعم أن بطولة النبي ﷺ إنما هي بطولة سيف ودماء فارتفع صوت النقاش وسكن بعد خروج هذا الغريب. يقول العقاد بعد إخبار هذا الحادث " وتساءلنا ما بالناس نقتنع بتمجيد كارليل» للنبي، وهو كاتب غربي لا يفهمه كما نفهمه، ولا يعرف الإسلام كما نعرفه ... ثم سألتني بعض الإخوان: «ما بالك أنت يا فلان لا تضع لقراء العربية كتابًا عن محمد على النمط الحديث؟ قلت: أفعل .... وأرجو أن يتم ذلك في وقت قريب. ولكنه لم يتم في وقت قريب ... بل تم بعد ثلاثين سنة ... وشاءت المصادفة العجيبة أن تتم فصوله في مثل الأيام التي. سمعت فيها الاقتراح لأول مرة ... فكتبت السطر الأخير فيه يوم مولد النبي على حسب الشهور الهجرية."<sup>٢٥٩</sup>

فلم يرد العقاد ولم يقصد بكتابه هذا عبقرية محمد سيرة نبوية جديدة على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء تضاف إلى المكتبة المحمدية، لأنه لم يعتمد فيه تفصيل وقائع السيرة بذاتها ولم يقم بشرح أوامر الإسلام، ولكن غرضه بهذا الكتاب تقدير للعبقرية فركز على أحداث وقائع تظهر علامات

<sup>٢٥٨</sup> كريم، سامح. ما يبقى من العقاد رسالة. بيروت: دار القلم. ١٩٧٨ ص ٧٩.

<sup>٢٥٩</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية محمد. وندسور: مؤسسة هندواي، ٢٠١٤. ص ٨

العبقرية، يقول الكاتب الدكتور يحيى الشامي عن منهج كتابة للعقاد: " أن العقاد لم يعتمد في كتاباتها (العبقريات) أسلوب الترجمة المؤلف لهجة الوقوف عند تفاصيل حياة هؤلاء، ودقائقها وجزئياتها التي يمكن القارئ ان يرجع إليها في كتب السيرة والتراجم والتاريخ، كما أنه لم يعتمد أسلوب المؤرخين ولا طريقتهم التي تقوم على العناية بكتابة التاريخ، تاريخ الخلافة، والقيادة والزعامة الدينية والدينيوية، ولهجة الاهتمام بحواش العصر، والعناية بالوقائع من حيث هي وقائع".<sup>٢٦٠</sup>

وتناول الكاتب سيرة محمد صلى الله عليه وسلم في أربعة عشر فصلا وهي علامات مولد، عبقرية الداعي، عبقرية محمد العسكرية، عبقرية محمد السياسية، عبقرية محمد الإدارية، البليغ، محمد الصديق، محمد الرئيس، الزوج، الأب، السيد، العابد، الرجل، محمد في التاريخ. وتناول في الباب " علامات مولد" أحوال الأمة العربية في الجاهلية، وعن نظام القبيلة ومكانتها عند العرب، وعن أهل النبي ﷺ خاصة، عن منزل عبد المطلب وأبيه عبد الله. وكذلك تحدث عن معاملته مع الناس قبل النبوة وكذلك صور بعض خصائص كالصدق والرجولة وغيرهما. وتناول في الباب " عبقرية الداعي" الخصال التي لا بد أن توجد في الداعي مثل الفصاحة والقدرة على تأليف الناس والثقة والقوة والإيمان الشديد بما يدعو إليه والغيرة البالغة في نجاحها. وقام بتحليل أسباب نجاح دعوة النبي ﷺ وكذلك رد لبعض تهمة الأعداء ضد النبي ﷺ والإسلام مثل دعواهم أن الإسلام انتشر بالسيف. فصور أن خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان يجذب إليه قلوب الناس.

ففي الباب " عبقرية محمد السياسية" تحدث عن الغزوات مثل غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة خندق وغيرها ويثبت العقاد أن جميع هذه الغزوات لم تبدأ من جانب المسلمين بل جرت للدفاع للمسلمين. وصرح العقاد ما أراد من هذا الفصل وهو يقول " ونريد في هذا الفصل أن نقول إن محمدا كان على اجتنابه العدوان يحسن من فنون الحرب ما لم يكن يحسنه المعتدون عليه، وإنه لم يجتنب الهجوم

<sup>٢٦٠</sup> د الشامي، يحيى. العقاد كاتبا وشاعرا. بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٥ ص ٤٤.

والمبادأة بالقتال لعجز أو خوف مما يجمله ولا يجيده، ولكنه اجتنبه؛ لأنه نظر إلى الحرب نظرته إلى ضرورة بغیضة يلجأ إليها ولا حيلة له في اجتنابها حيثما تيسرت له الحيلة الناجحة.<sup>٢٦١</sup> ثم تحدث العقاد عن موقف الإسلام من الحرب وأتى بمواقف الديانات الأخرى للحرب. ويقدم أن الإسلام هو الدين الوحيد قادر أن يحارب الأعداء بالبراهين والحجة ولذلك لم يحتج الإسلام إلى السيف لانتشاره. ثم يقوم الكاتب بمقارنة النبي ﷺ بالقائد العظيم نابوليون ويختتم هذا الباب بقوله "إن عبقرية محمد في قيادته لعبقرية ترضاهها فنون الحرب، وترضاهها المروءة، وترضاهها شريعة الله والناس وترضاهها الحضارة في أحدث عصورها ويرضاهها المنصفون من الأصدقاء والأعداء."<sup>٢٦٢</sup>

وتناول في الباب "عبقرية محمد السياسية" موفق النبي ﷺ من عهد حديبية وصلحها وفتح مكة وهو يثبت عبقريته أثناء هذه الأحداث وهو يقول "فكان على أحسن نجاح في سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته. وإذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته في رحلته وإذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحجّة في إنفاذ عزمته...."<sup>٢٦٣</sup>

وتناول في الباب "محمد الصديق" أخلاقه العالية القيم ثم تناول في أبواب 'الزوج'، 'الأب'، 'السيد'، 'العابد' حياته الزوجية والأبوية وعلاقته مع أصحابه وعلاقته مع الله على الترتيب. وكذلك يتحدث عن حقوق الزوجة والعبد والخادم. ويرد بعض تهمة أعداء الإسلام مثل تعدد الزوجات ويشرح أسباب زواجه أكثر من أربعة.

وفي خاتمة هذا الكتاب يوجز العقاد عبقرية محمد ﷺ ومكانته من التاريخ العالمي تحت عنوان "محمد في التاريخ" ويقول العقاد فيه: "أن التاريخ كله بعد محمد ﷺ متصل به ومرهون بعمله وأن حادثاً واحداً من أحداثه الباقية لم يكن ليقع كما وقع لولا ظهور محمد وظهور عمله. فلا فتوح الشرق والغرب، ولا حركات

<sup>٢٦١</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية محمد. ص ٢٩

<sup>٢٦٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٢.

<sup>٢٦٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٨.

أوروبا في العصور الوسطى، ولا الحروب الصليبية،.... ولا حادثة قومية أو عالمية مما يتخلل ذلك جميعه كانت واقعة في الدنيا كما وقعت لولا ذلك اليتيم الذي ولد في شبه الجزيرة العربية بعد خمسمائة وإحدى وسبعين سنة من مولد المسيح.<sup>٢٦٤</sup> ويثبت العقاد فكل هذه الأحداث تابع لتأثير النبي ﷺ. ويرى أن العالم بعده ﷺ قد تأثر به على نطاق واسع.

## عبقرية الصديق

ألف عباس محمود العقاد هذا الكتاب سنة ١٩٤٣. ولو كان أبو بكر الخليفة الأول من الخلفاء الراشدين ألف هذا الكتاب بعد كتاب 'عبقرية عمر'. ولم يقصد الكاتب من كتابه هذا سيرة لأبي بكر على منوال قديم حيث يشرح حياته من ومولده ونشأته إلى وفاته حسب الترتيب الزمني بل قصد منه أن يركز على جانب نفسي لأبي بكر فأتى بالأحداث والوقائع مؤيدة لمقولاته. فنرى يصور حادثة صغيرة إن كانت لها أهمية ومعينة في قصده هذا وقد تترك أحداثا كبيرة إن لم تتعلق بدراسته هذه. وقد صرح العقاد نفسه في مقدمة هذا الكتاب وهو يقول "أقول ما قلته في 'عبقرية محمد' و'عبقرية عمر' وكل كتاب من هذا القبيل، وفحواه أنني لا أكتب ترجمة للصديق رضي الله عنه. ولا أكتب تاريخا لخلافته وحوادث عصره، ولا أعني بالوقائع من حيث هي وقائع ولا بالأخبار من حيث هي أخبار، فهذه موضوعات لم أقصدها،.... ولكنما قصدت أن أرسم للصديق صورة نفسية تعرفنا به وتجلو لنا خلائقه وبواعث أعماله، كما تجلو الصورة ملامح من تراه بالعين."<sup>٢٦٥</sup>

وتناول الكاتب سيرة أبي بكر الصديق في اثني عشر فصلا وهي اسم وصفة، الصديق الأول والخليفة الأول، صفاته، مفتاح شخصيته، نموذجان، إسلامه، الصديق والدولة الإسلامية، الصديق والحكومة العصرية، الصديق والنبي وصحبه، ثقافته، الصديق في بيته، صورة مجملته.

<sup>٢٦٤</sup> نفس المرجع، ص ١٤١.

<sup>٢٦٥</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية الصديق. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤. ص ٧



وفي الفصل " اسم وصفة " يقوم الكاتب بتحليل لقبه الصديق ويبحث عن سبب التسمية بهذا اللقب. وأتى برأي أنه لقب بهذا اللقب في الجاهلية والإسلام على السواء. ويروي قصة وراء تسميته في الجاهلية والإسلام. وتحدث عن نسبه وأبيه في صورة موجزة. وفي الفصل " الصديق الأول والخليفة الأول " يرد العقاد لبعض تهجمات المستشرقين، وهي كما يقول العقاد " قيل: إن وصول الخلافة إلى أبي بكر إنما كان مؤامرة بين عائشة وأبيها! وقيل: إنه كان مؤامرة بين رجال ثلاثة أعانهم عائشة على ما تأمروا فيه... زعم أولئك القائلين أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وهم الذين أسرعوا - من المهاجرين إلى سقيفة بني ساعدة ليدركوا الأنصار قبل أن يتفقوا على اختيار أمير أو خليفة لرسول الله. وقيل: إن هؤلاء الرجال الثلاثة اتفقوا على تعاقب الحكم واحدًا بعد واحد أبو بكر فعمر فأبو عبيدة؛ ولهذا قال عمر حين حضرته الوفاة لو كان أبو عبيدة حيا لعهدت إليه...."<sup>٢٦٦</sup> وقد أبطل العقاد تهماته واحدة بعد واحد بإتيان الأدلة الكافية.

وفي الفصل " صفاته " تحدث العقاد عن صفات أبي بكر الخلقية والخلقية كما يشير عنوان الفصل. وقد أثبت العقاد صفات حسن المعاشرة والحدة والتواضع وللين والود والكرم والجود والسخاء وغيرها لأبي بكر بذكر الأحداث التاريخية في هذا الفصل. وسمى العقاد الفصل الرابع "بمفتاح شخصيته" مفتاح الشخصية مفهوم جديد يقدمه العقاد وهو أداة تنفذ بنا إلى داخل الشخصية كما بين العقاد في عبقرية عمر " إن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها، وتنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض. وليس مفتاح البيت وصفًا ولا تمثيلًا لشكله واتساعه، وكذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها ولكنه أداة تنفذ بك إلى داخلها ولا تزيد. " ويقدم العقاد أن "الإعجاب بالبطولة" هو مفتاح لشخصيته وهو يقول " ولقد كان أبو بكر رجلاً كريمًا أليقًا من أهل الخير والمودة، فلا جرم كان الإعجاب بالبطولة طبعًا متأصلًا فيه،

<sup>٢٦٦</sup> نفس المرجع، ص ١٦-١٧.

مقرونا بكل ما في الإعجاب من حب وثقة وإيمان ولا جرم كان هذا الإعجاب «مفتاحًا لشخصيته مفسرًا لكل ما يلتبس من أعماله، مميزًا لكل ما يتشابه بينه وبين غيره من الصفات.»<sup>٢٦٧</sup> ثم يقوم بتحليل الأحداث من حياته من منظور هذا المفتاح.

وفي الفصل "نموذجان" يقارن العقاد بين الشخصية أبي بكر وعمر، وهو بنفسه يبين ما أراد بنموذجين وهو يقول " وليس المقصود بالنموذجين المتقابلين هنا تقابل الضدين اللذين يتناقضان كما يتناقض الصواب والخطأ والخير والشر، والعلم والجهل والهدى والضلال ولكن المقصود هو التقابل الذي يتم فريقيًا بمزايا فريق، ويعين قوة نافعة بقوة أخرى تكافئها، ويزدوج في عناصر الأمة كما يزدوج الجناحان اللذان يستقل بهما الطائر، ولا يستقل بفرد جناح."<sup>٢٦٨</sup> ثم يبين بعد ذلك تقابل بين هذين شخصيتين مع الأحداث التاريخية. وتحدث أيضًا عن أخبار إسلامه.

ثم تناول في الفصل "الصديق والدولة الإسلامية" دوره في تأسيس الدولة الإسلامية في الفصل "الصديق الحكومة العصرية" يحلل أعماله السياسية في المنظور الحديث ويرد لبعض شهات المستشرقين. ففي الفصل "الصديق والنبى وصحبه" تناول علاقته الوثيقة مع النبي ﷺ. ففي الفصل "ثقافته" أورد العقاد كثيرا من أقوله تشير إلى ثقافته حيث يري أن أدل العلامات وأقواها لمعرفة ثقافة رجل هو كلامه وأثبت أنه كان عالما بأنساب كل قبيلة ولا سيما قريش. ففي الفصل "الصديق في بيته" يتحدث عن حياته الأسرية وصور حبه لأبيه وأولاده وأزواجه. ويبين العقاد عنها في عبارة وجيزة " من السهل بعد مراجعة يسيرة لحياة الصديق في جملتها أن نعلم أنه «رجل بيت أو «رجل أسرة، وأن أواصره البيتية لا تستند إلى الشعور بالواجب وحده، ولكنها تستند مع الشعور بالواجب إلى الشعور بغبطة القرابة ومودة الرحم"<sup>٢٦٩</sup>

<sup>٢٦٧</sup> نفس المرجع، ص ٤١.

<sup>٢٦٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٣.

<sup>٢٦٩</sup> نفس المرجع، ص ١٢٥.

ومن كل هذا يتجلى أن العقاد ما كتب سيرة أبي بكر في أسلوب قديم حيث ركز على الجانب النفسي لأبي بكر ورد لكثير من شبهات أهل الجيل الجديد وأبطل عديدا من تهمة المستشرقين وأعداء الإسلام. وصور كثيرا من الأحداث التاريخية في تصوير جديد ولم يسبقه أحد من قبله، وأخرج من الأحداث خفاياها وبين أسرارها وتميز أسلوبه بجزالته وحصانته وفنائه.

## عبقرية الإمام علي

ألف العقاد هذا الكتاب سنة ١٩٤٩. إنه يرى سيرة علي أبي طالب تتناول جميع نواحي النفوس الإنسانية ويذهب إلى أن سيرة علي بن أبي طالب تلتقي بكل الجوانب النفسية مثل العاطفة المشبوبة والفكر والخيال والذوق الأدبي. وهو يقول في مقدمة الكتاب " في كل ناحية من نواحي النفوس الإنسانية ملتقى بسيرة علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه. لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب البليغ من سير الأبطال والعظماء، وتثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل." ٢٧٠ وقد بين العقاد منهجه في كتابة هذا الكتاب هو التوسط، لأن الناس بين إفراط وتفريط في حبه ومنهم من أفرط في حبه حتى رفعوه إلى مرتبة الإله مثل الروافض، ومنهم من فرط في حقه حتى ألعنوا كفره مثل الخوارج. فيقف الكاتب الموقف الوسطي وهو يقول " لهذا نعلم غير مترددين في علمنا أن واجبنا في عبقرية الإمام» مرسوم الغاية والطريق، وهو واجب التبسيط والقصد إلى الخطة الوسطى، وفي علمنا بهذا بعض التيسير، وإن لم يكن فيه كل التيسير ... ترجع بعبقرية الإمام إلى الحقيقة الوسطى." ٢٧١

تناول الكاتب سيرة علي بن أبي طالب في أحد عشر فصلا وهي صفاته، مفتاح شخصيته، إسلامه، عصر الإمام، البيعة، سياسته، حكومته، النبي والإمام والصحابة، ثقافته، في بيته، صورة مجملته. تناول في

٢٧٠ العقاد، عباس محمود. عبقرية الإمام علي. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤. ص ٧.

٢٧١ نفس المرجع، ص ١٠.

الفصل " صفاته " نسبه وعن نشأته في حضان النبي ﷺ وكذلك تحدث عن شجاعته واحتج لشجاعته من نومه في فراش النبي ﷺ حين هجرته إلى المدينة فصور عن إيمانه ونقاواه وزهده ويوجز المؤلف هذه الصفات في جملة واحدة وهو يقول " رجل شجاع لأنه قوي، وصادق لأنه شجاع، وزاهد مستقيم لأنه صادق، ومثار للخلاف لأن الصدق يدور بصاحبه مع الرضا والقبول والنفور.<sup>٢٧٢</sup>

وفي الباب التالي يبحث الكاتب عن مفتاح شخصيته ويرى أن مفتاح شخصيته هو " آداب الفروسية " وهو يقول " آداب الفروسية هي مفتاح هذه الشخصية النبيلة، الذي يفض منها كل مغلوق ويفسر منها كل ما احتاج إلى تفسير. وآداب الفروسية هي تلك الآداب التي نلخصها في كلمة واحدة وهي: النخوة"<sup>٢٧٣</sup> فيأتي بكثير من الأحداث التاريخية ليثبت هذا المفتاح لشخصيته. ففي الفصل "إسلامه" يتحدث أن عليا ولد داخل الكعبة حيث أنقذه الله من سجد الأصنام. ويقدم علي بن أبي طالب أبا لعلم الكلام في الإسلام، ويحكي أن المتكلمين أقاموا مذاهمهم على أساسه، وكذلك يذهب إلى أن "نهج البلاغة" - مجموعة خطبه - هو أصل للعلم الإلهي وهو يحمل أسرار التصوف قبل انشغال المسلمين بالفلسفة الأجنبية. ويختتم هذا الفصل بتقديم علي أنه كان يؤثر الاجتهاد ما استطاعه على التقليد.

ففي الفصل "عصر الإمام" تناول العقاد أحوال عصره السياسية والاجتماعية والاقتصادية منها انتقال العاصمة من المدينة إلى كوفة وفتنة عبد الله بن سبأ وموقفه منه، وآراؤه الاقتصادية. يذهب العقاد إلى أن عليا لم يغض بصره من حساب مال الولاة والأغنياء ما جمعوه على طريق المزيد خلافا لعهد عثمان بن عفان. وقد قسم العقاد الناس في عهده إلى قسمين بحسب اعتبار رضاهم عن النظام الاجتماعي حينئذ وهو يقول "أحدهما، وهو قسم الرضا عن النظام الاجتماعي، كان قسم معاوية بن أبي سفيان في الشام

<sup>٢٧٢</sup> نفس المرجع، ص ٢١.

<sup>٢٧٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٣.

وما جاورها. والآخر، وهو قسم التذمر من النظام الاجتماعي، كان قسم علي بن أبي طالب في الجزيرة العربية بجملة أنحاءها.<sup>٢٧٤</sup> ويدور كلام العقاد في هذا الفصل عن هذين القسمين رئيسياً.

ففي الفصل البيعة يرد العقاد فيه لبعض التهمات تتعلق بعثمان بن عفان مثل أن علياً لم يفعل شيئاً لخلّاص عثمان من الفتنة. وردهم بشرح محاولات علي لدفاع عثمان وبتبين أسباب الفتن في عهد عثمان وأثبت براءة علي في هذه الفتنة.

وفي الفصل 'سياسته' تناول العقاد سياسته ويلمّخ فيه مسائل التي كانت سبباً لمؤاخذته ومخالفته علي يد نقاد التاريخ وهي ما يلي ١- عزل معاوية ٢- معاملة طلحة والزبير ٣- عزل قيس بن سعد عن ولاية مصر ٤- سلامة قاتل عثمان رضي الله عنه ٥- قبول التحكيم ٦- قبول الخلافة. وقام العقاد بتحليل كل واحد منها فقدمها على صورة صحيحة على ما يراه حقاً.

ففي الفصل 'النبي والإمام والصحابة' يتحدث عن علاقته مع النبي ﷺ وكبار الصحابة. وروى فيه أقوال النبي ﷺ التي تظهر منزلته. يقول الكاتب ملخصاً عن علاقته مع الصحابة وغيرهم "فالعلاقة بينه وبين كرام الصحابة كانت علاقة الزمالة التي ينوب فيها الواجب مناب الألفة. والعلاقة بينه وبين الخصوم، كانت علاقة حسد غير مكفوف، وبغض غير مكتوم والعلاقة بينه وبين سواد العامة كانت علاقة غرباء يجهلونه ولا ينفذون إلى لبابه وإن قاربه أناس معجبين، وباعده أناس نافرين. وتلك أيضاً آية الشهيد...<sup>٢٧٥</sup>

ففي الفصل "ثقافته" يقدم العقاد أن "الإمام" أحق لقب بعلي، وعلي أحق الأئمة بلقب الإمام ويرى هو أستاذ علماء الكلام والتوحيد وأستاذ علماء الفقه والشريعة وعلماء الأدب والبلاغة. ويبحث الكاتب عن آفاقه العلمية من شعر وعلم جفر وعن نهج البلاغة وتحدث عن وصاياه في الحرب وفن حربه فيلخص العقاد كلامه عن ثقافته وهو يقول " وخلص ذلك كله، أن ثقافة الإمام هي ثقافة العلم المفرد والقمة

<sup>٢٧٤</sup> نفس المرجع، ص ٣٣.

<sup>٢٧٥</sup> نفس المرجع، ص ١٠٩.

العالية بين الجماهير في كل مقام...وأنها هي ثقافة الفارس المجاهد في سبيل الله يداول بين القلم والسيف.<sup>٢٧٦</sup> ففي الفصل " في بيته" تناول العقاد معاملته مع أولاده وأزواجه وآرائه في المرأة وأتى لكل واحد منها أحداث تثبتها.

تمكن الكاتب أن يصور حياة علي بن أبي طالب في صورتها الحقيقية بلا إفراط وتفريط وقام بتحليل كثيرا من الأحداث التاريخية لإزالة الشبهات وإبطال التهمات ضده، خاصة للأقوايل المستشرقين والشيعة والروافض. وقد كشف العقاد عن مفاح شخصيته هو " آداب الفروسية" في الجملة يصور العقاد عليا في صورة المجاهد في سبيل الله بيده وقلبه وعقله، أو صورة الشهيد. وهي صورة لم يسبقه أحد في تصويره.

### عبقرية خالد

ألف العقاد هذا الكتاب سنة ١٩٤٨ م. خالد بن وليد هو شخصية مشهورة بين المسلمين ويقوم مقام البطل الخارق بينهم. وقد ألف عنه كثير من مؤلفات قبل كتاب "عبقرية خالد" ويعد هذا الكتاب أحد أفضل الكتب المكتوبة في سيرة خالد ولم يخطئ عبد القادر المازني لما قال "كتابه في خالد أقوى ما كتب".<sup>٢٧٧</sup>

لم يقدم العقاد مقدمة لهذا الكتاب كما فعله لسلسلة العبقريات الباقية، تناول الكاتب عبقرية خالد بن وليد في أحد عشر فصلا. وهي البادية والحرب، قريش ومخزوم، نشأة خالد، إسلامه، مع النبي، حروب الردة، الفتوح، العزل، عبقرية الحربية، مفتاح شخصيته، نهاية من صنع القدر. ويستهل الكاتب هذا الكتاب بفصل " البادية والحرب" يبحث الكاتب فيه عن أسباب نصر المسلمين على أكبر الدولتين "فارس" و "روم" في ذلك العصر. ويأتي بآراء المؤرخين المختلفة في انتصار المسلمين على هاتين الدولتين فيحللها وأخرج أخطاء آرائهم ثم بين الأسباب الحقيقية لانتصارهم من وجهة نظره. فيعد العقاد أن استخفاف

<sup>٢٧٦</sup> نفس المرجع، ص ١٢٣.

<sup>٢٧٧</sup> ب ك، عبد الحميد. مساهمة عباس محمود العقاد في تطور النثر الإسلامي. ٢٠١٥. المكتبة المركزية للجامعة كاننور. ص ١٥٥.

الروم والفرس العرب كان من أحد الأسباب الرئيسية لهزيمتهم، وفي نفس الوقت كان العرب قادرين على هزيمتهم بفهم الحربي السليم.

وفي الفصل " قريش ومخزوم" تحدث العقاد عن البيئة التي نشأ فيها خالد بن وليد وبين عن منزلة قريش بين قبائل العرب اجتماعيا وسياسيا وثقافيا واقتصاديا. ويحكي أن قبيلته كانت تحمل مسؤولية قيادة الجيش ويرى العقاد خالدا شبيها بعمر بن الخطاب في أوصافه الخلقية. ويقدم أن إسلامه كان نوعا من التسليم ولكن لم يكن هذا تسليم عجز لأنه عسكري لا يلائم العجز لطبيعته. ففي الفصل " مع النبي" تناول علاقته مع النبي ﷺ وبين عن منزلته عند النبي ﷺ وكيف حصل على لقب "سيف الله". وكذلك تحدث عن الغزوات التي شهد مع النبي ﷺ مثل غزوة حنين، ومؤتة.

ففي الفصل "حروب الردة" تناول مساهمته في حروب الردة ويبحث عن أسباب التي أدت إلى حروب الردة ويقوم فيه بتصوير الفن الحربي لخالد بن الوليد مع ذكر الأحداث التاريخية. ففي الفصل " العزل" تناول عزله من القيادة على يد عمر بن الخطاب، وقد رد لكثير من الشبهات والتهمات التي خلقها أعداء الإسلام ضد عمر وخالد في هذه المسألة. وتمكن الكاتب أن يقدم أمام القارئ صورة حقيقة صحيحة، وكذلك رد لمن زعم أن عمر عزله حقدا وحسدا فيثبت براءة عمر بن الخطاب في هذه القضية بذكر الأدلة التاريخية. ويرى العقاد مفتاح شخصية خالد هو " السليقة الجندية" لم يختصر الكاتب في المشابهة بين عمر وخالد في الملامح الجسدية والقامة فحسب بل يرى أيضا مشابهة في طبيعتهما النفسية، حيث رأى مفتاح شخصية لعمر هو "الجندي". أما العقاد ففرق بينهما وقال عنه الكاتب المصري سامح كريم وهو يقول " عند البحث عن مفتاح العبقرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجده في طبيعته كجندي ونفس هذا المفتاح - طبيعة الجندية - وجده العبقرية خالد بن الوليد وهنا يوضح العقاد الفرق بين العبقريتين حين يجعل عمر رضي الله عنه تغلب عليه من طبيعة الجندية ناحيتها الروحية، وفي حين تغلب على خالد من هذه الطبيعة ناحيتها الحيوية، أو بعبارة أخرى كانت جندية بن الخطاب عند العقاد. متزنة حكيمة في

حين ابن الوليد مدفوعة هاجمة.<sup>٢٧٨</sup> ويرى العقاد أن الحرب والنساء عند خالد من الأمور المشتبهى، وينظر الكاتب إلى هذا الحب للنساء من أمر إيجابي فهو يقدم هذا دليلا لقوته ويقظانه ويثبت أنه ليس ضعيف الحيوية. ففي الفصل الأخير يتحدث عن آخر أيامه وفاته وعن الطاعون الذي سبب لقتل موت لكثير من أولاده. ويرى أن أكبر اليأس لخالد أن يموت على فراشه.

ومن كل هذا يلاحظ أن العقاد رسم سيرة خالد بن وليد بعبارات سهلة وفي أسلوب فذ وسلس يبتعد عن التطويل والتعقيد حيث يغري القارئ أن يستمر القراءة إلى نهاية الكتب بدون ملل. ولم يتناول الكاتب جميع الجوانب من حياة خالد بل ركز على الأحداث التاريخية التي تبرز عبقريته. ولم يترك العقاد أن يتناول القضايا التي كانت سببا لجدل ونقاش كثير مثل عزله من القيادة على يد عمر بن الخطاب وزواجه من امرأة مالك بن نويرة بل تناولها حيث يزيل شك الشاكين ويطلب تهمة المتهمين.

---

<sup>٢٧٨</sup> كريم، سامح. عباس محمود العقاد حاضر الغائب. دار مصر اللبنانية، ٢٠٠٤ ص ١٤.



## الفصل الثالث

### مميزات كتاب 'عبقرية عمر'

قد ساهم عباس محمود مساهمة كبيرة للأدب العربي الحديث له كتب أكثر من مائة وأنه ألف في مختلف العلوم والفنون والمباحث الأدبية والفكرية والفلسفية والسياسية والاجتماعية. ولا سيما له مؤلفات عديدة في المجال الإسلامي والسير ويعد عبقرياته من أعماله الإسلامية البارزة وهي سلسلة تاريخية من مؤلفاته تناول فيها الشخصيات الإسلامية التاريخية منها 'عبقرية محمد' و'عبقرية عمر' و'عبقرية الصديق' و'عبقرية الإمام علي' و'عبقرية خالد'. وقد امتازت عبقرياته في أسلوبها الأدبي بالدقة والرصانة والقدرة على التعبير والتوضيح والموازنة والمقارنة والتعليل والتحليل، وقد نظر الكاتب إلى الأحداث التاريخية من المنظور الذي لم ينظر إليها غيره من كتاب السير. وركز فيها على الدلائل التي تشهد على عظمة تلك الشخصيات وإبداعها ومهارتها وعبقرياتها.

ومن عبقرياته 'عبقرية عمر' الذي هو موضوع البحث وقام العقاد بتأليفه سنة ١٩٤٢ بعد تأليف 'عبقرية محمد' مع أن أبا بكر رضي الله عنه هو الخليفة الأول ألف سيرة عمر رضي الله عنه قبل سيرة أبي بكر رضي الله عنه. وقد أبدع العقاد في كتابة سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وركز في كتابه 'عبقرية عمر' على استخراج دلائل المجد والعبقرية حتى قال من قال إنهما كانا من عبرته الوحيدة. ومحمد بن جلال القصاص صاحب 'عمالة عباس العقاد للفكر الغربي دراسة تحليلية نقدية' قال أثناء كلامه عن الشخصيات التي يعجب بها العقاد: " فلا هو مأخوذ بالأنبياء المرسلين، ولا بالمؤمنين الموحدين، ولا هو مأخوذ بالكافرين الضالين، ولا بالفلاسفة الملحدون، مأخوذ فقط بكل من يصنع مجدا، بكل من يؤثر في حياة الناس ويكتب عنه التاريخ." <sup>٢٧٩</sup> ويقول رجاء النقاش عنه: إنه يؤمن بالإنسان العبقري، يؤمن بأن الخضارة من صنع العباقره أولا وأخيرا، فهم الذين يصنعون

<sup>٢٧٩</sup> القصاص، محمد بن جلال. عمالة عباس العقاد للفكر الغربي. أسرة قراء دار السلام. ص ١٠٩ ص ١٠٩

التاريخ. وكذلك ذكر غرضه من تدوين سير العظماء في كتابه 'الصديقة بنت الصديق' وهو يقول " توثيق الصلة بين الإنسانية وبين عظمائها وعظيماها، والنفاز إلى الجانب الإنساني من كل نفس تستحق التنويه والدراسة".<sup>٢٨٠</sup>

وقد اتخذ العقاد سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ناحية جديدة وإنه لم يرد أن يكتب سيرة في صورة تقليدية ولكنه ركز على جانب علم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة. وقد قام العقاد بتبيين بعض الأحداث التاريخية الدقيقة إذا رأى أنها تفيد علم النفس أو علم الأخلاق أو حقائق الحياة في صفحات عديدة وقام بتحليلها وأخرج منها المعاني الباطنة التي لا يعلمها إلا بعد فكرة طويلة. وأما في اليد الأخرى فإنه لم يتحدث عن بعض الأحداث إلا سطحيا فيما يرى أنها لم تفيد دراسته هذه. وقد صرح العقاد نفسه غرضه من كتابه هذا وهو يقول في مقدمته " كتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ عصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسته لأطواره، دلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة، فلا قيمة للحدث التاريخي جل أو دق إلا من حيث أفاد في هذه الدراسة، ولا يمنعني صغر الحادث أن أقدمه بالاهتمام والتنويه على أضخم الحوادث، إن كان أوفى تعريفا بعمر، وأصدق دلالة عليه".<sup>٢٨١</sup> وإذا لاحظنا بعض عناوين أبواب كتابه تتجلى هذه الميزة منها "عقبري" و "رجل ممتاز" و "صفاته" ومفتاح شخصيته" و "ثقافة عمر". وقد حلل شخصية عمر من جانب علم النفس خاصة في بابي "صفاته" ومفتاح شخصيته".

وقد ينقل العقاد بعض الأخبار والروايات التي ما لا يصح سندها منها قصة هجرته إلى المدينة معلنا التي رواها ابن عساکر في تاريخ دمشق (٤٤/٥١) وابن الأثير في أسد الغابة (٤/١٤٥) وقد ضعف المحدثون هذه الرواية ومنهم الألباني رحمه الله وقد أوضح العقاد نفسه في مقدمة هذا الكتاب منهجه الذي انتهج في كتابته وتوقع

<sup>٢٨٠</sup> العقاد، عباس محمود. الصديقة بنت صديق. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤ ص ٢٣.

<sup>٢٨١</sup> العقاد، عباس محمود. عقبرية عمر. ط ١٠. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦. ص ٥

تهمة المبالغة في إعجاب من شخصية عمر رضي الله عنه وهو يقول "قلت لنفسي: إن كنت قد أفدت شيئاً من مصاحبة عمر بن الخطاب في سيرته وأخباره، فلا يخرجك أن تزكى عملاً له كلما رأيته أهلاً للتركية، وإن زعم زاعم أنها المغالاة، وأنه فرط الإعجاب. وهذه هي الأسوة العمرية في الحساب. فالحق أنني ما عرضت لمسألة من مسائله التي لغط بها الناقدون إلا وجدته على حجة ناهضة فيها، ولو أخطأه الصواب." <sup>٢٨٢</sup> وإنما كان تركيزه على ما يفيد غرضه من هذه الدراسة ويلاحظ حين كلامه عن فراسة عمر رضي الله عنه روى روايات لا تصح وكان معترفاً بها وهو يقول "وتروى له في أمر هذه الفراسة روايات قد يصدق منها القليل وتتسرب المبالغة إلى كثير، ولكنها على كلتا الحالتين تنبئنا بحقيقة لا شك فيها وهي أنه اشتهر بالفراسة وحب والتفرس." <sup>٢٨٣</sup> وقد عاب محمد بن جلال القصاص العقاد في استدلاله بالروايات الضعيفة وهو يقول "فهو لا يبالي بمصدر التلقي؛ كله عنده صحيح إن وافق هواه، يسير بين المصادر يفتش فيها حتى يجد ما يوافق هواه فينقله، كان البخاري أم كان الأصفهاني؟" <sup>٢٨٤</sup>

ولا يقول الباحث أن العقاد كان يروى جميع القصص بغض النظر عن صحته وقد ضعف بعض الروايات منها قصة الحد في ابنه عبد الرحمن وقصة وأد بنته وكذلك أنكر أن عمر رضي الله عنه بن الخطاب عزل خالدًا دفعة واحدة على إثر قيامه بالخلافة وهو يقول "والأرجح أن في تاريخ القصة خطأ وقع فيه بعض المؤرخين ومنهم ابن الأثير، فكتب عن عزل خالد في أخبار السنة الثالثة عشرة للهجرة ثم ذكره في أخبار السنة السابعة عشرة، وأورد في الموضوعين أقوالاً متشابهات." <sup>٢٨٥</sup>

قد يتميز كل كتاب عن غيره من الكتب ولو كان الموضوع الذي تناوله الكتابان واحداً بأسلوب الكاتب الذي تناوله ولكل كاتب ميزته وخصائصه وأسلوبه في الكتابة وكذلك تميز 'عبقرية عمر' عن السير الأخرى التي

<sup>٢٨٢</sup> نفس المرجع، ص ٤

<sup>٢٨٣</sup> نفس المرجع، ص ١٦

<sup>٢٨٤</sup> القصاص، محمد بن جلال. عمالة عباس العقاد للفكر الغربي. ص ١١٧

<sup>٢٨٥</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ١٥٩

كتبت في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأسلوب العقاد ومن بعض الخصائص الأساسية التي لاحظها الباحث ما يلي:

وقد قام العقاد بشرح دقيق للأحداث من أجل تبين وكشف ما يتناوله بحيث لم يبق منه غموض أم إبهام لذلك يرى أنه كثيرا ما يوضح ويشرح الأحداث ويزيد في وضوحه بإتيان بالأدلة والشواهد. ويلاحظ ذلك في بيان قصة إسلامه وحاول العقاد أن يثبت أن عمر رضي الله عنه اعتنق الإسلام لأسباب عدة ولم يكن إسلامه لسبب واحد ثم يبين مقوله هذا بإتيان الأدلة والشواهد وأتى بأسباب عديدة لإسلامه وهو يقول "فربما أسلم أناس لأنهم أخذوا ببلاغة القرآن، وأسلم أناس كرهوا المنكر الذي كان يشيع في الجاهلية، أو لأنهم ورثوا النزعة الدينية والخلائق المستقيمة، أو لأنهم جبلوا على روحانية تصل بينهم وبين عالم الغيب وحظيرة الأسرار، أو لأنهم قد عرضت لهم عارضة موقوتة، حركت ما فيهم من كوامن تلك الأسباب. وكل أولئك كان عمر على استعداد له عظيم. وكل أولئك لم يكن عمر فيه بالوسط المكرر، بل كان فيه العلم المترفع المضيء بين الأعلام." <sup>٢٨٦</sup> بعد أن ذكر العقاد الأسباب مجملا ثم قام بتفصيل كل واحد من الأسباب وأتى لكل واحد منها بأدلة تدعّمه في صفحات.

ومن ميزته أيضا أنه حاول أن يستخرج الدلائل الباطنة فضلا عن الظاهرة من الأحداث وحاول أن يكشف ما يخفى على الكثيرين فتجلى هذه الميزة أثناء حديثه عن شدته وخشونته. ومن المعروف أن عمر رضي الله عنه كان شديدا غليظا، أما العقاد يأتي بالقراء إلى المعاني الباطنة لشدته وخشونته وجعل سبب شدته خوفه أن تغلب الرحمة عليه فصور القوة كأنها نقاب لرحمته الغير المنضبط وهو يقول "فهو إنما يعتصم بالواجب في هذه الحالة، كما يعتصم الإنسان بالحصن المنيع كلما خشى أن تقتحم عليه طريقه، ولولا خوف الرحمة أن تغلبه لما كانت به حاجة إلى ذلك الحصن المنيع." <sup>٢٨٧</sup>

<sup>٢٨٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٠

<sup>٢٨٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٨

وكذلك من ميزته وقد حوى الرد لبعض تهجمات أعداء الإسلام وشبهات المستشرقين في تحليل كثير من الأحداث وتناول كثيرا منها في منظور حديث ليزيل الشك لأبناء العصر الحاضر وكان منهج العقاد في الدراسات والأبحاث الإسلامية عامة وفي 'عبقرية عمر' خاصة هو الدفاع عن الإسلام ضد أكاذيب خصومه وتقديم الإسلام في صورة حقيقية، ويعتقد الإسلام دينا يقوم على الحضارة ولكن أعداءها المتعصبون ضد الإسلام يطعنون على الإسلام، فتولى العقاد مسؤوليته في حماية الدين بالأبحاث والدراسات المتوالية كمفكر إسلامي، فرد العقاد الرماح والسهام التي أطلقها الأعداء على الإسلام. ومن بعض الشبهات التي ردها العقاد للمستشرقين: واتهموا أن عمر رضي الله عنه محدود الفكر حيث قال " فبعض المستشرقين الذين أثنوا عليه قد عرضوا لأمر تفكيره، فوصفوه بأنه محمود التفكير، أو أنه يأخذ الأمور بمقياس واحد."<sup>٢٨٨</sup> ثم أجابهم مفصلا بإيراد الأدلة والشواهد ثم يقول " الفكر المحدود هنا فكر أولئك المستشرقين لا فكر عمر بن الخطاب."<sup>٢٨٩</sup> وكذلك رد لشبهتهم في بعض سياسته للولاة وهو يقول " للمستشرقين المتحدثين بالتفكير المحدود أن يأخذوا عليه تشهيره بكبار الولاة.... ولكن بشرط واحد..... أن يثور ابن العاص ونظراؤه على هذا القصاص، فتختل حكم الدولة، وينتشر الأمر على الخليفة.... وأما أن يكون ابن العاص ونظراؤه لا يثورون، ويعلمون من هو عمر وما هي عقابهم إذا ثاروا عليه."<sup>٢٩٠</sup>

ومن ميزة هذا الكتاب لم يلتزم الكاتب فيه بالتسلسل الزمني كما فعله معظم كتاب السيرة ولكن رتب الأخبار والأحداث حسب الموضوع وسمى لكل باب اسما ما يوافق مضمونه. وقسم كتابه إلى اثني عشر بابا. وخالصة هذه الأبواب ما يلي:

<sup>٢٨٨</sup> نفس المرجع، ص ٣٦

<sup>٢٨٩</sup> نفس المرجع، ص ٣٩

<sup>٢٩٠</sup> نفس المرجع، ص ٤١

وقد بدأ المؤلف الباب الأول "عبقري" بكلام النبي ﷺ "لم أر عبقريا يفري فريه". وحاول إثبات عبقرية لعمر ﷺ وأتى لها بالأدلة والشواهد. ثم تحدث عن سياسة النبي ﷺ في استخلاف أبي بكر ﷺ وعمر ﷺ وصور أن تقديم النبي ﷺ أبا بكر على عمر ﷺ في خلافة لم يكن عرضيا بل كان من السياسة العليا.

وفي الباب الثاني "رجل ممتاز" صور مظهره البدني وتحدث عن هيئته وأتى لهذه بالأدلة والشواهد. ثم بين علامات العبقرية في تعريف المحدثين وحاول أن يثبت هذه العلامات في عمر ﷺ ويختتم هذا باب بإثبات أن عمر ﷺ هو عبقرى في مقياس الأقدمين ومقياس المحدثين. وفي الباب الثالث "صفاته" ينظر إلى صفات عمر ﷺ من ناحية جديدة وصور العدل والرحمة والغيرة والفتنة والإيمان من صفاته الأصيلة وبين كلا من هذه الصفات مفصلا بإيراد الأدلة ورد لكثير من تهمة المستشرقين وشبهات أبناء العصر الحاضر.

وفي الباب الرابع "مفتاح شخصيته" أتى العقاد بما لم يأت أحد من قبله أو بعده، فيرى العقاد أن للشخصيات مفتاح كما للبيوت مفتاح يفتح به. وصور أن مفتاح شخصية عمر ﷺ هو "طبيعة الجندي" ثم حاول إثبات هذه المقولة بالأدلة والشواهد. وفي الباب الخامس "إسلامه" تحدث عن أسباب إسلامه وهجرته وشجاعته وزهده وموقف مع غير المسلمين وسياسته في الذميين.

وفي الباب السادس "عمر والدولة الإسلامية" صور أن عمر ﷺ هو مؤسس الدولة الإسلامية وتحدث عما أتى به عمر ﷺ من النظم والإصلاحات ثم بين نظام الشورى والولاية والقضاء عند عمر ﷺ مع الأحداث والأخبار الداعمة. وفي الباب السابع يحلل العقاد عمر ﷺ في مقياس المحدثين ويرد لشبهاتهم، ومنها حاول أن يزيل الشبهات في محاسبة الولاة وتسويتهم مع الرعية.

وفي الباب الثامن بين حياته مع النبي ﷺ وصور العلاقة بينهما كعلاقة بين المعلم والمريد والإمام والمأموم ثم بين العلاقة بين عمر ﷺ وآل البيت. وفي الباب التاسع "عمر والصحابة" قام بتحليل قصة بيعة أبي بكر ﷺ وبيعة عمر ﷺ وصور العلاقة بينه وبين أبي بكر ﷺ والصحابة وكذلك حلل مسألة عزل خالد بن

الوليد ﷺ مفصلاً. وفي الباب العاشر صور شغفه للشعر وموقفه من سماعة الغنى والذوق الجمال وفي  
الخطابة عنده ثم ذكر أمثلة لخصوصياته في التعبير.

وفي الباب الحادي عشر "عمر في بيته" صور حياته في بيته وتحدث عن موقفه للنساء وما كان يعطي لهن  
من الحقوق وكذلك قام بتحليل قصة وأد بنته ثم ذكر عن أزواجه وذرياته ومحبته إليهم ومحبتهم إليه. وفي  
الباب الأخير صور صورة مجملته لعمر ﷺ فأتى بأخبار وفاته وقام بتحليل المؤامرة وراء قتله.

وقد سبق الذكر أن الكاتب لم يلتزم بالتسلسل الزمني في كتابه هذا وتناول الأحداث التاريخية وحياتة عمر  
ﷺ وشخصيته في الأبواب مفرقا. ولتسهيل تحليل ما صور العقاد مجملاً أقسم الباحث تحليل الكتاب إلى  
أحد عشر جزء وهو: مظهره البدني، إسلامه، هجرته، حياته مع النبي، حياته مع أبي بكر، استخلاف  
عمر، صفاته، مسألة عزل خالد بن الوليد، وفاته، سياسته وحكمه.

### الوصف الجسماني لعمر بن الخطاب

قد صور العقاد الملامح البدنية لعمر الفاروق ﷺ في شكل موجز وبأسلوب فني رائع. ولم يهتم الكاتب بكثير  
في ذكر ملامح بدنه. ولم يجعل العقاد بابا خاصا في ذكره كما صنع ابن الجوزي في كتابه عن سيرة عمر ﷺ  
حيث جعل بابا فيه باسم "في صفته وهيئته رضي الله عنه" فذكر العقاد عن مظهر بدنه في الباب الثاني  
المسمى بـ "رجل ممتاز" حين كلامه عن هيئته. فصور العقاد عن ملامح بدنه ليشير أن جسده كان يوافق  
مع هيئته ويذكر أن منظر الجسد يخيف من يراه يقول: "فهي هيبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة  
الجسد، إلا أنه مع هذا كان في منظر الجسد رائعا يهول من يراه، ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعدله  
وتقواه."<sup>٢٩١</sup>

<sup>٢٩١</sup> نفس المرجع، ص ١٤.

وقد قام المؤلف بتصوير طول بدنه وطبيعته البدنية في كلمات وجيزة رائعة يقول "كان طويلا بائن الطول يرى ماشيا كأنه راكب جسيما صلبا يصرع الأقوياء، ويروض الفرس بغير ركاب."<sup>٢٩٢</sup> ويرى العقاد أن طبيعة بدنه دليل على أنه من طراز العظماء حيث يقول "تشهد العيون كما تشهد القلوب أنه لمن معدن العظيمة، أو معدن العبقرية والامتياز بين بني الإنسان"<sup>٢٩٣</sup>

وأورد العقاد بعض الملامح البدنية لعمر رضي الله عنه عند كلامه لتثبيت أنه عبقرى، فاستشهد لذلك دراسة لومبروزر ومدرسته، فذلك أن للعبقرية علامات لا تخطئها على صورة من الصور في أحد من أهلها ويرى المؤلف أن هذه العلامات في عمر رضي الله عنه بكثير حيث يقول "وفي عمر رضي الله عنه من هذه العلامات كثير كان كما تقدم طويلا يمشي كأنه راكب وكان أعسر يسيرا يعمل بكلتا يديه وكان أصلع خفيف العارضين."<sup>٢٩٤</sup> ويلاحظ أن العقاد تميز من الكتاب الآخرين للسيرة في ذكر الملامح البدنية أنه لم يقم بنقل الأخبار عنها فحسب بل قال أن مظهره البدني شيء من هيئته حيث يزيد مظهره هيئته حتى يخافه من يجله ولا يعلمه وكذلك حاول أن يثبت أنه من صنف العباقرة باستشهاد بعض ملامحه البدنية.

## إسلام عمر بن الخطاب

تحدث العقاد عن إسلام عمر رضي الله عنه في صورة مفصلة حيث جعل بابا خاصا في ذكر أخبار إسلامه وتناول إسلامه في نحو عشر صفحات ويبحث عن الأسباب التي أدت إلى إسلامه. ويرى العقاد أن سبب إسلامه لن يرجع إلى سبب واحد يقول "فالرجل الذي يغير موطنه أو معيشته أو زيه لا يفعل ذلك عفوا الساعة، ولا تلبية لاقتراح يوحى إليه في مجلس الفراغ لأن الإنسان إذا غير معيشته فإنما يغير صناعة وإذا غير موطنه فإنما يغير بلدا وإذا غير زيه فإنما يغير سمته يقوم على كساء ولكنه إذا غير عقيدته الدينية فقد غير كونه

<sup>٢٩٢</sup> نفس المرجع، ص ١٥

<sup>٢٩٣</sup> نفس المرجع، ص ١٥

<sup>٢٩٤</sup> نفس المرجع، ص ١٥



واستبدل به كونا آخر فسبب واحد لا يغير هذا كله دفعة واحدة ولا بد لتمام هذا التغيير من أسباب سابقة مهيئة وأسباب موقوتة.<sup>٢٩٥</sup> ثم ذكر أسباب إسلامه منها ندمه لشكاية المرأتين أي أم عبد الله بن حنتمة وأخته فاطمة فيرى العقاد أنه كان على تمام الإسلام يوم رثى للمرأة المهاجرة ويوم رأى الدم على وجه أخته ويرى العقاد هو سبب ظاهر يشير إلى سبب عميق "سبب عارض هو الأسف لشكاية الضعيف سبب عميق هو الرحمة التي تجمل بذى نخوة كريم."<sup>٢٩٦</sup>

ويقول العقاد قد كثرت روايات في قصة إسلامه باختلاف يسير وهو يرى ليس من الواجب أن تكون رواية واحدة صحيحة وغيرها من الروايات غير صحيحة "ولم لا تكون أسبابا متعدداً في أوقات مختلفات؟ فمن المستطاع المعقول أن نسقط منها قليلاً من الحشو هنا، ثم نخلص منها إلى جملة أسباب لا تعارض بينها في الجواهر."<sup>٢٩٧</sup>

ثم أتى الكاتب بروايتين مشهورتين في إسلامه، إحداهما رواية عمر رضي الله عنه نفسه أنه سمع القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ورق قلبه فأسلم. ثانيهما رواية ابن إسحاق أنه خرج يوماً بهم قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلقبه نعيم بن عبد الله في الطريق فأخبره أن أخته وزوجته قد أسلما فعاد إليهما فسمع سورة طه فأسلم. ويرى العقاد كان نفس عمر رضي الله عنه مستعداً للإسلام من قبل هاتين الحادثتين وهو يقول "فقد كان مهياً للإسلام لا محالة، وكانت مجافاته للإسلام خليقة أن تنتهي بعد قليل، وألا تطول إلا ريثما تعن المناسبة للشهادة باللسان بعد التهيؤ بالفطرة والضمير."<sup>٢٩٨</sup> ويرى العقاد كانت أبواب الإسلام كلها مفتوحاً أمامه إلا باباً واحداً للعداء، أنه رجل غيور في قومه لا غرو أن يثور على محمد صلى الله عليه وسلم الذي فرقهم كما قال قريش حتى يتبين له أنه هو في البغي والعدوان.

<sup>٢٩٥</sup> نفس المرجع، ص ٦٥-٦٦

<sup>٢٩٦</sup> نفس المرجع، ص ٦٧

<sup>٢٩٧</sup> نفس المرجع، ص ٦٧

<sup>٢٩٨</sup> نفس المرجع، ص ٦٩

وكذلك يرى العقاد وما عَلمنا من سبب الإسلام إلا كانت له علاقة مع عمر رضي الله عنه حيث يقول: "فربما أسلم أناس لأنهم أخذوا ببلاغة القرآن، وأسلم أناس كرهوا المنكر الذي كان يشيع في الجاهلية، أو لأنهم ورثوا النزعة الدينية والخلائق المستقيمة، أو لأنهم جبلوا على روحانية تصل بينهم وبين عالم الغيب وحظيرة الأسرار، أو لأنهم قد عرضت لهم عارضة موقوتة، حركت ما فيهم من كوامن تلك الأسباب. وكل أولئك كان عمر على استعداد له عظيم. وكل أولئك لم يكن عمر فيه بالوسط المكرر، بل كان فيه العلم المترفع المضيء بين الأعلام."<sup>٢٩٩</sup> ثم بين العقاد مفصلاً عن بلاغة عمر رضي الله عنه وإنصافه ونزعته الدينية وفراسته وأتى لكل واحد منها بشواهد من حياته تدعمها. فيذكر العقاد بعد البحث عن أسباب إسلامه أثر الإسلام فيه، ومنها أصبح عمر بن الخطاب رضي الله عنه عادلاً حيث لا يوجد نظير له.

ويلاحظ من كل هذا، وكان الكتاب من قبله ينقلون الروايات المختلفة في إسلامه وكانوا لا يضيفون شيئاً من عندهم كما فعل ابن الجوزي إنه أتى بالروايات الأربع المختلفة فحسب، أما شبلي النعماني فاكتفى برواية خروج عمر رضي الله عنه لقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبين شبلي موجزاً ما جعل عمر رضي الله عنه أن يخرج لقتل النبي صلى الله عليه وسلم. فيلاحظ أن العقاد تميز من الكتاب الآخرين في تصوير إسلامه حيث اتخذ الموضوع من جانب جديد إنه يقدم أن المرء لا يغير دينه لسبب واحد فأتى بالروايات المشهورة في إسلامه كما فعله الآخرون ثم بين الأسباب الأخرى لإسلامه فيثبت أن جميع هذه الأسباب أدت إلى إسلامه معاً. ومما يتميز العقاد من غيره بصفة خاصة وهي استخراج أسباب نفسية باطنة لإسلامه التي لم نرها بهذا الشكل في كتب السيرة من قبله.

## هجرة عمر بن الخطاب

لم يتحدث العقاد عن الأسباب التي جعل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأمر المسلمين بالهجرة إلى المدينة ولم يتحدث عن رفاق عمر رضي الله عنه في الهجرة كما يرى في كتب السير الغير عن خلفية الهجرة ورفاقه فيها وقد

<sup>٢٩٩</sup> نفس المرجع، ص ٧٠

ذكر شبلي نعماني خلفية الهجرة وكذلك جعل عنوانا باسم " رفاق عمر في الهجرة" ولم يذكر شبلي أو ابن الجوزي عن قصة هجرته. أما العقاد فذكر قصة هجرته وبين كيف كانت هجرته، يصور أنه هاجر معلنا ومتحديا للأقريش. ويعتقد العقاد دافع عمر ﷺ وراء التحدي لقريش شجاعته وعدله. حيث يقول " لقد كان له في تحديه هذا لقريش عدنان شجاعته وعدله.. فما كانت شجاعته في هذا التحدي بأظهر من عدله، ولا كان عدله فيه بأظهر من شجاعته. إذ الشجاع الحق مطبوع على الأنفة من الظلم؛ لأنه شديد الإحساس بذله، ومن كان شديد الإحساس بذل الظلم، فهو شديد الإحساس بعزة العدل من طريق واحد. وقلما أغضب العادل الشجاع شيء، كاستطالة الظالم وظنه أن المظلوم لا يستطيل عليه، فذلك هو التحدي الذي يثير الشجاعة، ويثير النقمة على الظلم، أو يثير حب العدل في وقت واحد".<sup>٣٠٠</sup>

يلاحظ أن العقاد ركز في كلامه عن هجرته على كيف كانت هجرة عمر ﷺ، وصور قصة هجرته مثالا لعدله وشجاعته ودليلا عليهما. ولم يذكر الأخبار الأخرى عن هجرته.

### حياته مع النبي ﷺ

صور العقاد حياة عمر ﷺ مع النبي صلى الله عليه وسلم في صورة مفصلة، إنه جعل بابا خاصا لتناول ما حدث بين عمر ﷺ والنبي ﷺ وسمى هذا الباب " مع النبي" إنه جمع في هذا الباب ما ذكر الكتاب القدماء في أبواب مختلفة مثل نزول القرآن بموافقتهم، وقول النبي في فضل عمر، وإقدامه على أشياء من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم وأوامر أبي بكر رضوان الله عليه، فلم يؤخذ بإقدامه لصحة مقصده وغيرها. ويرى العقاد كان عمر ﷺ مع أنه يستحق الإعجاب وكان يعجب بمن يفوقونه كأنه لم يكن هو موضع الإعجاب، ووصف العقاد حب عمر ﷺ للنبي ﷺ حب إعجاب يقول "عمر كان يحب محمدا حب إعجاب ويؤمن بإيمان إعجاب يستصغر نفسه إذا نظر إلى عظمة محمد".<sup>٣٠١</sup> ثم أتى بذكر نداء النبي ﷺ لعمر ﷺ "يا أخي" وصور

<sup>٣٠٠</sup> نفس المرجع، ص ٧٦

<sup>٣٠١</sup> نفس المرجع، ص ١٢٤

فرح عمر رضي الله عنه لهذه النداء ويبحث عن سبب هذا الفرح ويقول إن عمر رضي الله عنه " ليس بالرجل الذي يحب تواضع المرئيين، وليس بالرجل الذي يجهل مقداره أو يهاب مقدارا بغير الحق، وبغير الإعجاب، لأنه كان يعرف النظر إلى المثل الأعلى يعرف الإعجاب بما فوقه"<sup>٣٠٢</sup> وكذلك يرى العقاد أن هذه النداء من شهادة لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤاخي الناس كبارا صغارا وكذلك "شهادة لعظمة عمر أنه أهل لذلك الإخاء لأنه يدرك ما فيه من العظمة، ويشعر بما فيه من رضوان"<sup>٣٠٣</sup> فكانت مودة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه كمودة عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم شرفا له من جانبيه.

ويبين العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غاية إعجابه بالنبي صلى الله عليه وسلم أن الإعجاب عند عمر لا ينقض الاستقلال بالرأي فاحتفظ مع هذا الإعجاب الشديد باستقلال رأيه غاية الاحتفاظ وهو يقول العقاد " فلم يكن أحد يعجب بمحمد أكبر من إعجاب عمر. ولم يكن أحد مستقلا برأيه في مشورة محمد أكبر من استقلال عمر فهو آية الآيات على أن فضيلة الإعجاب لا تغض من صراحة الرأي عند ذي الرأي الصريح"<sup>٣٠٤</sup> وأورد العقاد أمثلة لمصارحة عمر واستقلال برأيه منها: إشارته للنبي بحجاب أزواجه، وإلحاحه في تذكير مساوي عبد الله بن أبي كبير المنافقين يوم وفاته وإشارته ألا يصلي عليه وغيرها.

ويعد العقاد موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلح الحديبية من المثل الأفضل للاستقلال بالرأي والصراحة. ويرى العقاد مراجعة عمر رضي الله عنه شيئا إيجابيا وهو يقول العقاد " فلا جرم يراجع النبي في كل عمل أو رأى لم يفهم مآتاه وممرماه ما أمكنته المراجعة، وما قلقت خواطره حتى تثوب إلى قرار."<sup>٣٠٥</sup> ويرى العقاد أن الاستقلال بالرأي في عمر رضي الله عنه آية من الآيات وكان لا يراجع النبي صلى الله عليه وسلم إذا استعصت المراجعة وعظم الخطر، وأتى لهذا بدليل من حادث طلب النبي صلى الله عليه وسلم عند وفاته كتابا يملى على المسلمين فيمتدون به بعده

<sup>٣٠٢</sup> نفس المرجع، ص ١٢٥

<sup>٣٠٣</sup> نفس المرجع، ص ١٢٥

<sup>٣٠٤</sup> نفس المرجع، ص ١٢٧

<sup>٣٠٥</sup> نفس المرجع، ص ١٢٩

فخاف عمر رضي الله عنه من مراجعته فيما سيكتب وهو جد خطير. وقال للنبي عندنا كتاب الله حسينا فمال النبي صلى الله عليه وسلم إلى رأيه لو كان الصحيفة من الضرورة لكان عمر رضي الله عنه أول المجيبين. وكان لا يراجع مسائل الوحي القطعية يقول العقاد " فلم يحجم عن مراجعة أمره حيا وميتا في مسألة ليست من مسائل الوحي الذي فيه فصل الخطاب".<sup>٣٠٦</sup>

ويعتقد العقاد كان عمر رضي الله عنه أشد الناس حرصا على سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأكثرهم رجوعا إليها مع هذا الحرص لم يغفل عن تحري العلل التي وراء السنة النبوية. فأتى بقصة إقطاع الأرض لعينية بن حصن والأقرع بن حابس دليلا لهذا. وكذلك أتى بنهيه عن زواج المتعة ونهيه عن التحلل من بعض مناسك الحج، فيثبت العقاد بهذه الأحداث أن عمر رضي الله عنه كان مع إعجابه للنبي استقل برأيه حتى بعد وفاته. ويذهب العقاد إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرضى عن مخالفات عمر رضي الله عنه ومراجعاته كما يرضى عن موافقاته لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم بواعث هذه المخالفات.

وبين العقاد معاملة النبي صلى الله عليه وسلم لعمر كأنه علاقة المعلم لتلميذه وكأنه يرجو للإسلام خيرا منها حيث يقول "فيحمدها ويرجو للإسلام خيرا منها، بل يدخر للإسلام سورتها كما يدخر له تسليمه وطاعته، ويسوسه في رفق وكرامة سياسة المعلم لتلميذه الذي يعينه ويستعين بغيرته، ويروضه رياضة الإمام لمريده الذي يهيئه للإمامة بعد حين. ويشجعه بقبول الحسن من رأيه تشجيع من يثبت فيه حسن الرأي ويستزيده منه".<sup>٣٠٧</sup> ويعتقد العقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم هو مصلح النفوس وهادئ الضمير وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم بكل فضيلة من فضائل عمر رضي الله عنه وجعل العقاد الفارق بينهما هو فارق بين المعلم والمريد وبين الإمام والمأموم يقول العقاد " وإن كان محمد لأرحب صدرا وأعلم بالناس من أن يكلف صاحبه أن يشبهه كل الشبه في علاج الحق والباطل، فلا بد من فارق بين الرجلين هو لا بد منه بين المعلم والمريد وبين الإمام والمأموم".<sup>٣٠٨</sup>

<sup>٣٠٦</sup> نفس المرجع، ص ١٣٠

<sup>٣٠٧</sup> نفس المرجع، ص ١٣٢

<sup>٣٠٨</sup> نفس المرجع، ص ١٣٢

ويؤكد العقاد هذا الفارق بقصة الأسود بن شريع، فأسكته النبي ﷺ لما دخل عمر ﷺ عليهما وقال النبي ﷺ هذا رجل لا يحب الباطل. وفي نفس الوقت يعتقد العقاد أن النبي ﷺ كان لا يرضى عن الباطل الذي يكرهه عمر ﷺ ولكن هذا الفعل للنبي هو تربية لعمر ﷺ في حب الحق وكراهة الباطل حيث يقول العقاد " وإنما يسمعها فيعلم أي الرجلين يهدي صاحبه في مناهج الحق، ويدبره على كراهة الباطل، ويعلم أن الإمام يطبق ما لا يطيقه المرید، ويتسع صدره لما تضيق به صدور تابعيه، وأن محمدا أراد أن يعود الناس مهابة عمر، وأن يستبقى لعمر سورته في محاربة الضلال، والأيام كقبيلة بترويض تلك السورة فيما ينبغي أن تراض عليه".<sup>٣٠٩</sup> ويستنبط العقاد من هذا فكان النبي ﷺ وعمر ﷺ يكرهان الباطل لكن مذهب عمر ﷺ يختلف من مذهب النبي ﷺ، وكان عمر ﷺ ينكر الباطل إنكار المحارب ويرفع سلاحه حيثما رآه وأما النبي ﷺ فكان ينكره فلا يرفع سلاحه حيثما رآه لأنه يعلم ضروريا من الباطل وضروريا من الإنكار.

ثم يبحث العقاد عن فرق بين النبي ﷺ وعمر ﷺ. فيرى الفارق بينهما الفارق بين إنسان عظيم ورجل عظيم حيث يقول " فالنبي لا يكون رجلا عظيما وكفى بل لا بد أن يكون إنسانا عظيما فيه كل خصائص الإنسانية الشاملة وتهيئته للفهم عن كل جانب من جوانب بني آدم".<sup>٣١٠</sup>

ويرى العقاد أن النبي ﷺ كان يعلم ما كان يحتاج إليه عمر ﷺ، فلم يحتج النبي ﷺ إلى تعليم عمر ﷺ حب الحق وكراهة الباطل لأنهما خصلتان أصليتان فيه، بل كان يعلمه الصبر على الباطل وألا يأسى على الحق وأثبت العقاد هذا التعليم بقصة إشارة عمر ﷺ على النبي ﷺ بقتل عبد الله بن أبي، وكذلك أتى بقصة إشارة عمر ﷺ على النبي ﷺ بكسر ثنثي سهيل بن عمرو ﷺ في أسرى بدر، وكذلك أتى بما جرى في صلح حديبية. ويعتقد العقاد أن عمر ﷺ استفاد من هذه الدروس لمعلمه حيث يقول " وتجتمع خلاصة هذه الدروس كلها في خبر واحد من أخبار عمر بعد ولايته الخلافة، وذلك حين بلغوه فتح «تستر»، وذكروا له أن رجلا ارتد عن الإسلام فقتلوه، فلامهم على قتله وقال لهم: «هلا أدخلتموه بينا وأغلقتم عليه

<sup>٣٠٩</sup> نفس المرجع، ص ١٣٣

<sup>٣١٠</sup> نفس المرجع، ص ١٣٣

وأطعمتموه كل يوم رغيفا فاستتبتموه؟ اللهم إني لم أشهد ولم أمر ولم أرض إذ بلغني». فهذا عمر تلميذ محمد في الإسلام، وهذا عمر شاهد دروس ابن سلول ومن على شاكلته من المنافقين والمشركين، وهذا عمر المستفيد بما وعى من تلك الدروس.<sup>٣١١</sup>

ويرى العقاد أن تفكير عمر رضي الله عنه كله كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على البداهة وكان لا يبخل في إخراج البأس كله أمام النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منه كما يشاء وكيف يشاء ومثل العقاد هذا في مثال رائع حيث يقول "مثل عمر في هذه المواقف مثل صاحب المال تنزل الضائقة الحازبة فيبسط ما عنده من المال جميعا ويدع للوالي القائم بالتدبير ما يختار من ماله مقدار ما يريد وذلك أفضل الحسنيين وأكرم الواجبين، وهو الواجب الذي يليق بعمر في صحبة الرسول.<sup>٣١٢</sup>

فيلاحظ أن العقاد اتخذ حياة عمر رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم من زاوية جديدة. وصور فيه ما لم يصوره من الكتاب القدماء. ويؤكد العقاد أن علاقة عمر رضي الله عنه كانت مع النبي صلى الله عليه وسلم كعلاقة مريد مع معلمه. وامتاز العقاد من غيره بتقديم الفارق بين النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه فارق بين الإنسان عظيم والرجل العظيم. وجعل حب عمر رضي الله عنه لآل البيت دليلا لحبه وفائه للنبي صلى الله عليه وسلم حتى بعد وفاته. ومثل العقاد عمر رضي الله عنه سيفا وجلوازا للنبي صلى الله عليه وسلم.

### موقف عمر عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

تحدث العقاد عن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأثر هذه الوفاة في عمر رضي الله عنه مفصلا أثناء كلامه عن صفاته وتناول العقاد هذا الموضوع من جانب جديد ولم يكتف العقاد بمجرد سرد قصة الوفاة بل صور نفسية عمر رضي الله عنه وأخلاقه وصفاته أثناء تصوير وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. وإن ابن الجوزي تناول هذا الموضوع في كتابه تحت عنوان " في ذكر انزعاجه لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنكاره موته". وقد وقف ابن الجوزي عند مجرد سرد هذا

<sup>٣١١</sup> نفس المرجع، ص ١٣٥

<sup>٣١٢</sup> نفس المرجع، ص ١٣٦

الخبر ولم يصف شيئا من عنده وكذلك فعل محمد حسين هيكلي. أما العقاد تمكن أن يصور من خلاله نفسية عمر رضي الله عنه، وهذا ما يميز العقاد من غيرهم. ويعتقد العقاد أن الأفكار والأخلاق جانبان من جوانب النفس الإنسانية، قابلان للضوابط والقيود أما الدوافع والسورات عادة غير قابلة للضوابط. وقد بين العقاد الأخلاق والأفكار والسورة في تمثيل رائع. ثم احتج بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم أن ضابط الإيمان كان هو المسيطر الأكبر في نفس عمر رضي الله عنه. وصور ما حدث لعمر رضي الله عنه لما أتاه خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول "فأنكر أن ينعي، وأبى أن يسمع صوتا بين المسلمين يزعم أن محمدا قد مات، وصاح والناس في رهبة منه، كرهبتهم من شبح الموت المخيم يومئذ على الروس: ولله إني لأرجو أن تقطع أيدي رجال ورجالهم، يزعمون أن قد مات".<sup>٣١٣</sup> وذكر ما فعل أبو بكر رضي الله عنه وخطبته للناس ولما سمعها عمر رضي الله عنه من أبي بكر رضي الله عنه فأهوى عمر رضي الله عنه إلى الأرض وأتاب. واتخذ العقاد هذه الإنابة لعمر رضي الله عنه من زاوية أخرى واحتج من هذه الإنابة بأن إيمان عمر رضي الله عنه كان ضابطا يسيطر حتى على الدوافع والسورات التي لا يقدر عليها معظم الأقوياء. ومثل العقاد السورة والدوافع في عمر رضي الله عنه بسيل العرم ثم صور هذا سيل العرم أصبح شلالا زاخرا في شأن عمر رضي الله عنه لما أمكن عمر رضي الله عنه أن يسيطر عليها بضابط الإيمان حيث يقول "يا لروعة الشلال الزاخر؟ ومثل العقاد إن عمر هو كسباح في السيطرة على مشاعره حيث يقول "يا لروعة السباح القاهر الذي لوى به ليا، كأنما قيض منه على عرف، وأخذ له بعنان".<sup>٣١٤</sup>

يلاحظ أن العقاد صور الصفات النفسية لعمر رضي الله عنه باحتجاج وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما لم يسبق إليه القدماء.

## حياته مع أبي بكر

صور العقاد حياة عمر رضي الله عنه مع أبي بكر رضي الله عنه أيضا في صورة مفصلة، ولكن لم يجعل بابا خاصا لتناولها كما جعل بابا خاصا في تناول حياته مع النبي صلى الله عليه وسلم بل تحدث عنها كثيرا تحت باب "عمر والصحابة" وإنه تناول ما

<sup>٣١٣</sup> نفس المرجع، ص ٤٥

<sup>٣١٤</sup> نفس المرجع، ص ٤٥



جرى بين عمر رضي الله عنه والصحابة عامة وحياة عمر رضي الله عنه مع أبي بكر رضي الله عنه وقصة عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه على شكل خاصة.

لم يتحدث العقاد عن حياتهما قبل خلافة أبي بكر رضي الله عنه. وإنه بدأ من عما حدث في بيعة أبي بكر رضي الله عنه. ويرى العقاد وقد خاف المسلمون الفتنة في مسألة خلافة النبي صلى الله عليه وسلم ولكن انتهت مسألة الخلافة بسلام بتدخل مناسب لعمر رضي الله عنه. ويرجع العقاد فضل إطفاء نار الفتنة في مسألة الخلافة إلى عمر رضي الله عنه حيث يبدأ الباب "عمر والصحابة" بقوله "بايع عمر فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه." ويعتقد العقاد أن ما جرى ما بين عمر رضي الله عنه وأبي بكر رضي الله عنه من حوار ذلك اليوم كافي أن يبين شخصيتهما حيث يقول " وفي تلك الكلمات الموجزات التي تبادلها الصديقان العظيمان خلاصة نقد الناقدين وبحث الباحثين، وحكم التاريخ في أبي بكر وعمر، وفي موقف الخلافة من بدايته إلى منتهاه. قال عمر: إنك أفضل مني. وقال أبو بكر: إنك أقوى مني. وقال عمر: إن قوتي لك مع فضلك. صدقا غاية الصدق، وجاملا غاية المجاملة، وقضيا بالعدل والحكمة والإخاء، وتركنا التاريخ يقول ما يقول ويسهب ما يسهب، ثم لا يزيد في فحواه كلمة على ما ضمنته تلك الكلمات الموجزات<sup>٣١٥</sup>.

وكان عمر رضي الله عنه يراجع أبا بكر رضي الله عنه في خلافته حتى يقول الناس أ أبو بكر رضي الله عنه الخليفة أم عمر رضي الله عنه؟ وقد صور العقاد مراجعة عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه كمراجعة الرجل بين رأيين في نفسه يقول العقاد " بل كان الرجلان على اختلافهما في المزاج كأنهما رجل واحد يراجع نفسه بين الرأيين المختلفين، حتى يستقر على أحدهما فإذا هو رأي جميع لا خلاف فيه، لأنهما يصدران عن عقيدة واحدة، ويتجهان إلى غرض واحد، فهما غير مفترقين إلى أمد طويل." <sup>٣١٦</sup>

<sup>٣١٥</sup> نفس المرجع، ص ١٤٨

<sup>٣١٦</sup> نفس المرجع، ص ١٤٩

وقد احتج لهذا العقاد موقفهما في حروب الردة ويعجب العقاد من أبي بكر رضي الله عنه صاحب اللين أن يخالف لأنه يجنح إلى الشدة ويخالف عمر رضي الله عنه صاحب الشدة لأنه يجنح إلى اللين ثم يلتقيان ولا يتعارضان. وقد بين العقاد علة مراجعة عمر رضي الله عنه لأن عمر رضي الله عنه يرى عليه أمانة الرأي، ويرى الكاتب هذا لا يعيب عمر رضي الله عنه إنما كان يعيبه أن يطوي صامتاً في موقف المشاورة وهو الناصح الأمين وكذلك يرى العقاد أنه كان يعيب عمر رضي الله عنه إن كانت المعارضة في مسألة ليس لها وجه آخر ولا يحتمل المعارضة فيها بحال ولكن يرى الكاتب هذه المسألة مسألة فيها أوجه أخرى فيقول بعد ذكرها "أنها.... وليست من فلتات الضعف فيه، لأنه رأى الرأي فلم يحجم أن يبديه ويشرح حجته، جريئاً فيما رآه."

ويرى العقاد أن عمر رضي الله عنه لم يستنكف أن يلحق برأي أبي بكر رضي الله عنه بعد أن أدى أمانته حيث يقول "فإذا بعمر يثوب إلى شدته بعد أن أفرغ أمانة الرأي كما قال: ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال حتى عرفت أنه الحق. وما أسهل أن يعرف الحق لمن يريد أن يراه ولا يغمض عينيه .... أرجلان هنا مختلفان أم رجل واحد؟<sup>٣١٧</sup>

ويعتقد العقاد كانت مراجعة عمر رضي الله عنه قوة إلى فضل أبي بكر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه يعارض أبا بكر رضي الله عنه ليتبين مذاهب الرأي على اختلافها ثم هو يبذل جهوده لمعاونة الخليفة بأقصى ما استطاع لأنه كان يطيع الخليفة متى وجب الطاعة وقد أثبت العقاد هذا بمسألة قيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى البلقاء، ولأن أبا بكر رضي الله عنه غضب على عمر رضي الله عنه لما راجعه في هذه المسألة فتبين لعمر رضي الله عنه الأمر فرجع إلى طاعة الخليفة حيث يقول العقاد "وجبت الطاعة لأنه أبرأ ذمته بالمراجعة، وسمع أمر الرئيس الذي لا رجعة فيه وعمر جندي متى صرح له الأمر من صاحب الأمر لم يبق له إلا أن يطيع."<sup>٣١٨</sup>

<sup>٣١٧</sup> نفس المرجع، ص ١٤٩

<sup>٣١٨</sup> نفس المرجع، ص ١٣٠

## استخلاف عمر بن الخطاب

قد تحدث العقاد عن استخلافه في شكل موجز ولم يجعل العقاد بابا خاصا في ذكره كما صنع بعض الكتاب. ولو لم يجعل باب خاصا إنه تناول جوانب كثيرة لهذا الموضوع. ويعتقد العقاد أن بيعته أغلقت كل باب الخلاف والفتنة وقد يكون مفتوحا لو لا عمر رضي الله عنه تولى الخلافة إنه يبدأ كلام عن استخلافه بقوله: "ثم بويع عمر بالخلافة فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه".<sup>٣١٩</sup> ولما ترشح أبو بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه للخلافة حذر بعض أبا بكر رضي الله عنه في شدة عمر رضي الله عنه ويرى العقاد أن أبا بكر رضي الله عنه يرى شدة عمر رضي الله عنه من فضيلة عمر رضي الله عنه لأن رجلا كعمر رضي الله عنه أولى أن يكون خليفة في حين خيفت فيه الفتنة يقول العقاد "ولو شاء أبو بكر لقال إن ما خوفوه من شدة عمر لفضيلة من فضائله التي قدمته عنده على غيره، فقد خاف عليهم الفتنة، وكان أكبر حذره أن تجيء الفتنة من أولئك الأعلام الذين يتبعهم الطغام وليس لهؤلاء غير عمر يرهبونه ويتقون الفتنة باتقائه".<sup>٣٢٠</sup> فيثبت العقاد أن الذين حذروه عمر رضي الله عنه في الحقيقة رغبوه أن يجعله خليفة، كان أبو بكر رضي الله عنه يفكر في خليفة لهم من يخافونه ويستقيمون معه.

ويعبر العقاد عن إعجابه من خلافته الطويلة ويرى أنه من الطبيعي أن يبدأ الرجل خلافته ورأي الناس فيه حسن ويختم الخلافة ورأي الناس فيه على خلاف، ويعجب العقاد من خلافته الطويلة لأن رأي الناس فيه أصبح أحسن مما كان رأيهم فيه من قبل الخلافة حيث يقول "وجائز جدا أن يبدأ عمر خلافته وهذا رأى المسلمين فيه، وأن يختمها آخر الأمر ورأيهم فيه على اختلاف، إذ الحكم يخلق العداوات، ويفتق أسباب التباعد في الظنون والآراء، ويفتن صاحبه حتى يتبدل من حيث يريد ولا يريد. فشهادة أخرى من شهادات الواقع والبداهة أن عمر قد فارق الدنيا والمختلفون فيه ينقصون، والمتفقون على حمده يزيدون، ثم هم يزيدون في حمدهم إياه وثنائهم عليه".<sup>٣٢١</sup> فبعدهما أورد العقاد أقوال الصحابة وثنائهم في

<sup>٣١٩</sup> نفس المرجع، ص ١٥١

<sup>٣٢٠</sup> نفس المرجع، ص ١٥١

<sup>٣٢١</sup> نفس المرجع، ص ١٥٣

عمر يقول "ولم يقل فيه قائل راض ولا ساخط إلا ثناء كهذا الثناء، بعد خلافة طويلة لو خرج منها بنصف الثناء لأربى على الأمل في إنصاف بني الإنسان.<sup>٢٢٢</sup> وفي قوله هذا يعبر العقاد لو نال أحد نصف الثناء ما حصل عمر رضي الله عنه من ثناء رعيته لكان هذا فوق ما كان يأمل بني آدم من الثناء.

ومن كل هذا يتجلى أن العقاد قد تميز من غيرهم لأنه صور بيعته مغلقا لكل باب الفتنة وعبر هذا في جملة وجيزة رائعة بقوله "بوع عمر بالخلافة فبطل الخلاف إلا ما لا خطر فيه" ولم يكتف العقاد بذكر تحذير الناس شدة عمر رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه لما رشحه للخلافة بل صور شدته صفة تؤهله للخلافة في عين أبي بكر رضي الله عنه.

### صفات عمر بن الخطاب

قد تحدث العقاد عن صفات عمر رضي الله عنه في تفصيل وبيان في جميع أبواب هذا الكتاب ومع ذلك جعل أحد أبوابه خاصا لتناولها بعنوان "صفاته" وكما بين كثيرا من صفاته في باب "مفتاح شخصيته". فلا يعلم الباحث كاتبها يفوق عباس محمود العقاد في تصوير صفاته وتحليلها وتمثيلها. وقد بين الكاتب في مقدمة هذا الكتاب أنه لم يقصد بكتابه هذا أن يكتب سيرة على منوالها القديم بل ركز على جانب الأخلاق وغيره حيث يقول "كتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ عصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسته لأطواره، دلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة."<sup>٢٢٣</sup>

وقد صور العقاد عدة صفات لعمر رضي الله عنه من الرحمة والغيرة والعدل والغيرة والشدة والزهد والحيوية والشجاعة والهيبة وأثبت كل واحد منها بأدلة كافية ويرى العقاد أن جميع صفاته في غايته لا وسط فيها حيث يقول "وكل صفة في عمر فهي صفة مستقصية لا وسط فيها: إذا آمن فذلك غاية الإيمان وإذا استقل

<sup>٢٢٢</sup> نفس المرجع، ص ١٥٣

<sup>٢٢٣</sup> نفس المرجع، ص ٥

فذلك غاية الاستقلال، وإذا أعجب فذلك غاية الإعجاب...<sup>٣٢٤</sup> ويلخص العقاد بعد كلامه عن صفاته ببيان، أن الصفات التي كانت بارزة في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه خمس وهو يقول " تلك صورة مجملة للصفات الخلقية الكبيرة، التي كانت غالبية على نفس عمر بن الخطاب، وهي العدل والرحمة والغيرة والفتنة والإيمان."<sup>٣٢٥</sup>

ويرى العقاد إذا تعددت الصفات في شخص واحد وقد تغلب صفة واحدة منها على شخصيته كلها ثم توصف بتلك الصفة الواحدة فحسب أما في شأن عمر رضي الله عنه فيرى العقاد هذه الصفات المذكورة الخمسة كلها بارزة على حد سواء. ويقدم العقاد أن كل واحد من هذه الصفات بارزة فيه حتى يختال كأنها لم توجد في غيره إلا نادرا حيث يقول " أن الصفة منها تتصل بعمر بن الخطاب، فتأخذ منه وتصطبغ بصبغته، حتى كأنها لم تعهد في غيره على شيعتها، وكثرة الموسومين بسماتها."<sup>٣٢٦</sup>

ويصور أن هذه الصفات جمعت فيه كما جمعت أجزاء الدواء فيها وسماه التركيبية وهو يقول " وأحرى بنا أن نقول «هذه التركيبية» ولا نقول هذا التركيب، لأن صفاته الكبيرة تتركب كما تتركب أجزاء الدواء، الذي ينفع لغرض واحد مفهوم، والذي ينقص جزء منه، فينقص نفعه كله، ويدخله التناقض والاختلاط."<sup>٣٢٧</sup> وأظهر العقاد عجبه من هذا التركيب ويبين هذه التركيبية في مثال حيث يقول "ما العدل مثلاً بغير الرحمة التي تمزجه بالإحسان؟ وما العدل والرحمة معا بغير الحماسة الروحية، والغيرة اليقظ التي تجعل كراهة المرء للظلم، كأنها كراهة الضرر الذي يصيبه في نفسه واله، وتجعل حبه للعدل كأنه حب هواه، وقبله مناه؟ وما العدل والرحمة والغيرة جميعا بغير فطنة تضع الأمور في مواضعها، وتعصم المرء أن ينخدع لمن لا يستحق، ويغفل عنمن يستحق وهو حسن القصد غير متهم الضمير؟ وما العدل والرحمة والغيرة

<sup>٣٢٤</sup> نفس المرجع، ص ١٣١

<sup>٣٢٥</sup> نفس المرجع، ص ٤٧

<sup>٣٢٦</sup> نفس المرجع، ص ٤٧

<sup>٣٢٧</sup> نفس المرجع، ص ٤٧

والفطنة بغير الإيمان الذي هو الرقيب الأعلى فوق كل رقيب، والوازع الأخير بعد كل وازع، والمرجع الذي لا مرجع بعده لطالب الإنصاف؟ كل صفة تنتم لجميع الصفات . وكل الصفات روافد لغرض واحد، يتم به نصر الحق وخذلان الباطل.<sup>٣٢٨</sup>

ومن كل هذا يتجلى أن العقاد نظر إلى صفات عمر رضي الله عنه من ناحية جديدة. وأنه نظر إليها نظر محلل وعالم بالنفس. وقد قام العقاد بتحليل صفاته وأخرج منها ما يخفى لكثير من العامة والخاصة. ويبحث الباحث بعض هذه الصفات فيما يلي:

### مفتاح شخصيته

تناول العقاد في الباب " مفاتيح شخصيته " ما لم يتناول غيره من الكتاب في تصوير صفات عمر رضي الله عنه وهو يزعم أن مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح بها أبوابها، وشبه مفتاح الشخصية بمفتاح البيت فإذا لا يوجد مفتاح البيت يكون كالحصن المغلق وهو يراه كذلك الشخصية لا يمكن الدخول إلى البيت إلا بها وهو يقول " وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض، فيكون البيت كالحصن المغلق، ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة، التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عالجتها بها فلا حصن ولا إغلاق!<sup>٣٢٩</sup> وبين العقاد أن مفتاح البيت ليس صفة للبيت وكذلك مفتاح الشخصية ليس صفة لها ولكن هي إنما أداة تنفذ بنا إلى الداخل. ويزعم العقاد أن مفاتيح البيت يشبه بمفتاح الشخصية في شكله وغرضه وهو يقول " قرب بيت شامخ عليه باب مكين يعالجه مفتاح صغير ورب بيت ضئيل عليه باب مزعزع يحار فيه كل مفتاح.... قرب شخصية عظيمة سهلة المفتاح، ورب شخصية هزيلة ومفتاحها خفى أو عسير.<sup>٣٣٠</sup>

<sup>٣٢٨</sup> نفس المرجع، ص ٤٨

<sup>٣٢٩</sup> نفس المرجع، ص ٥١

<sup>٣٣٠</sup> نفس المرجع، ص ٥١

فيثبت العقاد أن مفتاحاً لشخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو طبيعة الجندي وهو يقول "والذي نراه أن «طبيعة الجندي» في صفاتها المثلى، هي أصدق مفتاحاً للشخصية العمرية» في جملة ما يؤثر أو يروى عن هذا الرجل العظيم.<sup>٣٣١</sup> ومما يعتقد العقاد من أهم خصائص لطبيعة الجندي هي: الشجاعة الحزم والصرامة والخشونة والغيرة على الشرف والنجدة والنخوة والنظام والطاعة وتقدير الواجب والإيمان بالحق وحب الإنجاز في حدود التبعات أو المسؤوليات. فأثبت العقاد أن هذه الصفات كلها واضحة في عمر رضي الله عنه وهو يقول " هذه الخصائص واضحة كلها في عمر، وعمر وحده واضح بين أمثاله في جميع هذه الخصائص، حتى ليخيل إلينا لو أن أحداً مولعاً بتأليف الألغاز سأل عن عظيم في الإسلام والعروبة، منصف بجميع هذه الخصائص على أصدق وأبرز حالاتها لكان الجواب الواحد عن سؤاله اسم عمر بن الخطاب.<sup>٣٣٢</sup>"

ويعتقد الكاتب أن هذه الصفات كانت واضحة في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأتى لكل واحد منها أدلة تدعم مقوله. فبدأ بتحليل ميزة النظام ويرى العقاد أن النظام ليس خلقاً أصيلاً في الجندي القوي ولكنه يكتسب هذه الميزة بعد ممارسة وتجربة طويلة، أما فهو يرى أن ميزة النظام كانت خلقاً أصيلاً في نفس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويحتج العقاد لإثبات هذا بتسوية عمر رضي الله عنه الصفوف في الصلاة وجمعه الناس تحت قارئ واحد في صلاتهم في رمضان ونهيه الاتكاء للولادة في مجالس الحكم وحمله الدرّة لينبه المخالفين في الطريق وغيرها. ويلخص الكاتب من كل هذا " ذلك هو السمة العسكري بالفطرة التي فطر عليها، وليس هو السمّة العسكري بالأسوة والتعليم.<sup>٣٣٣</sup>"

ويشبه العقاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجندي في طعامه ومشيه وكلامه ورياضته ويذكر أن عمر رضي الله عنه كان لا يحب ما لا يحسن بالجندي في بدنه وطعامه وكان يقول " إياكم والبطننة....." وكذلك يعد الكاتب أمره بالجد

<sup>٣٣١</sup> نفس المرجع، ص ٥٢

<sup>٣٣٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٣

<sup>٣٣٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٤

وحذره من المهازل ومشيه الشديد الوطاء على الأرض وصوته الجوهري وأمره الناس وحثه إياهم على تعلم الرماية والسباحة والفيروسية والمصارعة دليلا لجنديته. ويرى أن عمر رضي الله عنه التزم بالنظام في جميع أعمال الدولة وهو يقول " وهناك عمر بن الخطاب الذي لم يدبر قط تدييرا كبيرا أو صغيرا في شؤون الدولة إلا بنظام لا يختل، أو على أساس لا يحدد".<sup>٣٣٤</sup>

ويفسر العقاد إشارة عمر رضي الله عنه إلى نزع ثنثي سهيل من عمرو رضي الله عنه لما أُسر في بدر كأنه جندي في التصريف السريع الذي يصل إلى غرضه في أقرب طريق. ثم يسوق العقاد كلامه إلى ميزة أخرى للجندي وهو القضاء العسكري. وقد بين العقاد مراده من القضاء العسكري هو " الذي يمنع الضرر من أقرب الطرق، ويحمي الأكثرين بالحد من حقوق الأقلين".<sup>٣٣٥</sup> ويثبت العقاد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه نصيب كبير من القضاء العسكري وأتى بأدلة تشير إليه منها: قصة الشاب الجميل نصر بن حجاج، أرسله عمر رضي الله عنه إلى البصرة خوفا من الفتنة ليعمل تجارة تشغله عن النساء وتشغل النساء عنه. ومع أن العقاد يرى في هذه القضية ظلم على نصر بن حجاج أتي بهذه القصة لكي يثبت ميزة القضاء العسكري في عمر رضي الله عنه وهو يقول " ولسنا نقول إن هذا الحكم في قضية نصر بن حجاج، كان حكما لزاما لا محيص عنه، ولا مأخذ عليه، ولكننا نقول إنه حكم فيه تلك الصبغة العمرية؛ التي سميناها «مفتاح شخصيته»، وهي المقصودة بما نكتبه الآن".<sup>٣٣٦</sup>

ويبين العقاد أن طبيعة الجندي كانت ظاهرة وباطنة في نفس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت هذه الميزة لا تخلو من أي أعماله حتى كأنه عضو من أعضائه. يسوق عقاد كلامه بعد إلى أن الجندي هو مطيع ومطاع في نفس الوقت. وأتى العقاد بقصة أبي سفيان ليثبت أنه كان عمر رضي الله عنه مطاعا. فالقصة هي أن المخزومي شكأ أبا سفيان رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه لما علم عمر رضي الله عنه صدق الشكوى أمره أن يضع الحجر حيث أمر لما تردد أبو سفيان رضي الله عنه ضربه بالدرية فأطاع. ويعتقد العقاد أنه لو كان غير عمر رضي الله عنه ما أطاع أبو سفيان رضي الله عنه.

<sup>٣٣٤</sup> نفس المرجع، ص ٥٤

<sup>٣٣٥</sup> نفس المرجع، ص ٥٥

<sup>٣٣٦</sup> نفس المرجع، ص ٥٥



وكذلك يصور العقاد أن إطاعة عمر رضي الله عنه وللنبي من خصائصه الجندية حيث مثل النبي صلى الله عليه وسلم بالقائد الأعلى والقرآن بالقانون المطاع وهو يقول " وإذا استوفينا المثل إلى أقصاه، فالقانون المطاع هو القرآن، والقائد الأعلى هو النبي الذي يوحى إليه " <sup>٣٣٧</sup> ولا يرى العقاد أن مراجعة القائد تعارض الإطاعة ولكن ما يعارضه التمرد وكان لا يراجع إلا إذ اتسع المجال للمراجعة وكان يعلم موقع الطاعة والمراجعة والشورى وصور هذا من خصائص عمر رضي الله عنه الجندية وهو يقول " وإذا استوفينا المثل إلى أقصاه، فالقانون المطاع هو القرآن، والقائد الأعلى هو النبي الذي يوحى إليه وهو على أقوم مثال للجندي الفاضل العليم بموقع الطاعة، وموقع المراجعة، وموقع المشاورة، وهو مع التبعة حيث لا مهرب منها، وتلك هي الجندية في صورتها المثلى. " <sup>٣٣٨</sup>

وقد صور العقاد أن فكاهته أيضا كان ضربا من ضروب فكاهة الجندي وهو يقول " فكانت تعجبه الفكاهة التي توحى إليه معنى مضحكا فيه صراحة وخشونة ومنها الفكاهة التي ما نسميها اليوم بالنكات العملية. " <sup>٣٣٩</sup> وأتى العقاد بأمثال كثيرة لهذه الفكاهة منها: عند بيعة النساء قال رسول الله لهن: ولا تقتلن أولادكن فأجبت هند: قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كبارا فضحك، ومنها: لما سأله أسلم وابنه أيهما أحسن غناء قال مثلكما كمثل حماري العبادي. <sup>٣٤٠</sup>

ويذهب العقاد إلى أن طبيعة الجندي كانت متكاملة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأصولها وفروعها ويرى العقاد كان أثرها في أمور الدولة كبيرا وهو يقول " كأثرها في تحريم رق العربي، وفي إخلاء الجزيرة من غير العرب، فهي شنشنة الغيور على الحوزة، الموكل بحماية الدمار. " <sup>٣٤١</sup> وقد صور العقاد أن إيمان عمر رضي الله عنه كان إيمان الجندي في حالتها المثلى وهو يقول " وفي سلوك دينه كان موقفه بين يدي الله أبدا كموقف الجندي الذي

<sup>٣٣٧</sup> نفس المرجع، ص ٥٧

<sup>٣٣٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٨

<sup>٣٣٩</sup> نفس المرجع، ص ٥٩

<sup>٣٤٠</sup> نفس المرجع، ص ٦٠

<sup>٣٤١</sup> نفس المرجع، ص ٦٢

يعلم أنه لا يلقي مولاه إلا ليؤدي الحساب الكثير والقليل.. فإن تجئه المسامحة جاءت عفوا، لا ينسيه تحضير الحساب.<sup>٣٤٢</sup>

وقد أثبت العقاد أن العدل لا يناقض طبيعة الجند وأن طبيعة الجند لا تقتضي العدوان في كل محارب وهو يرى العدل يحتاج إلى الشجاعة والشرف وهما ميزتان من طبيعة الجندي المطبوع. وإنما يلوم العقاد من يحارب لهوى نفسه وعد فيهم تيمور ونابليون ولا يرى لوما على من يحارب حسب القانون وهو يقول "أما المحارب الذي تقيده إرادة غير إرادته، ويحكمه قانون غير هواه، فالحرب من مثله واجب، يلام على تركه وليست بجريم يلام على اقترافها."<sup>٣٤٣</sup>

يتجلى من كل هذا أن العقاد قد تناول هذا الموضوع في طريق ما لم يتناوله أحد من قبله. ويرى الباحث إنه قد نجح في سعيه ليثبت طبيعة الجندي مفتاحا لشخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فلأن الكاتب أتى لكل مقولاته وزعمه حجة تقنع القارئ. وكذلك نجح العقاد في استخراج ما يخفى للكثير من الناس لأنه ما أتى بخبر أو أثر جديد من التاريخ ولكنه نظر إلى كل هذه الأحداث من ناحية جديدة وأخرج منها أخبارا جديدة. ويختتم العقاد كلامه عن مفتاح شخصيته "لا نعلم مفتاحا أصدق منه لخلائق هذا الجندي العادل الكريم."<sup>٣٤٤</sup>

### رحمته وحبه

قد تحدث العقاد عن رحمة عمر رضي الله عنه وحبه مفصلا ولم يعتن كتاب السيرة من قبله بتناول رحمته وحبه إلا قليلا. وقد قصد العقاد من كلامه عن رحمته دفع توهم من يظن أن قلبه كان خاليا من الرحمة. وكذلك يرد من اتهم أن عدله كان خاليا من الرحمة. ويثبت العقاد أن عمر رضي الله عنه ما كان يقيم الحد إلا أنه وجدته

<sup>٣٤٢</sup> نفس المرجع، ص ٦٢

<sup>٣٤٣</sup> نفس المرجع، ص ٦٤

<sup>٣٤٤</sup> نفس المرجع، ص ٦٤

ضرورة وهو يقول فلم يكن عمر رضي الله عنه بالسريع المتعطش إلى إقامة الحد، ولم يعرف عنه قط أنه أقام حدا وله مندوحة عنه.<sup>٣٤٥</sup> وأتى العقاد أخبارا تثبت رأيه هذا منها: رخصة عمر رضي الله عنه في عدد جلدة لشارب الخمر لما رأى شدة الضرب.

ومعروف عند كل من يعرف التاريخ أن عمر رضي الله عنه كان مثالا للعدل وأما فلا يرى كتاب السيرة إلا قليلا من تحدث عن رحمة عمر رضي الله عنه كما تحدث العقاد عنها ويرى أن الرحمة وازنت فيه العدل أحسن موازنة وهو يقول "وكانت هذه الفضيلة من فضائله الأصيلة فيه لا تكاد تفارقه في عامة حياته، حتى ليصح أن تضرب الأمثال برحمته كما كانت تضرب الأمثال بعدله، وأن يقرن معه لقب العادل بلقب الرحيم"<sup>346</sup>.

ويؤول العقاد أن أحد أسباب إسلامه كانت الرحمة في قلبه وهو يعتقد إن للرحمة شأنًا في التقريب بينه وبين الإسلام غير قليل وأتى الكاتب برحمته ورقته للمسلمين وللدین الإسلامي في جاهليته واحتج برحمته لامرأتين أم عبد الله بنت حنتمة وأخته فاطمة. ويصور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان يعرف بمن يرحم وبمن لا يرحم وكان يناضل إذا لقي أنداده من الأبطال وأقرانه من الرجال فلا يرى موضع هنا لرحمة "وكان الرحمة لم تخلق في النفس، ولم يسمع لها في حنايا الصدور صوت. أما المرأة الشاكية أو المرأة الدامية فما حاجته إلى قوته ونضاله؟ وما أخرى تلك القوة أن تهدأ في مكائنها كأنها الخليقة الخفية التي لم تخلق، وليس لها صوت مسموع!"<sup>٣٤٧</sup>

ويتحدث العقاد عن اشتقاق كلمة رحمة خلال كلامه عن رحمته فساق كلامه إلى حبه لآله وأهله وإنه يرى لا تنحصر رحمة عمر رضي الله عنه لذوي قرياه أو للمرأة، فالمرأة قد ترحم لضعفها بل كان عمر رضي الله عنه يحب أباه مع شدته عليه فكان يطيل الحديث عنه ويقسم باسمه إلى أن نهى المسلمون عنه. وقد صور العقاد حبه لأخيه في أسلوب رائع وهو يقول "وإن قليلا من الإخوة من أحب أخا كما أحب عمر زيدا أخاه، فما سمع اسمه بعد

<sup>٣٤٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٧

<sup>346</sup> نفس المرجع، ص ٢٩

<sup>٣٤٧</sup> نفس المرجع، ص ٣٠

مقتله إلا سألت عبرته، وما هبت الصبا، كما قال، إلا وجد نسيم زيد وتمضي نظم الشعر لينظمه في رثائه.<sup>٣٤٨</sup> وأتى العقاد ليكشف حبه إليه بقوله لمتمم بن نويرة " لو كنت أقدر على أن أقول الشعر لبكيتك كما بكيت أخاك." ويعتقد العقاد أن كل ناظر لا يرى هذه الرحمة لعمر عليه السلام إلا بعد إمعان النظر وهو يقول بعد إتيان بكاء عمر عليه السلام لأخيه " هذا هو عمر من وراء النقاب."<sup>٣٤٩</sup> ويصور العقاد أن عمر عليه السلام كان يحب أصدقاءه حبا خالصا وهو يقول " إن قليلا من الأصدقاء من أخلص لأصدقائه وعشرائه كما أخلص عمر لكل صديق وعشير."<sup>٣٥٠</sup>

ولم ينس العقاد أن يصور حب عمر عليه السلام ورحمته لمن ليس لهم قرابة به ويرى الرحمة الأصلية في الطباع تسوي في المودة ولا تفرق بين الأقارب وغيرهم. وقد أثبت رأيه هذا بحوادث عدة من حياة عمر عليه السلام مثل قصة امرة فطمت طفلها دون سن الفطام لحصول على نصيبه من بيت المال، وقصته مع الأم والصبية الجياع المشهورة.

ويرد العقاد منطقيا شبهة من يقول إن دافع مثل هذه الرحمة هو الشعور بالمسؤولية وليست الرحمة، وهو يرى لأن العهد بالشعور بالتبعية يأتي من الرحمة وليست الرحمة تأتي من الشعور بالتبعية وكذلك رد من يقول إن رحمة عمر عليه السلام من إطاعة الدين وهيكل يردهم أن النفس التي تطيع للأمر السماوي فيها خير. وأثبت العقاد أن عمر بن الخطاب عليه السلام كان يرحم غير المسلمين أيضا واحتج له بأن عمر عليه السلام قد رفع عن شيخ يهودي فقير ضريبة فأعطاه من ماله. وأتى العقاد بأخبار تكشف أنه كان يرحم غير المسلمين منها: أن عمر عليه السلام فرض لكل مولود لقيط مائة درهم كما فرض لكل مولود من زوجين هي رحمة قد يحجبها النفور من الزنا. ويرى العقاد أن رحمة عمر عليه السلام كانت غير مقصورة في الإنسان فحسب بل كان يرحم البهائم أيضا وهو احتج بقوله " لو مات جدي بطف الفرات لخشيت أن يحاسب به الله عمر وإنه لشعور بالتبعية عظيم لكنه كما

<sup>٣٤٨</sup> نفس المرجع، ص ١٩٤

<sup>٣٤٩</sup> نفس المرجع، ص ٣١

<sup>٣٥٠</sup> نفس المرجع، ص ١٩٤

أسلفنا لن ينبت في قلب أمير عليه تبعة، إلا أن يكون به منبت للرحمة عظيم.<sup>٣٥١</sup> وهو يلخص أن الرحمة كانت خلقا أصيلا فيه وهو يقول "فهنّا علّمته الرحمة كيف يطيع الدين، ولن يطيع الدين هكذا إلا رحيم".

٣٥٢

يذهب العقاد إلى أن كثيرا من الكتاب يصور عمر رضي الله عنه هو رجل قاس وقلبه خالي من الرحمة فسعى من كل هذا أن يثبت أن نصيب الرحمة كانت أوفى في نفس عمر رضي الله عنه لكن لا يراها إلا ببحث وتأمل طويل وهو يقول "رحمة عمر رحمة في غلاف، وليست بالرحمة المكشوفة لكل ناظر ولا تمس، ولا تطول بالناس عشرته حتى ينقشع هذا الغلاف عن قلب وديع مفعم بالعطف والمودة، مفتح الجوانب لكل عاطفة كريمة ولو لم تكن من ولي حميم.<sup>٣٥٣</sup>"

## عدله

هو صفة من صفات عمر رضي الله عنه التي تناولها كثير من الكتاب الإسلامية وغيرهم. وكذلك العقاد تناولها مفصلا بل لم يتناولها تناولاً سطحياً كما صنع كثير من الكتاب وإنه تعمق وعالج الأوجه العدة لعدله. وبين العقاد أن عمر رضي الله عنه لم يكن عادلاً بسبب واحد بل لجملة أسباب وإنه يشبه الأسباب بروافد تستمد عناصرها وهو يقول "روافد شتي: بعضها من وراثته أهله، وبعضها من تكوين شخصه، وبعضها من عبر أيامه، وبعضها من تعليم دينه، وكلها بعد ذلك تمضي في اتجاه قويم إلى غاية واحدة لا تنم على افتراق."<sup>٣٥٤</sup> ثم بين العقاد كل واحد من هذه الأسباب مفصلاً باستشهاد أخبار من حياته. وإن آل عمر رضي الله عنه بنى عدي ذاقوا طعم الظلم من أقربائهم بني عبد الشمس ولكن قام العقاد بتصوير هذه القصة سبباً من الأسباب لتمكين العدل فيه.

<sup>٣٥١</sup> نفس المرجع، ص ٣٣

<sup>٣٥٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٣

<sup>٣٥٣</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠

<sup>٣٥٤</sup> نفس المرجع، ص ٢١

ويبين العقاد مع أن عمر رضي الله عنه كان عادلا لأسباب عدة، يبدو كأنه عادل لسبب واحد لقلّة التناقض فيه. وكان عمر رضي الله عنه لا يتخذ معايير مزدوجة إذا اتفقت القضايا وهو يقول "فكان عمر في جميع أحكامه عادلا على وتيرة واحدة لا تفاوت بينها، فلو تفرقت بين يديه مائة قضية في أعوام متباعدات لكنت على ثقة أن تتفق الأحكام كلما اتفقت القضايا.... كأنه يطاعها بطابع واحد لا يتغير."<sup>٣٥٥</sup>

ويدفع العقاد من يتوهم أن عدله كان خاليا من الرحمة وأنه أثبت أن رحمته فيه وازنت العدل فيه أحسن موازنة بإتيان قصص في حكمه وعدله. وقد سبق الكلام عنه عند تحليل صفته الرحمة مفصلا. وإنه قام بتحليل قصة ابنه عبد الرحمن الذي شرب الخمر وقام عمر رضي الله عنه بحده حتى مات، هذه قصة مشهورة لكن لم يصح هذه القصة وهو يقول "فالذي يجوز لنا أن نقبله من هذه القصة هو الجانب الذي يستقيم مع خلائق عمر ولا يناقضها، وهو العدل الصحيح في محاسبة ولده على ذنبه ولا زيادة، ولا سيما الزيادة التي لا تستقيم مع عدله ورحمته على السواء. وكلا العدل والرحمة من صفاته الأصيلة فيه."<sup>٣٥٦</sup>

ويتناول العقاد شبهات المستشرقين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان محدود الفكر أي أنه يأخذ الأمور بمقياس واحد واحتجوا بتسويته كبير الصحابة وعامة الناس في القضاء وهو يقول " للمستشرقين المتحدثين بالتفكير المحدود أن يأخذوا عليه تشهيره بكبار الولاة، ويثبتوا به كل ما قالوه عن ذلك التفكير المحدود الذي ينسى الفوارق، ولا يحتال على المحظورات."<sup>٣٥٧</sup>

وقد أثبت العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يحتاج إلى مDAHنة الساسة لمؤوسهم كما يروونه اليوم وهو يقول " أكان عمر يحتاج إلى لباقة الساسة الدهاة وحيلتهم في جميع الأزمان؟ نعم لو عجز عن سنة المساوات. - الساسة يخافون من شر عاقبة المساوات؟ ولكن أين عمر من هذا، إنه كان قادرا على العواقب، وكان شديد الألم

<sup>٣٥٥</sup> نفس المرجع، ص ٢٢

<sup>٣٥٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٨

<sup>٣٥٧</sup> نفس المرجع، ص ٤١

من ظلم الظالم شديد الخجل من خذلان المظلوم وكان وثيق الإيمان بنثر الله في الحق وفي النجدة، فلماذا ينحرف؟ ولماذا يتصرف ويدور؟ وكان قويا لماذا يهاب قويا جار على الضعيف." ٣٥٨

وقد وصف العقاد عمر رضي الله عنه قسطاسا لا يعرف الجور وكان يفضل بعض الصحابة على بعضهم حسب فضلهم ولا حسب رغبته أو شهوته ومن مثاله أنه ولي قيادة الجيش لأبي عبيد بن مسعود مع إرشاد الصحبة أن يولي رجلا غيره من المهاجرين أو الأنصار، أبي عمر رضي الله عنه أن يولي غيره لأنه كان أول من أجاب إلى دعوة الخليفة وهو يلخص كلامه هذا بقوله "على هذا الوجه وحده نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين أكابر الصحابة والتابعين كأنه قسطاس لا يعرف الجور لو شاء." ٣٥٩

ويرى العقاد أن العدل كان خلقا مفطورا في نفس عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويرى العقاد أنه كان لا يرضى لفساد حتى في الجاهلية وهو يقول "وكان عمر مستقيم الطبع مفطورا على الإنصاف، فلم يكن لرجل مثله ليستريح إلى فساد الجاهلية أو يخفى عليه فسادها، إذا نبه إليه وهدى إلى ما هو خير منه." ٣٦٠ وعد عدله من أسباب إسلامه ويذكر أن رجلا كعمر رضي الله عنه كان لا يقدر ألا يبغض أن يحارب أناسا لا يحاربونه، فدخل الإسلام.

ويمثل العقاد العدل فيه كأنه عضو من أعضائه التي لا ينفصل عنه في أي وقت وجعل كلام عمر رضي الله عنه بنفسه دليلا لتسويته بينه وبين الناس في حدود الله حيث يقول "ورسخت في طويته خليقة المساواة في العدل حتى أصبحت كالوظيفة العضوية التي لا تنفصل منه، وحتى أصبح يتجرد من نفسه أو يجرد منها شخصا آخر غريبا عنه لا فرق بينه وبين أحد في حدود الله وحرماته، ... فكان يتكلم عن نفسه كما يتكلم عن غريب: بخ بخ يا عمر! ويحك يا بن الخطاب؟ ماذا يقول عمرا وهذا فلان بن عمر وليس بفلان ولدي.. إلى أشباه هذه التجريدات التي تنبعث فيه من خليقة التسوية بين جميع الناس، وبينهم وبين نفسه قبل جميع الناس.

٣٦١"

٣٥٨ نفس المرجع، ص ٤١

٣٥٩ نفس المرجع، ص ١٥٥

٣٦٠ نفس المرجع، ص ٧٢

٣٦١ نفس المرجع، ص ٢٠٤

ومن طبيعة الناس أن يكرهوا مَنْ قضى عليه أو عاقبه ولو كان القضاء أو العقاب عادلا فيصور العقاد أن من تعرض لقضاء عمر رضي الله عنه العادل أيضا كانوا يحبونه ولم يشعروا من عقابه إلا أن تلك الشريعة الإسلامية منفذة أمامهم وهو يقول "فالذين كانوا يذوقون إنصاف عمر كانوا يستمرثونه ويحبونه، والذين كانوا يذوقون عقابه كانوا لا يشعرون بعمر بن الخطاب معاقبا لهم صوالا عليهم، وإنما يشعرون بميزان الشريعة منصوبا على رءوسهم، ويتساوون فيه وعمر وأبناء عمر، لو وجب العقاب فلا موضع هنا للضعيفة ولا لاصطدام النفس بالنفس واحتدام الحزاة بالحزاة."<sup>٣٦٢</sup> ويثبت العقاد أن حبهم إليه كان يتجلى من أقوالهم وأن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وحطيئة كانوا ممن ذاق عدله وعقابه ولكن نراهم يثنون عليه بعد وفاته.

وقد صور العقاد أن عمر كان يقضى بالعدل لمن يحبه ويكرهه وكان لا تمنع كراهته لشخص أن يعامله بالعدل مع أنه قادر على أن يؤاخذه وهو يقول "كان يحب ويكره ولكن لا ينفك حبه ولا يضرك كرهه قال يوما لقاتل أخيه: والله: لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح! فقال له أبو مريم: أتمنعي لذلك حقا؟ قال: لا. قال: لا ضيرا إنما يأسى على الحب النساء. إسلامه يحيي الرجل من خليفة يبغضه وهو قادر عليه."<sup>٣٦٣</sup>

ومن كل هذا يظهر أن العقاد أخرج ما يخفى على كثير من الناس وقد جعل صفة "العدل" صفة مفطورا فيه وصور أنه كان عادلا في الجاهلية وأثبت أنه كان عادلا لأسباب عدة وبين كل واحد منها مفصلا وشبه العقاد أن عدله فيه كأنه عضو من أعضائه. واستنبط من ثناء الصحابة له بعد موته أنهم كانوا يحبونه مع أنهم ذاقوا عقاب عدله.

<sup>٣٦٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٥

<sup>٣٦٣</sup> نفس المرجع، ص ٨٦



## هيبتة

وقد عبر العقاد عن هيبتة في أسلوب رائع ولم يتحدث العقاد عنها كثيرا ولكن ما قاله فيها كافية أن تفهم هيبتة وإنه تناولها في باب "رجل ممتاز" حيث صور العقاد أنه كان مهيبا حتى في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم هو موضع الهيبة وهو يقول "كان مهيبا رائع المحضر حتى في حضرة النبي الذين تتطامن عنده الجباه، وأولها جبهة عمر."<sup>٣٦٤</sup> وأتى لإثبات هذا بأدلة تدعم مهابة عمر رضي الله عنه عند حضرة النبي صلى الله عليه وسلم. منها: قصة جارية تضرب بالدف عند النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل عليهما عمر رضي الله عنه وجمت وأخفت دفها، وقصة عائشة وسودة رضي الله عنهما لطخت وجههما عند النبي صلى الله عليه وسلم لعبا ولما دخل عليهما عمر رضي الله عنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يغسل وجههما. وقصة عائشة رضي الله عنها كانت لا تزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلا في حجاب كامل بعد ما دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وبين العقاد أن هيبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت من قوة نفسه أكثر من قوة بدنه وهو يقول "وقد كان الذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهلون! وتلك علامة على أن هيبتة كانت قوة نفس تملأ الأفئدة قبل أن تملأ الأنظار، ..... فهي هيبة من قوة النفس قبل أن تكون من قوة الجسد، إلا أنه مع هذا كان في منظر الجسد رائعا يهول من يراه، ولا يذهب الخوف منه إلا الثقة بعدله وتقواه."<sup>٣٦٥</sup> وأثبت العقاد هذا بقصة عمر رضي الله عنه مع حجام، وهي تنح عمر رضي الله عنه والحجام يقص له شعره، فذهل الحجام عن نفسه، وكاد أن يغشى عليه، فأمر له بأربعين درهما. ومنها أنه كان يمشي يوما مع الصحابة، إذ بدا له فالتفت، فلم يبق منهم أحد إلا وحبل ركبتيه ساقط.

## شدته وقسوته

إن شدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه هي معروف عند كل من يقرأ حياته. وقد تحدث العقاد عن شدته غير قليل في كثير من أبواب الكتاب. واتخذ العقاد هذا الموضوع من زاوية جديدة. وقد حاول العقاد أن يزِيل توهم من

<sup>٣٦٤</sup> نفس المرجع، ص ١٣

<sup>٣٦٥</sup> نفس المرجع، ص ١٤

يظن أن شدته تمنعه أن يكون رحيمًا وهو يثبت هذا من الجانب الأخلاقي وهو يقول " فليست الخشونة نقيضًا للرحمة وليست النعمومة نقيضًا للقسوة، وليس الذي لا يستثرون ولا يستغضبون بأرحم الناس فقد يكون الرجل ناعما وهو منطو على العنف والبغضاء، ويكون الرجل خشنا وهو أعطف خلق الله على الضعفاء".<sup>٣٦٦</sup>

وأثبت العقاد أنه كان لا يشتد إلا لأجل الواجب وهو يقول ما سمعنا رواية واحدة عن شدته إلا لمحنا الواجب قائما إلى جانبها. ولم يأتي العقاد لرأيه هذا دليلا يدعمه لعله ترك أنه معروف عند الجميع كان عمر ﷺ لا يشتد إلا للواجب. ويبحث العقاد عن بعض أسباب شدته. ومنها أنه كان يشتد خوفا أن تغلب رحمته الجمّة التي في قلبه عليه وهو يقول " يعتصم الإنسان بالحصن المنيع كلما خشي أن تقتحم عليه طريقه، ولولا خوف الرحمة أن تغلبه لما كانت به حاجة إلى ذلك الحصن المنيع، ولا سيما حين يكون حصنا بالغا في المنعة".<sup>٣٦٧</sup> وقد أثبت العقاد هذا مرة ثانية بعد ذكر أنه كان يبكي ويحزن شديدا لذكر أخيه وهو يقول " هذا هو عمر من وراء النقاب. فما كان أحوجه رضي الله عنه إلى ذلك النقاب، وما أقل الغرابة من الشدة الهيبة، حين ينفذ الناظر إلى ما وراءه فيرى مكان الحاجة إليه"<sup>٣٦٨</sup>. ومن أسباب شدته: يرى الكاتب أنه يشتد لما رأى من حوله يستند إلى اللين ولا يستند إلى الشدة وقد بين هذا عند بيان موقفه مع النبي ﷺ وأبي بكر ﷺ وهو يقول " بل هذا الذي نقوله هو الذي قاله أبو بكر رضي الله عنه في شدة عمر ولينه، فكلما تحدثوا إليه بغلظته قال: إنما يشتد لأنه يراني لينا، ولا غلظة على الضعفاء فيه".<sup>٣٦٩</sup> وكذلك صور أن شدته لم تكن خطرا للناس بل كانت صيانة للناس " كان مسلما شديدا في إسلامه فلم تكن شدته في إسلامه خطر على الناس، بل كانت ضمانا لهم ألا يخافه مسلم ولا ذمي ولا مشرك في غير حدود الكتاب والسنة".<sup>٣٧٠</sup>

<sup>٣٦٦</sup> نفس المرجع، ص ٢٨

<sup>٣٦٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٨

<sup>٣٦٨</sup> نفس المرجع، ص ٣١

<sup>٣٦٩</sup> نفس المرجع، ص ١٣٧

<sup>٣٧٠</sup> نفس المرجع، ص 85

## غيرته

وقد تحدث العقاد عن غيرته غير قليل وأنه تناولها في باب " صفاته " وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه معروف بصفته الغيرة وقد وصفه العقاد ما لم يصفه أحد وهو يعبر في أسلوب رائع وهو يقول " فأحرار العرب كلهم غيور، ولكنك إذا قلت "العربي الغيور" كأنك سميت عمر بن الخطاب."<sup>٣٧١</sup> وقد عبر بعبارته هذه أن سمة الغيرة فيه كانت تفوق غيرة غيره من العرب. وأتى بالأخبار ما يكشف غيرته منها: قصة عدم دخول النبي صلى الله عليه وسلم قصر عمر رضي الله عنه في الجنة لغيرته وقصة النساء عند النبي صلى الله عليه وسلم اللاتي ابتدرن الحجاب لما دخل عمر رضي الله عنه عليهن. وقد عد العقاد إشارة عمر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجاب أمهات المسلمين دليلاً من أدلة غيرته. وأثبت أن غيرته لم يكن تقصر على المرأة فقط بل كانت غيرته على المرأة جزءاً من غيرته الواسعة وهو يقول "على أن الغيرة في ابن الخطاب لم تكن غيرة مقصورة على المرأة وكفي. بل غيرته على المرأة لم تكن إلا شطراً من غيرته على كل حرم وحوزة. فمن هذه الغيرة العامة سياسته العربية التي كانت تصد الغرباء عن جزيرة العرب كأنها الحرم الموصد، ومنها غيرته على الزي العربي والشمائل العربية، ومنها غيرته على العقيدة وحدود الشريعة، وغيرته على كل حق يحميه غيور."<sup>٣٧٢</sup> ويذهب العقاد إلى وجود تعدد أحاديث غيرته كما تعددت أحاديث عدله ورحمته.

وقد وصف العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان لا يغار إلا لأجل الحق وما كانت غيرته لنفع نفسه وهو يقول "فهو يغار على حق، أو يغار على عرض، أو يغار على دين، أو يغار على صديق أو صاحب حرمة، ولا يغار من هذا أو ذاك لنعمة أصابها هذا أو ذاك. إنما كان يغار على شيء يحميه، ويعلم من نفسه القدرة على حمايته، فهي غيرة من يريد الحماية لغيره، ولا يريد انتزاع الخير لنفسه أو غلبة إنسان على حظه."<sup>٣٧٣</sup>

<sup>٣٧١</sup> نفس المرجع، ص ٣٤

<sup>٣٧٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٥

<sup>٣٧٣</sup> نفس المرجع، ص ٣٥

## شجاعته

وقد تناول العقاد شجاعته في أسلوب جذاب ومن المعلوم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ممن أوتي نصيب وافر من الشجاعة. وقد صور العقاد أن شجاعته كانت نادرة من شجاعات الشجاع. ولإن الشجاع أخوف ما يخاف عليه أن يتهم بالجبن وأما عمر رضي الله عنه فكان لا يخاف حتى هذه التهمة وهو يقول " وكانت شجاعته في دينه أندر الشجاعات في النفوس الأدمية؛ لأنها الشجاعة التي يواجه بها تهمة الجبن، وهو أرذل من الموت عند الرجل الشجاع. فإن كثيرا من الناس ليعدلون عن الصواب الذي يظهرهم بمظهر الخوف؛ ليقال إنهم شجعان، وإنهم في عدولهم عنه لمن الجبناء المستعبدین للثناء، ولم يكن عمر يعدل عن صواب فهمه، ولو قيل في شجاعته ما قيل، وتلك أشجع الشجاعات"<sup>374</sup>. وأثبت العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يخاف تهمة المتهمين باستشهاد قصة رجوعه من أرض الشام وفيها طاعون. وعزم عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجوعه منها مع أن أبا عبيدة رضي الله عنه قال له أفرارا من قدر الله.

وقد صور العقاد أن هجرة عمر رضي الله عنه إلى المدينة من أحسن مثال لشجاعته ويرى العقاد أن رجلا شجاعا كعمر رضي الله عنه لن يستطيع أن يصبر على الظلم فهاجر معلنا متحديا الظالمين وهو يقول "إن الموت لأهون من الصبر على هذا التحدي المرذول، وهذا الصلف القبيح، وما الشجاعة إن لم تكن هي الجرأة على الموت كلما وجب الاجترار عليه؟ وأي امرئ أولى بالجرأة من الشجاع الذي يعلم أن الحق بين يديه؟ ألسنا على الحق إن حيننا وإن متنا؟ فعلى الحق إذن فلنمت، ولا نعيش على الباطن، فالباطل كرهه والجبن كرهه.<sup>375</sup>

## زهده وبساطة عيشه

يعرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه إمام الزاهدين بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه عند المسلمين. وقد اتخذ العقاد هذه الصفة في طريقة جديدة ويرى العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينهى من يُميت الدين ويهزأ به كلما

<sup>374</sup> نفس المرجع، ص ٧٧-٧٨

<sup>375</sup> نفس المرجع، ص ٧٦

أوجب ما لا يجب على المسلمين ومع ذلك كان يعيش حياة الزاهدين. ويعتقد العقاد أنه كان يحاسب نفسه حسابين حسابا للمسلم وحسابا للخليفة. وهو يقول " ويأبى أن يذوق في المجاعة مطعما لا يسع جميع المسلمين، إنما هو الخليفة الذي يحاسب نفسه قبل أن تحاسبه الرعية، هو الذي توخاه خليفة النبي في معيشتة ومعيشة أهله، مما يشبه تقشف النساك. " <sup>٣٧٦</sup> وقد أزال العقاد توهم من يظن أنه كان يحرم الحلال والطيبات حيث يقول " وعلى هذا كله كان أعلم الناس أن الطيبات حلال، وأن النهي عن الحلال تنطع في الدين يأباه الإسلام". وقد ذكر العقاد لما كتب إليه أبو عبيد لأنه لا يريد الإقامة بأنطاكية لطيبها وخيرها مخافة أن يخلد الجند في الراحة أجاب: إن الله لم يحرم الطيبات على المتقين.... إلخ. ويرى العقاد أنه كان عمر يفرق بين طعامه وطعام المسلمين وقد أورد مقوله لحذيفة لما دعاء عمر حذيفة إلى خبز غليظ وزيت. فقال حذيفة أمنتني أن أكل الخبز واللحم قال عمر " إنما دعوتك على طعامي، فأما ذاك طعام المسلمين." وأخرج العقاد من قوله هذا " فللمسلمين حل ما شاءوا من الطعام، أما الرجل الذي ينفق من بيت المال فله ما يكفيه. والحرص كل الحرص عليه - وهو في عدل عمر وحرصه وجلده - أن يأخذ منه ما لا حاجة به إليه. " <sup>٣٧٧</sup> ويبحث العقاد عن سبب زهده فيثبت أن سبب زهده لم يكن بسبب قلة حيويته بل زهد فيه بأنه كان يقدر أن يمسك هواه وهو يقول: " ولم يكن عمر معرضا عن زخارف الحياة لهزال كان في دواعي الحياة فيه. وإنما كان معرضا عنها لأنه كان قادرا على الإعراض غير ممتحن به في إرادة ولا عزيمة. " <sup>٣٧٨</sup> ويعتقد العقاد أن حيويته غير الحيوية الجسدية الموكلة بالسرور والمتاع، ولكن حيويته حيوية في إحقاق الحق وزجر الطغيان وإقامة العدل والشريعة بين الناس. ويكفي لفهم زهده ما أورده العقاد من قول معاوية: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا وترده وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها. <sup>٣٧٩</sup>

<sup>٣٧٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٩

<sup>٣٧٧</sup> نفس المرجع، ص ٨٠

<sup>٣٧٨</sup> نفس المرجع، ص ٤٦

<sup>٣٧٩</sup> نفس المرجع، ص ١٥٣

ويعبر العقاد عن تواضع عمر رضي الله عنه تعبيراً رائعاً ويعتقد الكاتب أنه كان لا يتواضع بسبب شعور صغرتة أو لجهله عن مقداره، بل كان متواضعا حقا فيزيل توهم متوهم وهو يقول "ومن الخطأ أن يتوهم المتوهم أن عمر كان يتصاغر لأنه يشعر بصغره، ويتواضع لأنه يشعر بضعة فيه. إن الصغير لا حاجة به إلى تصاغر لأنه صغير، ... وإنما كان يتصاغر لأنه يشعر بعظمته ويكبح ما يخامر من اعتداد بنفسه" <sup>٣٨٠</sup>

وقد أثبت العقاد أنه قد يتصاغر إذا رأى بواعث الكبرياء وقد أبى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يركب البرذون وهو يدخل الشام دخول المنتصر وكان يقول لمن اعتر بما يرون فيه من بسطة السلطان وعلو الكلمة: لقد رأيتني في هذه الشعاب أرى إبل الخطاب .... إلخ. وقد صور العقاد تواضعه في جملة وجيزة ذات معاني عميقة وهي قول عمر رضي الله عنه وقول ابنه: "ما حمل على ما قلت يا أمير المؤمنين، قال: إن أباك أعجبتة نفسه فأحب أن يضعها" ويستدعي العقاد انتباه القاري إلى هذا القول وهو يقول "انظر هنا إلى كلمة "أمير المؤمنين" يقولها الابن، ثم انظر إلى كلمة "أباك" يقولها أمير المؤمنين." <sup>٣٨١</sup> ويصور الكاتب في هذه العبارة الوجيزة ابنا يعرف شأن أبيه وينادي أباه أمير المؤمنين وكذلك يصور أبا يابى كلمة "أمير المؤمنين" ويتخذ كلمة "أباك" ليكبح كل بواعث الكبرياء والاعتداد بالنفس.

وقد صور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يقترض من بيت المال إلا إذا لم يجد من يقرضه، وكان يقترض ليتجر ويعيش بربحه وكان يلجأ إلى التجارة لقلّة رزقه الذي فرضه لنفسه وكان يتعسر أن يقضي الدين ما أخذه من بيت المال ولما حضر موته وصى ابنه بسداد الدين وجعله ضميّنا له. وقد صور العقاد وفاته على الدين أعظم شرفاً أن توفي بلا الدين وهو يقول "ولأن يموت عمر مدينا موفى الدين لهو أعظم الشرفين.. وأيسر من ذلك شرفاً أن يموت غنياً بغير دين." <sup>٣٨٢</sup>

<sup>٣٨٠</sup> نفس المرجع، ص ١٢٥

<sup>٣٨١</sup> نفس المرجع، ص ١٢٦

<sup>٣٨٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٣

ومن كل هذا يتجلى أن العقاد وقد قام بتصوير صفات عمر رضي الله عنه في وجه لم يتناوله أحد من كتاب سيرة عمر رضي الله عنه. ولم يأت المؤلف بروايات لم يكن يعرفها كتاب السيرة بل أخرج من الروايات المعروفة والقصص المشهورة ما لا يعلمه كثير إلا بعد إشارة الكاتب وتحليله في أسلوب مبین رائع حتى يثبت ذلك في قلب القراء. ووصف العقاد عن صفاته مجملة في الباب الأخير وهو يقول "رجل عظيم من معدن العبقرية والامتياز بين الناس على اختلاف العصور وإذا هو صاحب مناقب وأخلاق من أنبل الصفات الإنسانية توافقت فيه على قوة نادرة وتلاقت فيه إلى غاية واحدة وهي إحقاق الحق وإدحاض الباطل ووسمته جميعا بسمه الجندية المجاهدة."<sup>٣٨٣</sup>

### عزل خالد بن الوليد

قضية عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه قضية سببت لنقاش طويل بين كتاب السيرة الإسلامية. وقد تحدث عنها العقاد في صورة مفصلة. وقد حاول العقاد أن يزيل شبهات من يحسب أن عمر رضي الله عنه قد عزله ظلما أو ولغير سبب يستوجب عزله. ويعتقد العقاد أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما حكم في قضية خالد رضي الله عنه ما كان يحكمه في غيره من الولاة وهو يقول "لأن الذي صنعه فيها عمر هو الذي كان منتظرا أن يصنعه سواء كان القائد خالدا أو كان رجلا غيره وهذا الذي ينفي الشذوذ والحيث وينفي المعاملة الخاصة التي تكيل الناس بكيلتين وتزن لهم بميزانين، وتنظر إليهم بنظرتين مختلفتين.<sup>٣٨٤</sup> وقد أورد العقاد بعض الشبهات فرد لكل واحد منها ردا كافيا. ويرى العقاد أن عمر رضي الله عنه أخذ بخالد بن الوليد رضي الله عنه لأسباب عدة ويرجع بعضها إلى أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها إلى أيام أبي بكر رضي الله عنه وبعضها إلى أيامه ويرى ما حدث في أيام عمر رضي الله عنه وحده كافي لعزله. ثم ذكر هذه الأسباب مفصلا. ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه لم يعزله فجأة على إثر توليته الخلافة وأثبت هذا تاريخيا وهو يقول "والأرجح أن في تاريخ القصة خطأ وقع فيه بعض المؤرخين ومنهم ابن الأثير، فكتب عن عزل خالد

<sup>٣٨٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٤

<sup>٣٨٤</sup> نفس المرجع، ص ١٥٥

في أخبار السنة الثالثة عشرة للهجرة ثم ذكره في أخبار السنة السابعة عشرة، وأورد في الموضوعين أقوالاً متشابهات.<sup>٣٨٥</sup>

وقد صور العقاد لو صنع عمر رضي الله عنه في هذه القضية غير ما صنعه قد يكون ذلك غريباً لسنة عمر رضي الله عنه فيجوز أن يقال إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرق بين الكبير والصغير حيث يقول العقاد "ولو أنه صنع غير هذا الصنيع لقد كان ذلك هو الشذوذ المستغرب الذي لا يقع من عمر بن الخطاب خاصة، لأنه لا يحابي ولا يفرق في المعاملة ولا يبالي غضب قائد كبير ولا وال قدير وليس يحب أن يقال إن رجلاً من الرجال لا غنى عنه لدولة الإسلام."<sup>٣٨٦</sup> وقد صور العقاد موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه لخالد بن الوليد رضي الله عنه من السياسة العليا. وقد خاف عمر رضي الله عنه إذا لم يسو بين خالد رضي الله عنه وغيره من رعيته أن يقول الناس لا غنى لدولة الإسلام عنه حيث قدم عمر رضي الله عنه أمانة الدولة على أمانة شخص وهو يقول "ولا ننسى الأمانة الكبرى التي هي أكبر من أمانة الرفق بالولادة والعدل في محاسبة العمال، ونعني بها أمانة الدين والدولة أو ما نسميه نحن في أيامنا «بالسياسة العليا»."<sup>٣٨٧</sup>

وقد حاول العقاد أن يزيل شبهات أبناء هذا العصر في عزل خالد رضي الله عنه ذلك أن الولاية "في عصرنا مركز يستحقه موظف الحكومة بعد مرانة طويلة ودراسة خاصة واستعداد مقصور على طائفة من المرشحين.... فإذا قيل إن والياً عزل في عصرنا فكأننا نقول إن تاجراً صودر ماله أو زارعاً حيل بينه وبين زرع أرضه."<sup>٣٨٨</sup> ويرى العقاد أن الولاية في عصر عمر رضي الله عنه لم تكن كذلك "إنما كانت تجربة ارتجالية يتساوى فيها جميع الصالحين من المسلمين، لا تنقطع بها صناعة العمر ولا سابقة الاستعداد والمرانة فيصح أن يعزل الوالي لأسباب أهون من تلك الأسباب التي قدمناها في الرجاحة والإقناع."<sup>٣٨٩</sup>

<sup>٣٨٥</sup> نفس المرجع، ص ١٥٩

<sup>٣٨٦</sup> نفس المرجع، ص ١٦٠

<sup>٣٨٧</sup> نفس المرجع، ص ١٦٠

<sup>٣٨٨</sup> نفس المرجع، ص ١٦٣

<sup>٣٨٩</sup> نفس المرجع، ص ١٦٣



وقد أثبت العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يبغض خالد رضي الله عنه ولا يكرهه ولكن وقد حكم عمر رضي الله عنه فيه بما وجب عنده وإنما كان قصد عمر رضي الله عنه من هذا كله مصلحة الدولة ولا كراهة النفوس ولا المنافسة واحتج بكتابته إلى الأمصار يصون لخالد بن وليد رضي الله عنه اسمه أنه لم يعزله للعجز والخيانة ويجعل العزل لفضيلة فيه لا لقصور منه. واستشهد العقاد لحب عمر رضي الله عنه إلى خالد رضي الله عنه أنه حزن شديدا لوفاته وصور ندم عمر رضي الله عنه لما علم أنه لم يعقب من الدنيا إلا فرسه وغلّامه وسلاحه قال: رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظنناه به.

لخص العقاد هذه القضية بقوله "وما نخال أن تقديرنا خالدًا وتقديرنا عمر يدعونا أن ننصب الميزان في هذه القضية من جديد فقصارى ما نغنم من ذلك أن خالدًا كان جديرًا بالبقاء في منصبه لم يكن مستحقًا لعزله، وليس ذلك بشيء إلى جانب ما رأيناه حين ننصب الميزان في القضية كما نصبه عمر فقد أَرانا عدلا أعظم من بطولة الأبطال فإن أخطأ البطل فالعدل أعظم منه أن يتعقبه كأنه أضعف الضعفاء ذلك الميزان أشرف لعمر وخالد وللإسلام من كل ميزان" <sup>٣٩٠</sup>

## وفاته

قد بين العقاد وفاته رضي الله عنه في الباب الأخير كما كتب معظم كتاب السيرة. ويعتقد العقاد أن قتله ليس يدل على أنه كان كريها عند الناس بل كان بسبب مؤامرة المغلوبين في المعارك الإسلامية وهو يقول "وقد شاء القدر أن يموت قتلا فلا يكون قتله دليلا على بغضاء شخصية أو خلة ترتبط بحياته الفردية. وإنما البغضاء الوطنية هي علة التآمر على قتله بين المغلوبين في ميدان القتال على التحقيق." <sup>٣٩١</sup> وقد يرى الكاتب أن شكاية أبي لؤلؤ مولاة المغيرة إلى عمر رضي الله عنه لما فرض عليه مولاة خراج درهمين يوميا سببا ظاهرا لقتله. ولم يكتف العقاد بهذا السبب كما صنعه كثير من الكتاب بل شرح لأن أبا لؤلؤة لم يكن إلا منفذا للكيد الذي اتفق عليه كثيرون وهو يقول "فعمر إنما ذهب - رحمه الله - شهيد مؤامرة من أعداء الدولة الإسلامية لا

<sup>٣٩٠</sup> نفس المرجع، ص ١٦٦

<sup>٣٩١</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٥

شك فيها، وما كانت قصة الخراج إلا الستار الذي يتوارى به المتآمرون بالمدينة والبلاد الأخرى مخافة القصاص الذي يحيق بهم إذا جهروا بما دبروه أو جهروا بالعلة التي من أجلها تربصوا بذلك التدبير.<sup>٣٩٢</sup> وقد أثبت العقاد هذه المؤامرة برواية عبد الرحمن بن أبي بكر أنه رأى أبا لؤلؤة مع الهرمزان وجفينه قبل مقتله ومعه خنجر الذي قتله به عمر رضي الله عنه وكذلك أثبت هذه المؤامرة بقصة يهودي أنذر عمر رضي الله عنه بموته قبل ثلاثة أيام بزعمه أنه وجد في التوراة، ويعتقد العقاد أن هذا اليهودي قد شاركهم في هذه المؤامرة. وقد صور العقاد أن مقتله أيضا كان أكبر أجزاء سيرته وحريرا أن يضاف إلى سيرته. ويرى العقاد أن صفات عمر رضي الله عنه تتجلى في مقتله كما تتجلى في أصح أحواله مثل صفة الشجاعة وتقديم الواجب والإيثار على النفس ومحاسبة الضمير وسداد التدبير حيث يقول العقاد "وكان - رضي الله عنه - ينظر إلى الحياة كأنها رسالة تؤدي ما استطيع أداؤها ثم لا معنى إذا فرع من رسالتها أو حيل بيته وبين أداؤها."<sup>٣٩٣</sup>

ثم صور قصة مقتله في صورة موجزة، بدأ بدعائه في الحج وبين قصة طعنه في الصلاة ووصياه والاستخلاف وختم بتضمين دينه وإرسال ابنه لاستئذان عائشة رضي الله عنها ليدفنه عند رسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه.

## سياسته وحكمه

تحدث العقاد عن سياسة عمر رضي الله عنه في صورة مفصلة إنه جعل بابا خاصا "عمر والدولة الإسلامية" في ذكر أخباره السياسية وقد حاول العقاد فيه أن يزيل شكوكا قد تخامر قلوب أبناء هذا العصر كما صنع في معظم أبواب كتابه. وقد علل وبرر العقاد بعض أعماله السياسية من منظور السياسة الحديثة. وقد صور العقاد أن عمر رضي الله عنه هو مؤسس لدولة الإسلام مع أن الدولة الإسلامية تأسست في خلافة أبي بكر رضي الله عنه لأن العقاد لا يرتبط بين التأسيس وولاية الخليفة في دولة كالدولة الإسلامية إذ الشأن الأول فيها للعقيدة ليس للغزوات والفتوحات حيث يقول "وعمر كان على نحو من الأنحاء مؤسسا لدولة الإسلام قبل ولايته

<sup>٣٩٢</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٧

<sup>٣٩٣</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٧

الخلافة بسنين، بل كان مؤسساً لها منذ أسلم، فجهر بدعوة الإسلام وأذانه، وأعزها بهيبته وعنفوانه وكان مؤسساً لها يوم بسط يده إلى أبي بكر فبايعه بالخلافة، ..... وكان مؤسساً لها يوم أشار على أبي بكر بجمع القرآن الكريم وهو في الدولة الإسلامية دستور الدساتير، ودعامة الدعائم،... هذا إلى أن أبا بكر رضي الله عنه أسس، "٣٩٤"

ويبين العقاد أن قدرته على التأسيس آية الآيات في ذلك العصر من البداوة البادية، وهي قدرة تعجبنا لو شهدناها من ملك تربي على الملك فأولى أن تعجبنا من رجل البادية الذي يقدم على أمر جديد لم تعنه فيه السوابق. ولم يهتد فيه إلا بما اختار هو أن يهتدي إليه. وقد صور إشارته إلى وضع النحو وجمع القرآن عمليين لا يفتن إليهما إلا من طبع على سليقة التأسيس ويرى أن أثره في تدعيم الدولة الأدبية كان كأثره في تدعيم دولة بالغزوات والفتوح. ويرى المؤلف قلما يوجد نظام في الدولة الإسلامية ما لم يكن لعمر رضي الله عنه أولية فيه، وإنه أنشأ الحكومة ورتب الدواوين ونظم أصول القضاء ووصل أجزاء الدولة بالبريد، حيث يقول العقاد موجزا " فأوجز ما يقال فيه أنه وضع دستورا لكل شيء وتركه قائما على أساس لمن شاء أن يبنى عليه." ٣٩٥

وقد صور العقاد عمر رضي الله عنه أميرا يشارك الناس ومرؤوسهم في أمور ولاهم عليها وكان يطلب من القادة في الحرب أن يصف له كأنه يراه لكي يشارك معهم في الرأي وكان يؤمن أن مسؤوليته كانت لا تنتهي بمجرد توليته إياهم القيادة يقول العقاد " فكان دستوره في الحرب أن يضع الأسس العامة، ويعهد في تنفيذها إلى ذي خبرة وأمانة، ولا يتخلى عن تبعته العظمي في مصائر الحرب كل التخلي، اعتمادا على القائد وحده، إذ ليس القائد بالمسئول الوحيد عن المصير." ٣٩٦

٣٩٤ نفس المرجع، ص ٨٧

٣٩٥ نفس المرجع، ص ٨٨

٣٩٦ نفس المرجع، ص ٩٢

ويرى العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يغل يد القائد فيما يجب أن يطلق فيه مثل الأعمال الفورية في ميدان الحرب وفك الحصار وانظار الهجوم. فجعل عمر رضي الله عنه من حق القائد أن يختار ما يليق للأحوال ولا عليه أن يرجع الأمر إلى الخليفة. وأثبت العقاد هذا برسالته إلى أبي عبيدة رضي الله عنه لما استشاره فكتب إليه: أنت الشاهد وأنا الغائب والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.. إلخ، يقول العقاد وهو يلخص سياسته "وهذه هي السياسة التي جرى عليها عمر... وهو بعد هذا لا يعفى نفسه من التبعة، ولا يعفى القائد من واجب الرجوع إليه في المواقف الحاسمة، ولا يغل يده فيما هو أدري به وأقدر على الاختيار فيه ولا ينسى أن يعينه إذا خالفه في الرأي ليتفق الرأيان المختلفان. فإذا رجع القائد إلى الحصار الذي أزمع أن يتركه رجع إليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل ليستمد من الإيمان بالصواب قوة لن يشعر بها وهو يؤدي عملاً يخالف الصواب في تقديره".<sup>٣٩٧</sup>

وبين العقاد أن عمر رضي الله عنه كان يراقب عماله مراقبة دقيقة ولكن قبل أن يضع دستوراً للولاية وضع دستوراً لنفسه وكان أسبقهم في الخير ومن دستوره أنه كان لا يبيح لنفسه من بيت المال إلا ما يقيم أوده ويرى عمر رضي الله عنه نفسه في منزلة الولي من مال اليتيم. ومع ذلك كان أسخى في تقديره الأرزاق للولاية والعمال. ومن دستور الولاية عنده أن الولاية تميز بالواجب والكفاءة لا بالوجاهة والاستعلاء وكان يكره أن يخضع الرعية لوالها وأثبت العقاد هذا بإتيان وصاياه ونصائحه للولاية ويعتقد الكاتب أن عمر رضي الله عنه أعطى رعيته ما لم يكن يحلم الناس في هذه العصور وهو يقول "ذهب في إرضاء الرعية مذهبا لم يحلم به الغلاة من المطالبين بحقوق الشعوب في هذه العصور".<sup>٣٩٨</sup>

وقد تحدث العقاد عن سياسته في عزل الولاية وحكى قصة عزل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وقد عزله عمر رضي الله عنه بسبب شكوى عليه احتياطا من الفتنة ويرى العقاد ربما تقع الخديعة على الولاية بعناية عمر رضي الله عنه بشكايات

<sup>٣٩٧</sup> نفس المرجع، ص ٩٢

<sup>٣٩٨</sup> نفس المرجع، ص ٩٧

الرعية وأما فكان عمر رضي الله عنه يرى أن خديعة الأمة والجيش أعظم من خديعة القائد وهو يقول " ولا يبعد أن يقع الغبن على بعض الولاة الكفاة من فرط العناية بشكايات الرعية، إلا أن عمر في حزمه وعدله لم يكن يفوته مفرق الصواب بين الأمرين، فغبن وال أو قائد أهون من غبن أمة أو جيش.. ومن أقواله في ذلك: «هان شيء أصلح به قوما أن أبدلهم أميرا مكان أمير." <sup>٣٩٩</sup>

ويرى العقاد كان عمر رضي الله عنه يعزل الولاة لغير سبب الشكاية أو القصاص وكان القصد منه سلامة الدولة وقد عرف العقاد سياسته هذه بالسياسة العليا وهو يقول " بل ربما جرى منه حكم العزل على الولاة الكفاة لغير سبب من أسباب الشكاية أو القصاص، وإنما هو سبب من الأسباب التي ترجع إلى سلامة الدولة، أو ما نسميه في العصور الحديثة بالسياسة العليا. وهذه أسباب لا يصح أن يغفل عنها ولاة الأمر في أيام تأسيس الدول. <sup>٤٠٠</sup> ويرى الكاتب أن سياسته كانت تدعو إلى تغليب رغبات الرعية على مكانة والولة وهو عصمة الدولة من أولئك الولاة أن يبقى في الولاة مدة طويلة.

وبين العقاد أنه كان يعزلهم لأسباب تتعلق بالشؤون المالية وكان يحصي أموالهم قبل ولايته ثم يحاسبهم على ما زاد بعد ولايتهم وكان يذكرهم "إنما بعثناكم ولاة لا تجارا" لأجل هذا وضع الرقباء والعيون حتى كان الولاة يخشى من أقرب الناس إليهم وكذلك اتخذ موسم الحج للمحاسبة وللمراجعة ولجمع الآراء من أنحاء الدولة الإسلامية وصفه الكاتب "بجمعية عمومية".

وقد عبر العقاد عن عجبه من أعمال عمر رضي الله عنه وما صنعه في ذلك العصر من أعمال الدولة مثل تجنيد الجيوش لشتى الميادين، واختيار القواد وإرشاداته لقواد الجيش وإنشاء المدن والعمائر في مواضعها وغيرها وهو يقول " فكل عمل من هذه الأعمال سهل على القراطيس، صعب عند تصويرنا إياه، وإحاطتنا بما يستدعيه من تدبير وإنجاز وخلق وهيبة، فكم بين المدينة وتلك الأطراف في زمن أسرع وسائله بعير سريع،

<sup>٣٩٩</sup> نفس المرجع، ص ٩٨

<sup>٤٠٠</sup> نفس المرجع، ص ٩٨

وكم عمل عمر لملاحقة كل جيش يسير، وكل بلد يفتح، وكل أمة تحكم، وكل عارض يطرأ على غير رقبة ولا سابقة خبرة.<sup>٤٠١</sup>

وقد أتى العقاد ببعض سياسته في الذميين التي توهم أنه قد حرم بعض الحريات لهم وقد برر العقاد كل هذا من منظور سياسة الدولة الحديثة ويرى العقاد أنها لم تكن تعارض حكمة الدين والدنيا وهو يقول " وإذا أحصيت له في سيرته الطويلة أوامر وخطا تحرم الذميين بعض الحريات، أو بعض الحقوق، فكن على يقين أنه قد صدر في ذلك جميعه عن حكمة توجهها سياسة الدولة، وقرها العقل والعرف، كما يقرها الدين والكتاب، ولم يصدر فيه قط عن حيف مقصود، أو عن رغبة في حرمان الذميين حرية يستحقونها."<sup>٤٠٢</sup> ومنها نهييه زي المسلمين لذميين وعلل أنه منعهم زي المسلمين حذرا من الكيد والتجسس خاصة يومئذ كان المسلمون جميعا من جزء الجند ومن الطبيعي أن تمنع الدولة الآخرين من زي جيشها وكذلك نهى استعمال أهل الكتاب عمالا لأن عمر رضي الله عنه يرى أنهم كانوا يستحلون الرشا. وعلل العقاد أن عمر رضي الله عنه منع الأجانب من الوظائف وهو يقول "وما من أمة في عهدنا تبيع الوظائف العامة إلا بقيود وفروق متفق عليها: أولها تحريمها على الأجانب ما لم في استخدامها من منفعة عامة."<sup>٤٠٣</sup>

وتحدث العقاد عن أسباب إخراج الذميين من الجزيرة ويرى العقاد أن خطة عمر رضي الله عنه في إجلائهم راجع إلى أمرين، الأول: الجزيرة حرم الإسلام ولا أمان على حرم يسكنه أناس فيهم من يغدر بأهله والثاني: أن عمر رضي الله عنه سوى بين حرمي الإسلام والنصرانية حفظ حرم النصرانية بيت المقدس ومنع المسلمين أن يسكنه معهم من لا يقبلونه كما حفظ حرم الإسلام.

وكذلك تحدث العقاد عن سياسته في فتوح البلدان وقد صور أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما كان يشتهي الفتوحات إلا إذا احتاجت الأحوال إليها وما كان عمر رضي الله عنه رجلا من يلتمس المجد في الفتوحات ويعتقد الكاتب

<sup>٤٠١</sup> نفس المرجع، ص ١٠٨

<sup>٤٠٢</sup> نفس المرجع، ص ٨٣

<sup>٤٠٣</sup> نفس المرجع، ص ٨٣

أن مذهب عمر رضي الله عنه فيه كان مذهب الأناة والتبصر ويعتقد أن همه الأكبر منها تأمين البلاد من هجوم أعدائهم ولولا الفرس والروم تنتظران لهجوم حدود الدولة الإسلامية لكان يسوس سياسة أخرى وهو يقول " فكان همه الأكبر تأمين الجزيرة العربية من أطرافها، وحماية الإسلام في عقر داره، ولولا أن الدول العظمى التي كانت تحدد بجزيرة العرب تحفزت للبطش بها ، وقمع دعوتها في مهدها؛ لكانت للدولة الإسلامية سياسة أخرى في مصالوة أولئك الأعداء." <sup>٤٠٤</sup> وقد احتج العقاد لأناته وتبصرته بما قال في الفرس " لو أن بيننا وبين فارس جبلا من لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم " وكذلك احتج لها بترده في فتح مصر ونهيه عمرو بن العاص رضي الله عنه الإيغال في المغرب بعد فتحها.

وقد تناول العقاد سياسته في العمارة من الجانب الفلسفي. وقد جعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدا في ارتفاع الدور وكان زاهدا في بناء القصور وكان قصده منه أن يحفظ الدولة الإسلامية من الترف والبذخ وخاف أن يحول بين الجند وبين الجهاد حياة الترف في القصور. وقد أثبت هذه من جانب الفلسفة واستشهد بقول أحد فلاسفة وهو يقول "إن الأمم في نهوضها تعبر طريقين مختلفين: طريق العقيدة وقوة النفس، وتلازمه بساطة الظواهر وعظمة الضمائر، وطريق الفخامة المادية والوفرة العددية، وفيه تنحل الضمائر، وتخلفها العظمة التي تقاس بالباع والذراع، وتقدر بالقنطار والدينار، وكانت قبل ذلك تقاس بما لا يحس من العزائم والأخلاق." <sup>٤٠٥</sup> ويرى الكاتب أن عمر رضي الله عنه قد اعتنى بالشورى عناية بالغة لأن أساس النظم الحكومية كلها نظام الشورى وكان يجمع عنده جماعة من الصحابة لكي يستشيرهم في شؤون الدولة الإسلامية وكان لا يقرر أمرا من أمور الدولة إلا بعد الاستماع إلى مذكراتهم ونصائحهم. وقد بين العقاد عن الشورى ومفهومها ووصف عمر رضي الله عنه واضعا لدستور الشورى في الدولة الإسلامية وهو يقول " ومن اليسير،

<sup>٤٠٤</sup> نفس المرجع، ص ١٠٩

<sup>٤٠٥</sup> نفس المرجع، ص ١٠٧

إذا تعقبنا مشاورات عمر، أن نعلم أنه هو واضع دستور الشوري في الدولة الإسلامية، وأن الشورى التي وضع دستورها هي الرأي الأصيل، يستعين بكل أصيل من الآراء.<sup>٤٠٦</sup>

وكان من سياسته لأهل الشورى أنه لم يكن يولهم ولاية الأعمال وقد علل العقاد سياسة تجيب أعضاء الثورة من الولاية في المنظور السياسة الحديثة وهو " فجنهم ولاية الأعمال قائلاً لمن راجعه في ذلك: "أكره أن أدنسهم بالعمل". فسبق الدساتير العصرية بحسن تقسيمه وصادق حدسه وتدييره. هم مجلس الأمة وليس لأحد من مجلس الأمة أن يلى عملاً من أعمال الحكومة فهما في الدولة وظيفتان لا تجتمعان"<sup>407</sup>. وكذلك كان من سياسته في اختيار الخليفة بعده ترك الأمر للشورى ويرى العقاد أن سبب تركه للشورى بأنه يرى حرصاً سيئاً وخلافاً لا يحسمه رأي واحد لذا أراد به يحسم النزاع وهو يقول "ولم يكن الفكك من التبعة هو الذي أوحى إليه أن ينفذ يديه ويلقى بالعبء على عواتق غيره. فعمر لا ينجو بنفسه ليقوع أحداً فيما يحاول النجاة منه، ولكنه قدر أن الرجل الذي تختاره كثرة المحكمين هو أولى أن ينعقد عليه الإجماع وينحسم بترجيحه النزاع فمن خرج عليه فهو باغي فتنة يتبعها الأقلون ويردعها الأكثرون."<sup>٤٠٨</sup>

وقد صور العقاد أن عمر رضي الله عنه قد بذل جهوده ليحفظ الإسلام من الملوكية لذلك كان يكره أن يستأثر بالخلافة أو الولاية عصبية دون غيرها مهما كانت منزلتها وكان يكره ذلك من بني هاشم كما كان يكره من غيرهم وما كانت كراهته خاصة علي بن هاشم وهو يقول "فكان يكره أن تستأثر بالأمر عصبية دون غيرها بالغة ما بلغت منزلتها ولم يكره ذلك من بيت بني هاشم دون سائر البيوت."<sup>٤٠٩</sup> وأراد العقاد بهذه العبارة أن يبين أن عمر رضي الله عنه ما كان يمنع الخلافة من بني هاشم كما يزعم بعض الفرق الإسلامية. واحتج العقاد لكراهة عمر رضي الله عنه الملوكية في الإسلام بأنه أبي أن يختار ابنه للخلافة وكذلك احتج بوصيته إلى علي بن أبي طالب

<sup>٤٠٦</sup> نفس المرجع، ص ٩٠

<sup>407</sup> نفس المرجع، ص ١٥٣

<sup>٤٠٨</sup> نفس المرجع، ص ١٤٣

<sup>٤٠٩</sup> نفس المرجع، ص ١٤٣



وعثمان بن عفان رضي الله عنهما ألا يحمل أهلها أي بني هاشم وبني معيط على رقاب المسلمين. وقد لخص الكاتب كلامه عن حكمه وسياسته واصفاً أن حكم عمر رضي الله عنه كان ينفع الغير قبل أن ينفع نفسه وهو يقول "فما اتخذ عمر من حكم بين الناس فهو الحكم الذي يجمل به ويحمد منه ولا ينتفع به قبل أن ينتفع سائر الناس هو الحكم الذي يعم ويعدل ولا يخص ويتحيز وهو الحكم الذي لو سئل فيه النبي سيد بني هاشم لأعاد فيه قوله: «عمر بن الخطاب معي حيث أحب، وأنا معه حيث يحب، والحق بعدي مع عمر ابن الخطاب حيث كان.»<sup>٤١٠</sup> ولما وصف العقاد النبي صلى الله عليه وسلم سيد بني هاشم نجح أن يرد المتهمين خلال الكلمات حتى كان سيدهم يشهد أن عمر رضي الله عنه كان لا يظلمهم ولا يمنع منهم حقوقهم.

---

<sup>٤١٠</sup> نفس المرجع، ص ١٤٥



## الباب الرابع: التصوير الفني في 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'

- الفصل الأول: مفهوم التصوير الفني
- الفصل الثاني: التصوير الفني في 'الفاروق عمر'
- الفصل الثالث: التصوير الفني في 'عبقرية عمر'
- الفصل الرابع: المقارنة بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'

## الفصل الأول

### مفهوم التصوير الفني

#### التصوير لغة

التصوير مصدر للفعل صَوَّرَ، ومن مادة (ص و ر) وقد ورد في لسان العرب " الصورة: إحدى ظواهر الطبيعة وهي إما حقيقة أو خيال.

الصورة: في الشكل، والجمع: صُورَ، وصُورَ، وصُورَ، وقد صوره فتصور.

وتصورت الشيء: وتوهمت صورته، فتصور لي، والتصاوير: التماثيل.

قال ابن الأثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته. وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا، أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا، أي: صفته.<sup>٤١١</sup>

#### الإدراك الحسي والتصوير

قبل الكلام عن التصوير الفني يحسن الفهم عن بعض المفاهيم التي تتعلق به. "وإذا شاهد الإنسان صورة ما، فإنه ينفعل بها ويدركها إدراكا حسيا والإدراك الحسي هو "الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس وهو يعني الفهم والتعقل بواسطة الحواس وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها بواسطة البصر."<sup>٤١٢</sup>

فينشأ التصور عن الإدراك الحسي الذي اختبره الإنسان بشكل مباشر أو غير مباشر في حياته من قبل. فتصور هو "استحضار صور المدركات الحسية عند غيابها عن الحواس من غير تصرف فيها بزيادة أو نقص

<sup>٤١١</sup> لسان العرب لابن منظور: ٤/٤٧٣.

<sup>٤١٢</sup> الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ط ١. عمان: دار الفاروق، ٢٠١٦. ص ٨٠.

أو تغيير أو تبديل. أو بمعنى آخر، هو مرورُ الفكر بالصور الطبيعية التي سبق أن شاهدها وانفعل بها، ثم اختزنها في مخيلته، مرورها يتصفحها.<sup>٤١٣</sup>

## التصور والتصوير

التصور هو جلب الإنسان إلى ذهنه ما أحس بواسطة الحواس، ولكن لا يزال التصور بلا وجود خارجي حتى يعبر الأديب عنه. فالتصور إذن هو: العلاقة بين الصورة والتصوير. وأداته الفكر فقط، وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة.

فالتصوير: "هو إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني."<sup>٤١٤</sup>

والتصور - الذي هو لحاظ الفكر في صور الحقائق - يختلف شدة وضعفا باختلاف الفكر الذي هو أداته فتصور الشاعر أو الكاتب عن جمال الفن في إحدى ظواهر الحياة إنما هو الإحاطة بدقائقها، واكتناه السر الذي كانت له. وفي كل صورة فنية طبيعية حقيقية، أو صناعية خيالية، جمال فني ظاهر أو خفي، فالفنان يمتاز عن غيره بتصور هذا الجمال الخفي، ثم لا يكون فنانا حتى يصوره تصويرا فنيا. فكل من أبدع في التصوير كان مبدعا في التصور.

## الصورة والاستعارة

إن مدلول الصورة له علاقة أدبية بالبلاغة فالصورة في الأدب "تستعمل (عادة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي وتطلق أحيانا مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات). واستعمال الصورة هذا الاستعمال، حديث في عالم الأدب والبلاغة والنقد، وكان العرب في السابق يستعملون لفظ (الاستعارة)

---

<sup>٤١٣</sup> نفس المرجع، ص ٨٠.

<sup>٤١٤</sup> نفس المرجع، ص ٨٠.

للدلالة على بعض ما تدل عليه كلمة (الصورة)، الآن ومدلولها يتسع، حيث يشمل مدلول بعض الألفاظ مثل (التشبيه) و(الكناية) و (المجاز)"<sup>٤١٥</sup>.

يقول الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي " إن مدلول الصورة يشمل العبارة أي: الأسلوب، والخيال الذي يكوّن العاطفة ويصورها. وإذا أردنا تعريفاً محدداً للصورة الأدبية قلنا: إنها تجسيم لمنظر حسي أو مشهد خيالي، يتخذ اللفظ أداة له. وهناك بالإضافة إلى التجسيم، اللون والظل، أو الإيحاء والإطار. وكلها عوامل لها قيمتها في تشكيل الصورة وتقويمها."<sup>٤١٦</sup>

وإن وظيفة الأديب الفنان هي أن " يستخدم التعبير لتصوير التجربة الشعرية التي مرت به، وللتأثير في شعور الآخرين بنقل هذه التجربة إلى نفوسهم، في صورة موحية، مثيرة لانفعالهم. ومن هنا يستمد التعبير قيمته في عالم النقد، فالتعبير ليس ألفاظاً وعبارات فقط. ولكنه هو العمل الأدبي الكامل باعتبار ما يصوره من التجارب الشعورية."<sup>٤١٧</sup>

فالتصوير إذن هو " التعبير بالصور عن التجارب الإنسانية التي مر بها الأديب بحيث ترتسم أمام القارئ الصورة التي أراد الأديب نقلها له، وتكون أداة التصوير، هي الألفاظ والعبارات لا الريشة والألوان ".  
فالتصوير في التعبير هو أرقى أنواع الفنون فالفن الرفيع هو الذي يُحيل الأفكار التجريدية الجامدة إلى صورة نابضة بالحياة، وفي أحدث مدارس النقد الأدبي، يعرف الأدب بأنه (التعبير بالصور). "والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلاً لا يخاطب الذهن وحده، وإنما يخاطب معه الحس والوجدان، ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس."<sup>٤١٨</sup>

---

<sup>٤١٥</sup> نفس المرجع، ٨١

<sup>٤١٦</sup> نفس المرجع، ٨١

<sup>٤١٧</sup> نفس المرجع، ٨١

<sup>٤١٨</sup> نفس المرجع، ٨٣

## تعريف الفن:

وقد جاء في لسان العرب تحت مادة "فنن" عن معنى الفن ما يلي:

"والرجل يفنن الكلام أي يُشقق في فن بعد فن وافتن الرجل في حديثه، وفي خطبته إذا جاء بالأفانين. وافتن أخذ في فنون من القول."

ويقال: فن فلان رأيه إذا لونه ولم يثبت على رأي واحد، والأفانين الأساليب: هي أجناس الكلام وطرقه، ورجل متفنن أي ذو فنون<sup>٤١٩</sup>

والفن كلمة مشتركة تدل على معان مختلفة فهناك الفنون الجميلة مثل الرسم والموسيقى والتصوير، وهناك فنون أخرى يتحدث عنها الناس، مثل فن الزراعة وفن التجارة وفن الحياكة وفن الطبخ وفن الإعلام، وغير ذلك من الفنون.

ومع اختلاف ما تضاف إليه فإن لها معنى أساسياً واحداً هو: الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن.<sup>٤٢٠</sup> وتدل كلمة الفن على معنيين عام وخاص

فهي بمعناها العام تشمل أي عمل أو مجموعة من الأعمال البشرية المنظمة تهدف إلى هدف معين، وتدل على شيء من البراعة والحذق والمهارة، وعلى هذا يأتي تحت هذا المعنى للكلمة جميع الحرف والصناعات والمهارات.

وهي بمعناها الخاص تدل على كل عمل راق يهدف إلى إبداع ما هو رائع من الصور والأصوات والحركات والأقوال. وهي على هذا المعنى لا تعنى إلا الأعمال البشرية المنظمة الراقية العلمية، فهي تتميز بابتكار

<sup>٤١٩</sup> لسان العرب: ٣٢٨/١٣.

<sup>٤٢٠</sup> الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ص ٨٤.

الأشياء التي تتصف بالجمال لما تحدثه في النفس من لذة وسرور. ومن هذه المبتكرات كل الأعمال والآثار الفنية التي تتمخض عنها قرائح الفنانين.<sup>٤٢١</sup>

وقد عرفه سيد قطب: "الفن إذن هو الحذق والمهارة. وهو في الأدب: جودة العرض، وحسن السبك، وجمال الأسلوب، وقوة العاطفة، ونشاط الخيال."<sup>٤٢٢</sup>

## التصوير الفني

وبمعرفة فرق بين العلم والأدب يتم فهم مفهوم التصوير الفني جيدا. فالعلم هو تعبير الكاتب عن فكرة ما، وأما الأدب فهو تعبير الكاتب عن عاطفة وفكرة إلى القراء. فالتصوير في الأدب: يشتمل كل صورة لفظية ذات دلالة فنية تتناول " التجربة الشعورية". فالتصوير ناشئ عن التجربة الشعورية وهي العنصر الذي يدفع إلى التصوير ولكنها بذاتها ليست هي التصوير لأنها ما دامت مضمرة في النفس، ولم تظهر في صورة لفظية معينة فهي إحساس أو انفعال لا يتحقق به وجود العمل الأدبي. فأداة تصوّر التجربة الشعورية هي الفكر فقط وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة. فالتصوير عن تجربة شعورية لا يقصد به مجرد التعبير بل رسم صورة لفظية موحية للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين.

مثلا: صراع الطبقات في المجتمع الحديث حقيقة اجتماعية يحلمها الرجل الاجتماعي ويذكر أسبابها بتتبع أطوارها فلا يكون هذا عملا أدبيا. ولكن قد يأتي أديب تنفعل نفسه بهذا الصراع ويعيش في غماره فيصوره تصويرا إنسانيا أو ينشئ حوله قصة أو تمثيلية يصور فيها هذا الصراع تصويرا حيا، ينفعل له من يقرؤه، ويعيش مع أشخاصه وحوادثه. فهنا يصبح هذا التصوير عملا أدبيا. فإذا أراد الأديب أن يعبر عن مشهد شهده أو تجربة شعورية اختبرها في حياته، فيعجز التعبير أو الأسلوب العادي واللغة العادية ليعبرها كما هي، فهنا يحتاج الأديب إلى التصوير الفني.

<sup>٤٢١</sup> نفس المرجع، ص ٨٥.

<sup>٤٢٢</sup> نفس المرجع، ص ٨٦.



عرف أحمد الشايب التصوير الفني وهو يقول " الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا إلى قرائه وسامعيه هي الصورة الفنية"<sup>٤٢٣</sup>. وقد بين أحمد شائب مقياس الصورة الأدبية" هو قدرتها على نقل الفكرة والعاطفة بأمانة ودقة. فالصورة العبارة الخارجية للحالة الداخلية – وهذا هو مقياسها الأصيل وكل ما نصفها به من جمال، وروعة، وقوة، مرجعه هذا التناسب بينها وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا خاليا من الجفوة والتعقيد، فيه روح الأديب وقلبه بحيث نقرأه كأننا نحادثه ونسمعه كأننا نعامله." <sup>٤٢٤</sup>

وقد عرفه صلاح عبد الفتاح الخالدي بأنه: " التصوير والتعبير بالصورة عن التجارب الشعورية التي مر بها الفنان وهو التعبير الذي يرسم للمعنى صورة أو ظلا لا يخاطب الذهن وحده بل يخاطب الحس والوجدان ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس." <sup>٤٢٥</sup>

وبالجملة التصوير الفني هو الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل تجاربه الشعورية إلى قرائه. وهو التعبير الذي يرسم للمعنى صورة، وهو لا يخاطب الذهن وحده بل يخاطب الحس والوجدان ويثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس.

ومعرفة المصطلحات القريبة في المعنى للتصوير الفني تجعله أكثر وضوحا وفهما ومنها: العمل الأدبي: على رغم من وجود كثير من التعريفات للعمل الأدبي اختار الباحث تعريف سيد قطب لقربه من تعريف التصوير الفني. وقد عرف العمل الأدبي " بالتعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية" <sup>٤٢٦</sup> وشرح سيد قطب نفسه أجزاء تعريفه هذا وهو يقول " تعبير في اللغة يشمل كل صورة لفظية ذات دلالة. فكلمة " تعبير" تصور لنا طبيعة العمل ونوعه. و" تجربة شعورية" تبين لنا مادته موضوعه، وهي العنصر الذي يدفع إلى

<sup>٤٢٣</sup> الشائب، أحمد. أصول النقد الأدبي. ط ٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. ١٩٤٢ ص ٢٤١.

<sup>٤٢٤</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٩.

<sup>٤٢٥</sup> الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ص ٨٣.

<sup>٤٢٦</sup> قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ط ٨. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣. ص ١١

التعبير ولكنها بذاتها ليست هي العمل الأدبي، لأنها مادامت مضمرة في النفس، لم تظهر في صورة لفظية معينة، فهي إحساس أو انفعال، لا يتحقق به وجود العمل الأدبي... على أن الموضوع لا يحدد طبيعة العمل، ولكن طريقة الانفعال بالموضوع هي التي تحدد، فمجرد وصف حقيقة طبيعية مثلاً وصفاً علمياً بحثاً، ليس عملاً أدبياً مهما تكن صيغة التعبير فصيحة مستكملة لشروط التعبير؛ أما التعبير عن الانفعال الوجداني بهذه الحقيقة فهو عمل أدبي، لأنه تصوير لتجربة شعورية. ولكن التعبير عن التجربة الشعورية لا يقصد به مجرد التعبير. بل رسم صورة لفظية موحية للانفعال الوجداني في نفوس الآخرين. وهذا شرط العمل الأدبي وغايته، وبه يتم وجوده ويستحق صفته.<sup>٤٢٧</sup>

وكلمة الأسلوب أيضاً تتشابه بتعريف التصوير الفني وقد عرف أحمد الشايب الأسلوب: هي طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية.<sup>٤٢٨</sup>

## عناصر التصوير الفني

يضطر الأديب إلى استخدام عناصر التصوير الفني حينما يعبر عن الفكرة والعاطفة معا إلى القراء. ويتكون التصوير الفني من العنصرين الرئيسيين. هما الخيال والتعبير.

### ١-الخيال:

إن العاطفة لا يمكن إثارتها بدراستها أو تحليلها أو تفكير فيها بل لا بد من عرض بواعثها التي جعلت الأديب محباً أو متحمساً أو رحيماً. وهذا العرض إنما يكون بالخيال فالخيال أساس الصورة الفنية. مهما تكن درجته سامياً أو عادياً.<sup>٤٢٩</sup>

<sup>٤٢٧</sup> نفس المرجع، ص ١٢

<sup>٤٢٨</sup> الشائب، أحمد. الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط ٨. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١. ص ٤٤.

<sup>٤٢٩</sup> نفس المرجع، ص ٢٤٢.

وإن العاطفة هي التي تشرح لنا خواص الصورة الأدبية الصالحة للتعبير عنها ولإثارتها. وأول ما يجب من ذلك أن لغة العاطفة يجب أن تكون مألوفة جزلة بعيدة عن المصطلحات العلمية، والكلمات الغريبة.<sup>٤٣٠</sup> واللغة تعبير طبيعي للأفكار فالكاتب يكمن أن يعرض أفكاره بها واضحة دقيقة بجهد يسير. أما العاطفة فلما كانت قوة نفسية فيضطر الأديب أن يحتال ليظفر بلغة لهذا العنصر الوجداني حتى ظفر بهذه الصور الأدبية التي ترجع إلى أصليين هامين: الخيال والعبارة الموسيقية وأما الخيال فمن عناصره التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل. وأما العبارة فمن خواصها جزالة الكلمة، وحسن جرسها، وسلامتها من العيوب البلاغية، وكذلك نظم الكلام وحسن تأليفه مطابقا للمعنى.<sup>٤٣١</sup> وإن العاطفة تختلف باختلاف الأدباء، ويتبع ذلك اختلاف الصور الأدبية التي تؤدي هذه العواطف.<sup>٤٣٢</sup>

## ٢- التعبير:

إن التعبير يختلف باختلاف العاطفة، فإذا كانت عاطفة متوسطة أو قصيرة الأمد كالإعجاب بالوردة احتاجت إلى سهولة العبارة، وجمال الصور، والإيجاز الكافي. وإذا كانت عميقة خالدة تتصل بأصول الحياة وطبائع الناس اقتضت تعبيراً جزلاً سديداً وصوراً محكمة قد تكون تمثيلاً، أو كنيات، أو مطابقة أو نحوها.

٤٣٣

إن هذه الصورة الأدبية مرتبطة بالمعاني اللغوية للألفاظ وجرسها الموسيقي ومعانيها المجازية وحسن تأليفها معا بحيث يكون من ذلك كله تأثيران: أحدهما معنوي عاطفي والثاني موسيقي يعين في قوة العاطفة وسرعة تأثيرها وهذا ما يسمى حسن النظم أو جمال الأسلوب.<sup>٤٣٤</sup>

---

٤٣٠ نفس المرجع، ص ٢٤٢.

٤٣١ نفس المرجع، ص ٢٤٨

٤٣٢ نفس المرجع، ص ٢٤٤

٤٣٣ نفس المرجع، ص ٢٤٣

٤٣٤ نفس المرجع، ص ٢٤٤

ومما سبق يتبين أن اللغة العادية تعجز أن تعبر عن التجربة الشعورية وتعجز أن تخلق تأثيراً في نفوس القارئ وإنما يقدر على تحريك الألفاظ وبنائها في خلق جديد هو المبدع الذي يجعل من علاقات اللغة اكتشافاً جديداً حيث تستوعب هذه اللغة أخيلته وأحاسيسه فيتعد عن اللغة العادية فيلجأ الأديب إلى اللغة الفنية البلاغية فيخلق كلاماً خاصاً باستشعاره الأفكار والتعبير عنها بأساليب إبداعية مؤثرة. فالأديب البليغ يعتمد على التقنيات البلاغية والتقنيات السردية ومنها.

### التصوير بالتشبيه

التشبيه في أشهر تعريفاته " بيان أن شيئاً أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة. تكون التشبيه من أربعة أركان هي المشبه، والمشبّه به، ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، ويجب أن يكون أقوى وأظهر في المشبه به منه في المشبه."<sup>٤٣٥</sup>

### التصوير بالاستعارة

عرفها صاحب البلاغة الواضحة: " الاستعارة من المجاز اللغوي، وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فعلاقتها المشابهة دائماً، وهي قسمان: أحدهما الاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. وثانيهما الاستعارة المكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه."<sup>٤٣٦</sup>

### التصوير بالكناية

عرفها صاحب البلاغة الواضحة: "الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى<sup>٤٣٧</sup> أو بكلام آخر أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة، ولكن يجيء إلى

---

<sup>٤٣٥</sup> علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩. ص ٢٠.

<sup>٤٣٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٧

<sup>٤٣٧</sup> نفس المرجع، ص ١٢٥

معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه." ٤٣٨

## التصوير بالتعبير أو بالكلمة المفردة

التصوير بالتعبير: هو "تأثير متخيل ينشئه التعبير، أي هو وجود ألفاظ أو تعبيرات تبني عليها الصورة، وهذه الألفاظ تلقي في النفس تأثيرا متخيلا لم يكن المتلقي ليتخيله لولا هذا اللفظ أو التعبير؛ لأنه هو

السبب." ٤٣٩

## التصوير بالتجسيم

قد عرفه سيد قطب: "التجسيم الفني فهو أن يكون الأديب الفنان للأمر المعنوي صورة معينة، يتخيلها ويرسمها في ذهنه حتى يصبح هذا الأمر جسما. وهذا لا يحدث إلا إذا كان التجسيم موجودا بشكل أساس

في طبيعته وكان ذهنه مجسما." ٤٤٠

## التصوير بالتشخيص

قد عرفه سيد قطب" يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي، فتصبح حياة إنسانية، تشمل المواد والظواهر، والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية تشارك بها الأدميين، وتأخذ منهم، وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابسات، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتلبس به الحس." ٤٤١

٤٣٨ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. ط ٥. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤. ص ٦٦.

٤٣٩ غنيم، حنان أحمد. التصوير الفني في شعر سيد قطب. ٢٠٠٧. الجامعة الإسلامية غزة. ص ٩٧

٤٤٠ نفس المرجع، ص ١٠٠

٤٤١ نفس المرجع، ص ٥٩.

وقد أتى السيد مجدي وهبة بتعريف أسهل " نسبة صفات البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة".<sup>٤٤٢</sup>

ومن الجدير بالذكر أن الإمام عبد القاهر الجرجاني سبق إلى إشارة ظواهر التشخيص، حيث يقول في مبحث الاستعارة المفيدة: "فإنك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية"<sup>٤٤٣</sup>

### التصوير بالمجاز

وهو حسب قول صاحب البلاغة الواضحة هو " المجاز اللغوي هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة، وقد تكون غيرها، والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية".<sup>٤٤٤</sup>

### التصوير بالإغراق

الإغراق: "هو ما عرفه النقاد بوقوع الاستعمال عقلا لا عادة، ومنه ما اقترن بأدوات تقرّبه إلى الواقع نحو: لو، كاد، لولا، قد وغير ذلك، وهذا ما أسماه د. أبو خضرة بالإغراق المقيد، يقابله الإغراق غير المقيد الذي لا يستخدم فيه لفظة تساهم في تقريب الواقع أو محاذاته. من الأمثلة على الإغراق قوله تعالى: {يكاد البرق يخطف أبصارهم..}. وكلمة "يكاد" في هذا المقام تلغي وقوع الأمر في الواقع ولكنها تقرّبه إليه".<sup>٤٤٥</sup>

<sup>٤٤٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٨.

<sup>٤٤٣</sup> الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢، ص ٣٣.

<sup>٤٤٤</sup> علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص ٧١.

<sup>٤٤٥</sup> ريان، إيساء حيدر. المبالغة وأنواعها في علم البلاغة. <https://ahdafona.wordpress.com/2009/10/05/%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%a8%d8%a7%d9%84%d8%ba%d8%a9-%d9%88%d8%a3%d9%86%d9%88%d8%a7%d8%b9%d9%87%d8%a7-%d9%81%d9%8a-%d8%b9%d9%84%d9%85-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d9%84%d8%a7%d8%ba%d8%a9/>

## الاقْتباس

الاقْتباس في أشهر تعريفاته هو "تضمين النثر أو الشعر شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منها، ويجوز أن يغير في الأثر المقتبس قليلاً".<sup>٤٤٦</sup>

## الاسترجاع

الاسترجاع الفني "هو انقطاع التسلسل الزمني أو المكاني للقصة أو المسرحية أو الفيلم لاستحضار مشهد أو مشاهد ماضية، تلقي الضوء على موقف من المواقف أو تعلق عليه. وكانت هذه التقنية في الأصل مقصورة على السينما ومن ثم كانت دلالة التسمية فلاش باك إلا أن الكتاب وظفوها في الأدب المسرحي، والشعر، والأعمال الروائية".<sup>٤٤٧</sup>

هذه التقنية وإن كانت حديثة العهد في نقد الأدب العربي، لكنها وُظِّفت في النصوص الأدبية القديمة وتعتبر عاملاً محورياً لانتساع النص وانفتاحه على أزمنة مختلفة من الماضي وتجعله أن يصطبغ صبغة روائية.

---

<sup>٤٤٦</sup> علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص ٢٧٠  
<sup>٤٤٧</sup> <https://bohotti.blogspot.com/2016/07/blog-post.html>

## الفصل الثاني

### التصوير الفني في 'الفاروق عمر'

#### التصوير بالتشبيه

استخدم هيكل التشبيهات المتنوعة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد صور هيكل قوة عمر رضي الله عنه تصويراً رائعاً وصورها باستشهاد قصة مصارعة عمر رضي الله عنه مع شاب بدوي تحداه في الجاهلية فصارعه عمر رضي الله عنه وغلب عليه. بعد ما ذكر هذه القصة مفصلاً يصور قوته فنيا ويسرد الكاتب قوته خلال عين هذا البدوي حيث يقول " انقضت ثلاثة الأيام وقد أذعن الفتى البدوي لما أصابه؛ إذ رأى ابن الخطاب قرنا لا يقهر،" <sup>٤٤٨</sup> وإن الكاتب يصور قوته من جانب البدوي، وكذلك أن هيكلًا شبه عمر رضي الله عنه بقرن لا يقهر في المصارعة. والقرن هو جزء هام في الحيوانات وتعتبر قوتهم بقوة قرنين ولاسيما عند مصارعتهم بعضها مع بعض وقد تمكن الكاتب بهذا التشبيه أن يأتي إلى قلب القارئ بأن عمر رضي الله عنه كان قويا بطلاً في المصارعة حتى لا يوجد من يغلبه. وتحدث هيكل عن فتح دمشق مفصلاً ولم يترك الكاتب أن يصور الجمال الجغرافي لأرض دمشق حيث يقول " بلغ المسلمون غوطة دمشق فازدادوا حماسة واندفاعاً فقد رأت أعينهم هذا السهل الفسيح تقوم عليه أم المدائن وأقدمها، كأنه قطعة من الجنة هبط بها الملائكة من سماء الخلد إلى هذه الأرض: أنهار جارئة، وعيون دافقة، وأشجار متشابكة الأغصان، وأعناب وتين وزيتون وجنة نعيم" <sup>٤٤٩</sup> وإن الكاتب شبه أرض دمشق بقطعة من الجنة، فتمكن الكاتب بهذا التشبيه الرائع وعبارة وجيزة أن يعبر عما رآه المسلمون من جمال دمشق ونعيمها. وزادت روعته لما اقتبس الكاتب من الحديث النبوي وهو يقول "وما حسبه أكثرهم مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر." <sup>٤٥٠</sup>

<sup>٤٤٨</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٣٣

<sup>٤٤٩</sup> نفس المرجع، ص ١٣١

<sup>٤٥٠</sup> نفس المرجع، ص ١٣١



ولما تناول هيكل حياة عمر رضي الله عنه في الجاهلية بين أن عمر رضي الله عنه كان يحب الجواد ويحسن في سباقه وصور صورة جواده حتى يرى القارئ في خياله حيث يقول " لونه الأدهم وأذنيه الصغيرتين ورأسه المرتفع وساقيه الدقيقتين وبطنه الضامر" فيقص الكاتب قصة تحكي أن جماعة من الشبان لما رأوا عمر رضي الله عنه واعتزازه بنفسه وجواده فدعوه للسباق فسبقهم عمر رضي الله عنه فيه. وقد صور الكاتب سرعة جواده تصوير فنيا حيث يقول " فإذا عمر وجواده كأنهما قطعة واحدة لا يدري الشاهد أهي تنهب الأرض أم تلقي في يد الريح التراب، ولم يكن إعجاب أهل السوق بفوز عمر في السباق دون إعجابهم بفوزه في المصارعة، ولم يقف أمر الفتيات عند الإعجاب به؛ فقد أخذ منهن بمجامع القلوب وملك عليهن كل الجوارح،"<sup>٤٥١</sup> وإن الكاتب شبه عمر رضي الله عنه وجواده بقطعة واحدة حيث تمكن الكاتب أن يصور ثبات عمر رضي الله عنه على جواده كأنهما قطعة واحدة.

وتناول هيكل فتوحات عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صورة مفصلة ومنها معركة القادسية وقد أرسل عمر رضي الله عنه جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص لقتال الفرس وانتصر المسلمون في هذه المعركة انتصارا حاسما، ولم يترك الكاتب أن يصور حتى أدق أحداث المعركة. وكان من حيلة الفرس أن يستخدم الفيل فيها فلا تثبت خيول المسلمين في المعركة، فأراد المسلمون أن يضرب عيون الفيلين مشافرها ففعلوا ما أرادوا، وقد صور الكاتب صياح الفيل أروع التصوير حيث يقول " وصاح الفيلان، وارتد الفيل الأجرى إلى ناحية صفوف الفرس فخنسوه، فانقلب إلى صفوف المسلمين فوخزوه، فجعل يهرول ذهابا وجيئة بين الصفين وهو يصيح صياح الخنزير، ثم اندفع فوثب في النهر"<sup>٤٥٢</sup> وإن الكاتب شبه صياح الفيل بصياح الخنزير، ومن المعلوم أن صوت الفيل أشد جهورا من صوت الخنزير، أما في لحظات الخوف فقد ينخفض صوت الفيل فيشتبه بصوت الخنزير، وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يُسمع القارئ صوت الفيل كأنه يسمعه مباشرة وتمكن أن يصور من خلال تصوير صياح الفيل خوفه وفزعه تصويرا حسيا.

<sup>٤٥١</sup> نفس المرجع، ص ٣٣

<sup>٤٥٢</sup> نفس المرجع، ص ١٧٠

ويعتقد الكاتب أن وحدة المسلمين كانت من أحد أسباب ظفرهم بالفرس في غزوة القادسية وقد صور الكاتب وحدة المسلمين تصويراً فنياً حيث يقول " فأصبح المسلمون بفضل هذا الاجتماع أمة واحدة، وصار كل واحد منهم في هذه الأمة كالعضو في الجسد، لا قوة له بذاته، بل بقوة الجسد كله، بذلك صار كل رجل من أبناء الأمة، وكل امرأة من نساءها، قوة يجذبها المثل الأعلى إليه"<sup>٤٥٣</sup> وإن الكاتب شبه الأمة بالجسد وأفراد الأمة بالأعضاء، فتمكن الكاتب بهذا التشبيه أن يعبر عن وحدة المسلمين أعماق تعبير.

وأردفه الكاتب بيان مكانة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المسلمين في تعبير رائع وهو يقول "وكان أمير المؤمنين من هذا الجسد بمكان الرأس، يدبر أمور الجميع لخير الجميع، ويجد السعادة في أن يشقى ليسعد الجميع"<sup>٤٥٤</sup> وإن الكاتب شبه عمر رضي الله عنه برأس الجسد، فاستطاع أن يعبر مكان عمر رضي الله عنه في هذا التشبيه الرائع، ومن المعلوم أن فضل أعمال الجسد كلها يرجع إلى الرأس ولا تتحرك أعضاء الجسد إلا بإرشاد من الرأس وكذلك مكان عمر رضي الله عنه بين الأمة المسلمة. وهذه التشبيهات كلها: تشبيه أفراد الأمة بالعضو والأمة بالجسد وعمر رضي الله عنه بالرأس تمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن القارئ بصورة جسد أو رجل متكامل، حيث أعضاؤه أفراد من المسلمين ورأسه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وانهزم الفرس في معركة القادسية أيما هزيمة وقد صور الكاتب فرارهم فنياً حيث يقول "فر الفارس بعد القادسية فر النعام"<sup>٤٥٥</sup> وإن هيكله شبه فرار الفرس بفرار النعام، ومن المعلوم أن النعام من فئة الطيور التي تفر في سرعة عالية، فتمكن هيكل من هذا التشبيه أن يأتي إلى خيال القارئ بصورة فرار الفرس وسرعة فرارهم.

واضطرب يزدجرد حين رأى المسلمين يهزمون مدينة بعد أخرى فاعترف بأن لا قبل له أمام جيش المسلمين حيث يقول الكاتب " لكن اضطرابه أضل قلبه وأفسد تفكيره، وجعله يرى هؤلاء المسلمين جنّاً لا تقف قوة

<sup>٤٥٣</sup> نفس المرجع، ص ١٧٨

<sup>٤٥٤</sup> نفس المرجع، ص ١٧٩

<sup>٤٥٥</sup> نفس المرجع، ص ١٨٣

في سبيلهم ولا طاقة لأحد إلا بالفرار أمامهم، ومن أولى منه بأن يكون أمام الناس في هذا الفرار، نجاة بنفسه وبأهله! لذلك أمر رجاله فحملوا بيت ماله وما خف من متاعه وخزائنه،<sup>٤٥٦</sup> وإن الكاتب شبه المسلمين بالجن في رؤية يزدجرد، لعل الكاتب أراد بهذا التشبيه أن يعبر أن ليس من قدرة الإنسان أن يقاتل جيشا من الجن وكذلك يرى يزدجرد أنه لا يقدر هو وجيشه أو أي قوة إنسانية أن تقاتل المسلمين. وبهذا التعبير تمكن الكاتب أن يصور عجز يزدجرد وإعجابه من قوة المسلمين.

وارتد بعض من العرب بعد وفاة النبي ﷺ وانتشرت هذه الفتنة في القبائل التي لم تفهم الإسلام جيدا. وقد صور الكاتب عن سرعة انتشار فتنة الردة في عبارة فنية حيث يقول "ثم انتشرت الردة حين بيعة أبي بكر كما تنتشر النار في الهشيم"<sup>٤٥٧</sup> وإن الكاتب شبه انتشار الفتنة بانتشار النار في الهشيم، ومن المعلوم أن النار تنتشر في الهشيم في سرعة لا يتوقعها مطفئ النار، وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن القارئ بصورة انتشار الفتنة كانتشار النار في الهشيم.

وقد قام عمر بن الخطاب ﷺ بواجب الخليفة أحسن قيام وأتعب الخلفاء من بعده أن يقتدوا بطريقته وقد صور الكاتب عناية عمر ﷺ بالخلافة في صورة رائعة حيث يقول "لم يتبع عمر من الخلافة شيئا إذن لنفسه، بل كان يعد نفسه الحارس الأمين على مال المسلمين، ... كان يرى الخلافة أبوة تلقي على الخليفة واجبات للمسلمين هي واجبات الأب نحو أبنائه، والحنان والبر أقدس عواطف الأبوة وأسمائها، ... فقد كان يرى الحنان والبر بعض واجبات الحكم كإقامة العدل والمحافظة على الأمن سواء.<sup>٤٥٨</sup> وإن الكاتب يقدم الخليفة كالحارس الأمين، ومن المعلوم ليس من شأن الحارس أن يأخذ من المال شيئا، إنما وكل ليحفظ المال من الظلم والسرقة، وكذلك كان يرى ليس له من مال المسلمين شيء إلا أن يحفظه وقد تمكن الكاتب بهذه العبارة أن يعبر فنيا عن زهده من مال المسلمين وحرصه في حفظه.

<sup>٤٥٦</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨

<sup>٤٥٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٧

<sup>٤٥٨</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٢

وكذلك الكاتب يقدم أن عمر رضي الله عنه كان يرى الخلافة كأبوة، وقد شبه الكاتب هنا الخلافة بالأبوة، وليس تحت السماء الدنيا أحد أحب وأحن وأبر لأبنائه من أبيهم فهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يحس القارئ بحب عمر رضي الله عنه وحنانه وبره إلى رعيته. وقد بين هيكل نفسه في موضع آخر عن عناية عمر رضي الله عنه بأمور رعيتهم حيث يقول " لقد كانوا يرون أمير المؤمنين خير كفيل بحقوقهم وبمن يخلفون وراءهم من عيالهم .... وما ضر أحدهم أن يقتل في سبيل الله وفي سبيل الإمبراطورية الإسلامية وهو على يقين من أن بنيه سيجزون إذا استشهد بخير مما يجزون إذا ظل حيًا، وأنه ستنتفح له أبواب الجنة بما وهب لله نفسه مجاهدًا في سبيله."<sup>٤٥٩</sup>

ويعتقد هيكل أن اجتهاد عمر رضي الله عنه هو الذي عصم الحياة الاجتماعية في عهده من التدهور وكان عمر رضي الله عنه أشد حذرًا من أسباب الوهن الذي يصيب الأمة المسلمة ويقدم الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يرى مهما وصلت الروح سموها وهي معرضة لوقوع إلى درك أسفل إن فقدت السبب الذي رفعها وقد صور الكاتب هذه الفلسفة في صورة فنية وهو يقول " فقد أدرك بإلهامه أن النفس الإنسانية، حين تندفع إلى السمو الروحي، معرضة دائما للجوانب الأهواء تميل بها إلى المستوى الذي يلائم طباعها وسلاتقها، كطائرة ترتفع محلقة في الجو، وهي معرضة أبدًا للانحدار، بحكم جاذبية الأرض، إذا ضعفت القوة التي رفعتها في أجواز الأثير"<sup>٤٦٠</sup> وإن الكاتب شبه حال الروح السامية بطائرة تطير في أعلى السماء وهي معرضة للانحدار بحكم الجاذبية إذ فقدت قوته وكذلك أمر الروح إذا فقدت قوتها. وقد تمكن الكاتب بهذا التصوير الرائع أن يفهم القارئ الفلسفة التي يقدمها في صورة فنية وسهلة.

وكانت الفرس والروم أعظم دولتين قبل إسلام العرب، وكان العرب يخافونهم وما خطر على قلوبهم أن يقاتلوا هاتين الدولتين العظيمةتين، ولكن لما قاتل العرب هاتين الدولتين اعترف أن هزيمهما كان يسيرا

<sup>٤٥٩</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٧

<sup>٤٦٠</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٠

عليهم لما فقدت قوتهما الباطنة وعلمو أن ما يرون من قوتهما الظاهرة من بعيد فهي قوة سطحية ضعفت من داخلها حيث صورها الكاتب فنيا وهو يقول "لقد حسبوا حينما دعوا لغزو العراق ولغزو الشام، أن حصونهما لا تؤخذ، وأن جنودهما لا تقهر، لكنهم لم يلبثوا، حين تخطوا التخوم وواجهوا هذه الجيوش وحاصروا هذه الحصون، أن تبينوا أن السوس نخرها، فهي كالجدار المتداعي، تنقض أعاليه لأول صدمة، وتندك أسسه ما وجدت المعول القوي الذي يأتي عليها من القواعد."<sup>٤٦١</sup> وإن الكاتب استخدم التعبير "أن السوس نخرها" مجازيا إنه أراد به أن يصور أن هاتين الدولتين ضعفتا من داخلها. وكذلك أن الكاتب شبه جنودهما وحصونهما بالجدار المتداعي ومن المعلوم أن الجدار المتداعي لا يحتاج إلى جهد كبير لتهديمه وكذلك كانت حصونهما وجنودهما وما استقرت أمام جيوش المسلمين.

وكان الناس في حزن شديد لوفاة عمر رضي الله عنه وجزعوا عليه وقد صورها الكاتب وحزن الناس وسبب حزنهم الشديد لوفاته تصويرا رائعا حيث يقول "يكون الضعفاء والبؤساء أقوى شعورا بوقع الكارثة التي نزلت بهم؛ فقد كان عمر لهم أبا وأخا، وكان لهم حصنًا حصينا وملجأ أمينًا."<sup>٤٦٢</sup> وإن الكاتب شبه عمر رضي الله عنه بالأب والأخ والحصن والملجأ، وهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يعبر أن الناس حزنوا لوفاته خاصة الضعفاء والفقراء لتوقعهم الفقدان ما يتمتعون منه من حقوق الأبوة والأخوة وكانوا يرونه حصنا يحفظهم وملجأ يظلمهم.

## التصوير بالاستعارة

التصوير بالاستعارة أمر واضح في صفحات كتاب 'الفاروق عمر'. وقد بين هيكلي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يلهم الرأي وكأنما حدث بما ظن وقص قصة الأذان ودور إلهام عمر رضي الله عنه فيه، بعد ما ذكر الكاتب قصة وراء الأذان يصور الكاتب الأذان تصويرا حسيا حيث يقول "من يومئذ بدأ الأذان للصلاة يعطر جو المدينة

<sup>٤٦١</sup> نفس المرجع، ص ١١

<sup>٤٦٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٨٩

كل يوم خمس مرات<sup>٤٦٣</sup> وإن الكاتب شبه الأذان بعطر وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو فوح عطرة. وبهذا التصوير تمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القارئ بصورة بخار الأذان العطرة تنتشر مع صوت الأذان في جو المدينة وأن يذيقه حس الأذان وأن يشم رائحته العطرة وحتى يحن القارئ أن يسمعه مرة أخرى.

ويقدم هيكل أن عمر رضي الله عنه لم يحارب محمدا صلى الله عليه وسلم ودعوته تعصبا وجهلا بل إنه يرى أن دعوته تقوض نظام مكة وتثير الفساد فيها، ومكة ونظامها وطمأنينة أهلها أحب إليه من محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته التي فرقت كلمة قريش، ويرى عمر رضي الله عنه لو لا منعت قريش دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لقضي أمر قريش وقد عبرها الكاتب تعبيرا فنيا حيث يقول "والصبر على هذه الدعوة يزيد كلمة قريش فرقة ومكانة مكة تهوينا، ولئن وقفت قريش من محمد عند مناوأة الذين اتبعوه ومحاولة رد الضعفاء منهم عن دينهم، ليذهبن ذلك بريح مكة وليجعلن قريشا مضغة في أفواه العرب جميعا."<sup>٤٦٤</sup> ويلاحظ من تعبير "ليذهبن ذلك بريح مكة" أن الكاتب أتى به استعارة، وقد بين ذلك صاحب تفسير المنير في تفسير الآية السادسة والأربعين من سورة الأنفال وهو يقول "وتذهب ربحكم" أي قوتكم، وقال الزمخشري: الريح: الدولة، وفيه استعارة شبهت القوة أو الدولة في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها، فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره."<sup>٤٦٥</sup>

وقد صور هيكل وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصويرا فنيا دقيقا وبعدهما بين الكاتب روتينه اليومي يوم مقتله يصور مشهد طعنه، حيث عبر الكاتب عن وقت طعنه فنيا وهو يقول "كبر للصلاة ودخل في تلك الساعة من ذلك اليوم ولما يكذب يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فلما بدأ ينوي للصلاة ليكبر إذا رجل ظهر فجأة قبالتة، فطعنه بخنجره ثلاث طعنات."<sup>٤٦٦</sup> وإن تعبير "يتبين الخيط الأبيض من

<sup>٤٦٣</sup> نفس المرجع، ص ٥٩

<sup>٤٦٤</sup> نفس المرجع، ص ٤٢

<sup>٤٦٥</sup> الدكتور الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. م. ٥. دمشق: دار الفكر ص ٣٦٣.

<sup>٤٦٦</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٥٧٧

الخييط الأسود من الفجر " استعمله الكاتب في غير معناه الحقيقي بل أتى به استعارة وقد بين صاحب التفسير المنير بلاغيته حيث يقول " (الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ): استعارة، يراد بها تشبيهه بياض الصبح بالخييط الأبيض، وسواد الليل بالخييط الأسود، والخييطان مجاز، والتشبيه بالخيطين؛ لأنهما ضعيفان عند الطلوع. وقال الزمخشري: إنه تشبيهه بليغ؛ لأن قوله: (مِنَ الْفَجْرِ)) أخرجه من باب الاستعارة، كما أن قولك: (رأيت أسداً) مجاز، فإذا زدت "من فلان" رجع تشبيهاً. وقوله: (من الفجر) بيان للخييط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخييط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني. ويجوز أن تكون من التبعية؛ لأنه بعض الفجر وأوله. (الكشاف: ١/٢٥٨).<sup>٤٦٧</sup>

وكان يزدرج من حفيد كسرى الذي تولى ملك فارس لما تنازع أمراؤها وقوادها السلطان، فذهب ملوهم إلى أن يولوا العرش لرجل من آل كسرى حتى تتحد كلمتهم تحت ملكه وقد أخفته أمه حين قتل أبوه ولم تخرجه إلا في هذا الموقف لتتحد كلمتهم. فتولى يزدرج الملك وهو في الحادية والعشرين من عمره، بعدما كان محروما له في صباه. ولم يطل تمتعه بالعرش طويلا لما رماه المسلمون من عرشه في القادسية. وقد أرشده القائد الأعلى رستم ألا يقاتل العرب في القادسية حتى تستقر بلاد فارس ولكن رفضه واضطره ليقاتل المسلمين فهزموا.

وقد صور الكاتب هم يزدرج ويأسه وحمية شبابه وعجزه في صورة فنية حيث يقول " ماذا يستطيع يزدرج إزاء ذلك كله وقد كانت تبلغه أنباؤه فتزيده هما على همه وتدفع اليأس إلى نفسه، لولا أن أبقت حمية شبابه سرايا من الأمل يلمع أمامه فيخدعه عن الواقع، ويغريه بالتعلق بعرش حرمه صبيا، فلما اعتلاه تزلزلت قوائمه، وتزعزعت أركانه! وهيمات لسراب أن يحقق أملا، أو يدفع للقضاء حكما!"<sup>٤٦٨</sup> وإن الكاتب شبه أمل يزدرج بسراب، إذا رأى ملتمس الماء سرايا يفر إليه ظانا أنه ماء فلا يعلم حقيقته إلا بعد وصوله إياه

<sup>٤٦٧</sup> الدكتور الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. م. دمشق: دار الفكر ص ٥١٣.

<sup>٤٦٨</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ١٧٦

وكذلك كان يزدجرد لما تولى العرش أمل بقاءه في العرش وانهمام المسلمين ولكن لم ير لأمله حقيقة.

## التصوير بالكناية

استخدام هيكل الكناية لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل كتاب 'الفاروق عمر' أكثر جمالا وفنا. وهذا ظاهر لما تناول الكاتب غلظته وكان أول دعاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استخلف " اللهم إني غليظ فليني اللهم إني ضعيف فقوني اللهم إني بخيل فسخني." ويقوم هيكل بتحليل هذا الدعاء فبعدما تبين عن سبب غلظته يبين سبب بخله ويرى سبب بخله هو أنه لم يكن غنيا وأن أباه أيضا لم يكن غنيا. ثم يبين أنه لم يستطع أن يكسب من تجارته كثيرا بسبب غلظته حيث يعبر عنها فنيا " لعل غلظته هي التي حالت بينه وبين الإفادة من التجارة ما أفاد غيره، فهو لهذه الغلظة لم يكن يستطيع بالتجارة أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهباً".<sup>٤٦٩</sup> ولم يرد الكاتب من التعبير " أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهباً" معنى حقيقيا بل وقد أتى بكناية تريد بها أن يحصل امرأ فائدة من عمل ما أو بمعنى آخر أن يستفيد امرأ من اجتهاده. ومن المعلوم أن الحارث يمكن باجتهاده أن يحرق فيحصد ثمرة فهو إذن يحيل التراب ذهباً، وكذلك حافر البئر أو البركة ينبع الماء من الحجر بعد جهده الطويل. وإنما يقول الكاتب أن عمر رضي الله عنه لم يستطع أن يكسب فائدة كثيرة من تجارته ولكن عبرها في تعبير فني يتذوق به القارئ.

ولما تناول هيكل حياة عمر رضي الله عنه في الجاهلية بين أنه كان يحب الجواد ويحسن في سباقه وصور صورة جواده كأن القارئ يراه بعينه أمامه فقص الكاتب قصة تحكي عن مشاركة عمر رضي الله عنه السباق وفوزه. وقد صور الكاتب سرعة جواده تصويراً فنياً حيث يقول " فإذا عمر وجواده كأنهما قطعة واحدة لا يدري الشاهد أي تنهب الأرض أم تلقي في يد الريح التراب،"<sup>٤٧٠</sup> وقد سبق الذكر عن تشبيه الكاتب عمر وجواده بقطعة واحدة، فيظهر بعد ملاحظة العبارة " لا يدري الشاهد أي تنهب الأرض أم تلقي في يد الريح التراب" أنه ليس من مراد

<sup>٤٦٩</sup> نفس المرجع، ص ٣٩

<sup>٤٧٠</sup> نفس المرجع، ص ٣٣



الكاتب من هذه العبارة معنى مباشرا، ليس من معقول أن تهب الجواد أرضا، ولا تستطيع أن تلقي التراب في يد الريح، فليس للريح يد ولكن استخدم الكاتب هاتين عبارتين كناية، وإنما أراد بالأولى أن يصور إقبال الجواد كأنه تهب الأرض وبالثانية أن يصور سرعتها وكثرة الغبار تشير إلى سرعتها. وبهذا الأسلوب الفني أتى الكاتب إلى ذهن القارئ بصورة إقبال الجواد وسرعتها.

وكان انتصار القادسية انتصارا حاسما وكان الخليفة والمسلمون حريصين على أن يعلم نأ معركة القادسية وقد صور الكاتب هذا الحرص في صورة فنية حيث يقول "وكذلك انتهت المعركة إلى ما رأيت من نصر حاسم، حين كان الناس في كل الأرجاء من شبه الجزيرة يتطلعون ببصائرهم وقلوبهم إلى ناحيتها، وهم على أحر من الجمر لمعرفة أنبائها..... وكان عمر أشد الناس تطلعا وشوقا لمعرفة ما تنتهي إليه"<sup>٤٧١</sup> وإن التعبير "يتطلعون ببصائرهم وقلوبهم" كافي ليعبر عن حرصهم، ثم زادت عبارة "وهم على أحر من الجمر لمعرفة أنبائها" جمالا ووضوحا، وليس من المعقول أن الناس كانوا بأنفسهم أو أعينهم وقلوبهم حارة كجمرة أو أشد حرا منها. ولكن أتى الكاتب بتعبير مجازي فتمكن أن ينقل إلى قلب القارئ شعور الناس في تلك الحال أروع نقل.

ويقدم هيكلا أن عمر رضي الله عنه لم يحارب محمدا صلى الله عليه وسلم ودعوته تعصبا وجهلا بل إنه يرى أن دعوته تقوض نظام مكة وتثير الفساد فيها، ويرى عمر رضي الله عنه لو لا منعت قريش دعوة محمد صلى الله عليه وسلم لقضي أمر قريش وقد عبرها الكاتب تعبيرا فنيا حيث يقول "والصبر على هذه الدعوة يزيد كلمة قريش فرقة ومكانة مكة تهوينا، ولئن وقفت قريش من محمد عند مناوأة الذين اتبعوه ومحاولة رد الضعفاء منهم عن دينهم، ليذهبن ذلك بريح مكة وليجلعن قريشا مضغة في أفواه العرب جميعا."<sup>٤٧٢</sup> ولم يرد الكاتب بالتعبير "وليجلعن قريشا مضغة في أفواه العرب جميعا" معنى حقيقيا بل أتى بمعنى مجاز وهو كناية، إن التعبير "صار مضغة في أفواه الناس" معناه كأنه لقمة يلوكمها الناس، كناية عن التعريض به "<sup>٤٧٣</sup> وقد تمكن الكاتب بهذا التعبير أن

<sup>٤٧١</sup> نفس المرجع، ص ١٧٥

<sup>٤٧٢</sup> نفس المرجع، ص ٤٢

<sup>٤٧٣</sup> المعاني

يقدم أن قريشا تكون معرضة لمهاجمة العرب في أسلوب رائع.

## التصوير بالاقْتباس

يلاحظ أن المؤلف استخدم الاقتباس لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا ظاهر لما تناول المؤلف سياسة النبي صلى الله عليه وسلم في فترة منذ إسلام عمر رضي الله عنه إلى هجرة المسلمين إلى المدينة ويرى أن سياسته في هذه المدة كانت تتجنب البأس والشدة ولما تحدث عنها واقتبس الكاتب من القرآن الكريم حيث يقول " قد كانت سياسة رسول الله في هذه الفترة التي نتحدث عنها تتجنب البأس والشدة في كل مظاهرها، ولا تتجاوز المغفرة لمن أساء إليه، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، كان ذلك موقفه من قريش بمكة،"<sup>٤٧٤</sup> وإن التعبير " فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم،" مقتبس من الآية الرابعة والثلاثين من سورة فصلت. وغرض الكاتب من هذا التضمين أن يستعير من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه. وتحدث الكاتب عن فتح دمشق مفصلا ولم يترك وصف الجمال الجغرافي لدمشق حيث يقول " بلغ المسلمون غوطة دمشق فازدادوا حماسة واندفاعا فقد رأت أعينهم هذا السهل الفسيح تقوم عليه أم المدائن وأقدمها، كأنه قطعة من الجنة هبط بها الملائكة من سماء الخلد إلى هذه الأرض: أنهار جارية، وعيون دافقة، وأشجار متشابكة الأغصان، وأعناب وتين وزيتون وجنة نعيم"<sup>٤٧٥</sup> وإن الكاتب شبه أرض دمشق بقطعة من الجنة، فتمكن الكاتب بهذا التشبيه الرائع وعبارة وجيزة أن يعبر عما رآه المسلمون من جمال دمشق ونعيمها. وزاد روعته اقتباسه من الحديث النبوي الذي يبين النبي صلى الله عليه وسلم فيه نعيم الجنة حيث يقول "وما حسبه أكثرهم مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب بشر."<sup>٤٧٦</sup> وتمكن الكاتب من هذا

<sup>٤٧٤</sup> نفس المرجع، ص ٥٨

<sup>٤٧٥</sup> نفس المرجع، ص ١٣١

<sup>٤٧٦</sup> نفس المرجع، ص ١٣١

التضمين أن يستعير من قوتها قوة، وأن ويبيدي عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه. وقد فتح المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إيوان كسرى وصور الكاتب عن وصول المسلمين الإيوان وشوقهم ليروا هذا الإيوان بغير أن ينقص من مشاعر المسلمين شيء حينئذ حيث يقول "وأيقن الناس جميعًا أنهم بإزاء هذا الإيوان الذي طالما سمعوا به مذكورًا في شعر الشعراء وأحاديث المحدثين، وجعلوا يكبرون حتى أصبحوا وكلهم الشوق ليعبروا إلى الإيوان بهرهم وليحيطوا به وليملئوا عيونهم منه وليدخلوه وليروا تخت كسرى في بهوه العظيم وليروا قائدهم جالسًا عليه يعلن كلمة التوحيد فتجيبه الأصدقاء من كل جوانب القصر بأن صدق الله وعده، فكلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم".<sup>٤٧٧</sup> وإن تعبير " فكلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله العليا والله عزيز حكيم، " مقتبس من آية الأربعين من سورة التوبة. وغرض الكاتب من هذا التضمين أن يستعير من قوتها قوة، وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه.

وقد صور هيكل وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصويرًا فنيًا دقيقًا وبعدهما بين الكاتب روتينه اليومي يوم مقتله يصور مشهد طعنه، حيث عبر الكاتب عن وقت طعنه فنيا وهو يقول " كبر للصلاة ودخل في تلك الساعة من ذلك اليوم ولما يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فلما بدأ ينوي للصلاة ليكبر إذا رجل ظهر فجأة قبالتة، فطعنه بخنجره ثلاث طعنات أو ست طعنات إحداها تحت سرتة، وأحس عمر حر السلاح.<sup>٤٧٨</sup> وإن تعبير " يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " مقتبس من الآية ١٨٧ في سورة البقرة. وهذا يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه.

### التصوير بالمبالغة الفنية

استخدام هيكل المبالغة الفنية لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل كتاب 'الفاروق عمر' أكثر جمالا

<sup>٤٧٧</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨

<sup>٤٧٨</sup> نفس المرجع، ص ٥٧٧

وفنا. وهذا ظاهر لما تناول هيكلا هجرة عمر رضي الله عنه إلى المدينة ويذهب إلى أن هجرته كانت سرا كما هاجر غيره من المسلمين ولم يعتقد الكاتب أن عمر رضي الله عنه تحدى المشركين على ما جاء في الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولم ير أنه هاجر سرا بضعفه أو جبنه بل كان رجل نظام وقد عبرها الكاتب في أسلوب جميل حيث يقول "أنه هاجر من مكة في سر من أهلها، وهو لم يفعل ذلك ضعفا منه أو جبنًا، فهو لم يعرف الجبن ولا الضعف حياته، لكنه كان رجل نظام،" <sup>٤٧٩</sup> ويظهر بعد ملاحظة التعبير "فهو لم يعرف الجبن ولا الضعف حياته" فيه شيء من المبالغة وليس من المعقول أنه كان لا يعرف الجبن والضعف بل أراد أن موقف عمر رضي الله عنه كان كرجل لا يعلم الضعف والجبن فاستطاع الكاتب بهذا التعبير الجميل أن يأتي إلى ذهن القارئ بأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في قمة الشجاعة في جميع مواقف حياته.

وانتقلت حياة العرب من حياة البادية إلى حياة الحضرة بعد الفتوحات الإسلامية وقد تغيرت حالتهم الاقتصادية لما اجتمع لهم من الفيء والعطاء الكثير وكذلك تغيرت رؤيتهم للحياة لما ألفوا ما لم يلفوا في بدوهم وحضرتهم وقد صور الكاتب جمال الحياة الناعمة اللينة في البلاد المفتوحة حيث يقول " وإلى جانب هذا كله كانت تقوم آثار الفن بارعة رائعة في معابد الروم ومقابرهم وما فيها من تماثيل وفنون أبدع صناعتها في تصويرها أي إبداع، وفي كنائس المسيحيين وأديارهم وما فيها من صور تكاد تنطق بما أراد مصوروها أن تنطق به،" <sup>٤٨٠</sup> ويظهر بعد ملاحظة التعبير "صور تكاد تنطق بما أراد مصوروها أن تنطق به" أنه ليس من المعقول بأن تنطق الجوامد وقد أتى الكاتب بمبالغة فنية، وتمكن الكاتب بهذه المبالغة أن يأتي إلى قلب القارئ بحيوية تلك الصور وجمالها كأنه يراها بعينه. وهذا النوع من المبالغة يسمى الإغراق. وبعد انهزام الفرس فر كثير من فلول القادسية إلى أطلال بابل وقد هاجمهم جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص وهزمهم في وقت قليل. وقد صور الكاتب سرعة هزيمتهم رائعا فنيا وهو يقول "وسار سعد

<sup>٤٧٩</sup> نفس المرجع، ص ٥٨

<sup>٤٨٠</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٠

يريد بابل، فلقى الفيرزان فهزمه في أسرع من لفت الرداء"<sup>٤٨١</sup> ومن المعلوم أن لفت الرداء لا يستغرق من الوقت إلا قليلاً، فهذا التشبيه للكاتب أن يشبه وقت القتال بوقت يستغرق لفت الرداء استطاع أن يأتي إلى قلب القارئ بحدوث قتال يبدأ وينتهي بوقت يستغرق لفت رداء.

تناول الكاتب عبور المسلمين نهر دجلة عند رحلتهم إلى فتح المدائن وكان إيمان المسلمين سامياً حينئذ حيث يقول الكاتب "وجند سمت روحه المعنوية وبلغ من قوة الإيمان بالنصر حتى خيل إليه أن يضرب النهر بعصاه ينفرج فيه طريق يجتازه عليه إلى إيوان كسرى، هذه معجزة أتاحتها الله لكليمه موسى ..... نعم هي معجزة تلك التي اجتاز المسلمون بها دجلة"<sup>٤٨٢</sup>

وقد صور الكاتب صورة عبور المسلمين فنياً وهو يقول "فأمر فرسانه فاندفعوا جميعاً ألوفا مؤلفة إلى لجة النهر من حيث اقتحمه عاصم، وامتألاً النهر بالخيل، فلم يكن ماؤه في هذه الساعة ليرى،"<sup>٤٨٣</sup> ويلاحظ من العبارة " فلم يكن ماؤه في هذه الساعة ليرى " فيها شيء من المبالغة، وقد أتى الكاتب بعبارة مجازية وإنما أراد منها أن يصور كثرة خيول المسلمين تعبر دجلة. وقد عبر عجب باستفهام رائع " وهل كلمة غير المعجزة تصح وصفا لهذه الأعمال؟" وبين إيمان المسلمين مرة ثانية في أسلوب فني حيث يقول " الإيمان بالنصر يسمو بالنفي إلى حيث تصبح الحياة ويصبح الموت أمامها أفاضاً يتساوى مدلولها في سبيل الغاية التي تريد دركها، ولم يكن للمسلمين صبر على المدائن"<sup>٤٨٤</sup>

---

<sup>٤٨١</sup> نفس المرجع، ص ١٨٣

<sup>٤٨٢</sup> نفس المرجع، ص ١٨٩

<sup>٤٨٣</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠

<sup>٤٨٤</sup> نفس المرجع، ص ١٩١

## الفصل الثالث

### التصوير الفني في 'عبقرية عمر'

#### التصوير بالتشبيه

استخدم العقاد التشبيهات المتنوعة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا ظاهر لما تناول طبيعته الجسمية. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه طويل القامة وقد ذكر ابن الجوزي في كتابه سيرة عمر بن الخطاب عن طوله رواية عبيد بن عمير "كان عمر يفوق الناس طولاً" <sup>٤٨٥</sup> أما العقاد فقد صور طوله الفائق فنيا وهو يقول "كان طويلاً بائن الطول يرى ماشياً كأنه راكب" <sup>٤٨٦</sup> وقد شبه الكاتب عمر رضي الله عنه براكب في طوله حيث يمكن أن يتخيل القارئ أنه يفوق الناس من حوله طولاً كأنه ركب الفرس أو غيره وهو ماش فيهم.

ووصف الكاتب عمر رضي الله عنه بأنه هو أعدل العادلين وأقواهم ويرى أنه لم يكن عادلاً لسبب واحد بل كان عادلاً لأسباب كثيرة، مع وجود الأسباب الكثيرة لعدله كان كأنه عادل لسبب واحد لقلّة التناقض فيه. وقد شبه عدله المتين بالحبل المبرم وهو يقول "وربما كان تعدد الأسباب هو العاصم الذي حوى هذه الصفة أن تتناقض في آثارها، لأنه منحها القوة التي تشدها كما يشد الحبل المبرم فلا تتفكك ولا تتورع." <sup>٤٨٧</sup> وقد صور في هذه العبارة الرائعة أن تعدد الأسباب في عدله يجعل هذه الصفة قوية كما يقوي تعدد العروة الحبل.

وفي هذه العبارة القصيرة تمكن العقاد أن يعبر أن عدله قوي متين كالحبل المبرم، فالحبل من عروة واحدة ينقض سرعة أما الحبل من عروتين فيكون أقوى من حبل بعروة أما الحبل من ثلاث العرى فيكون أقوى من الحبل بعروتين. وهكذا كل ما زيد عدد العروة زادت قوته. وكذلك صور عدل عمر رضي الله عنه إذا كان عادلاً لسبب واحد قد يترك العدل في أضعف الأحوال وأما إذا كان عادلاً لأسباب فيتمسك به في أشد الأحوال.

<sup>٤٨٥</sup> ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ص ٧

<sup>٤٨٦</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ١٥.

<sup>٤٨٧</sup> نفس المرجع، ص ٢٢

وتناول العقاد قسوة عمر رضي الله عنه من ناحية جديدة. وحاول أن يصور أن عمر رضي الله عنه لم يكن ينطبع على القسوة ويرى أن الرحمة وازنت فيه العدل أحسن موازنة. وصور أن سبب قسوته كان خوفه من رحمته التي قد تغلب على نفسه وتمنعه من إقامة الواجبات. ولذلك كان عليه أن يعتصم بالقسوة لإقامة الواجب، خاصة رجل كعمر رضي الله عنه يعتني بالواجب عناية بالغة وهو يقول "ومن المؤلف في الطبائع أن الرجل الذي يقسو وهو معتصم بالواجب قلما ينطبع على القسوة ولاسيما إذا كان الواجب عنده شيئا عظيما يزيل كل عقبة، ويبطل كل حجة، ويقطع كل ذريعة، فهو إنما يعتصم بالواجب في هذه الحالة، كما يعتصم الإنسان بالحصن المنيع كلما خشى أن تقتحم عليه طريقه، ولولا خوف الرحمة أن تغلبه لما كانت به حاجة إلى ذلك الحصن المنيع، ولاسيما حين يكون حصنا بالغا في المنعة، كما كان الواجب عند عمر بن الخطاب." <sup>٤٨٨</sup>

يلاحظ أن العقاد شبه اعتصامه بالواجب باعتصام بالحصن المنيع. وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القارئ بأن اعتصامه بالواجب يحفظه من أن تغلب الرحمة على نفسه كما يحفظ الحصن المنيع من الأعداء.

ويصور العقاد حال عمر رضي الله عنه وموقفه من معاملة صنفين من الناس. فالأول معاملته مع أنداده الأقوياء من الأبطال والثاني معاملته مع النساء الضعيفات. ويبين الكاتب إذا واجه عمر رضي الله عنه الرجال الأقوياء أو أنداده من الأبطال فهو يبذل كل جهده وقوته للنضال وتظهر طبيعة القتال. وقد صور المؤلف هذه الحال عند مواجهة الأنداد في صورة فنية وهو يقول "فلا موضع هنا لرحمة ولا سبيل لها إلى ظهور وتتمادى الشرة على ذلك شهورا وسنين، وكأن الرحمة لم تخلق في النفس، ولم يسمع لها في حنايا الصدور صوت." <sup>٤٨٩</sup> عبر في هذه العبارة أنه كان يناضل مع أنداده كأن نفسه خال من الرحمة.

<sup>٤٨٨</sup> نفس المرجع، ص ٢٨

<sup>٤٨٩</sup> نفس المرجع، ص ٣٠

وفي هذه الجملة أنه شبه حاله في النضال بالحال التي لم تخلق الرحمة في النفس وصارت حاله أكثر وضوحاً لما قال لم يسمع صوت الرحمة حتى في أعماق الصدور. وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يغلق أمام القارئ كل باب قد يدخل به فكر الرحمة إلى قلبه. وكيف يمكن أن يفكر في شيء ليس له وجود؟ وبعبارة " ولم يسمع لها في حنايا الصدور صوت " تمكن أن يؤكد مرة ثانية بأن عمر عليه السلام كان في هذه الحال متجرداً من جميع علامات الرحمة وكيف يرحم من لم يسمع قط عن الرحمة.

ثم صور موقفه إذا واجه النساء الضعيفات وهو يقول "أما المرأة الشاكية أو المرأة الدامية إذا واجهت ذلك البطل القوي، فما حاجته إلى قوته ونضاله؟ وما أخرى تلك القوة أن تهدأ في مكانها كأنها الخليقة الخفية التي لم تخلق، وليس لها صوت مسموع!"<sup>٤٩٠</sup> يلاحظ هنا ما رأينا آنفاً وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يغلق أمام القارئ كل أبواب قد يدخل به فكر النضال إلى قلبه. وكيف يمكن أن يفكر قوة ليس لها وجود. وبعبارة " وليس لها صوت مسموع " تمكن أن يؤكد مرة ثانية أن عمر عليه السلام كان في هذه الحال بريئاً من جميع علامات النضال والقوة. فكيف يناضل من لم يسمع قط عن النضال والقوة؟

كما سبق الذكر حاول العقاد أن يرد بعض شبهات المستشرقين. وقد قام الكاتب برد شبهاتهم في أسلوب رائع حتى أنه قدم شبهاتهم في لغة فنية ومنها أن عمر عليه السلام كان لا يعلم ما في الحياة من نقائص وخفايا وكان يقضي في قضائه ولا ينظر يمينا وشمالاً وهو يقول " قد جهل ما في الدنيا من نقائص وخفايا ومن عوج وتعرج أو كأنه السهم الثاقب ينفذ فيما أمامه إلى هدفه المحدود ولا يلتفت إلى شيء من نفاذه أو يعوق عائق دونه."<sup>٤٩١</sup>

وشبه الكاتب تهمتهم أنه لا ينظر يمينا ولا شمالاً، بالسهم الثاقب. فالسهم الثاقب إذا أخرج من القوس يصل إلى غايته فجأة ولا ينعطف عن غايته ولا يتوقف في الطريق وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يصور

<sup>٤٩٠</sup> نفس المرجع، ص ٣٠

<sup>٤٩١</sup> نفس المرجع، ص ٣٩



شبهة المستشرقين أن عمر رضي الله عنه كان إذا أراد شيئاً أو قضى شيئاً كان ينفذ إلى غايته كما يصل السهم الثاقب إلى غايته.

وقد ردهم في أسلوب رائع ويرى العقاد هذه من استقامة عمر رضي الله عنه وهو يقول "هي استقامة قدرة، وليست استقامة عجز وهي استقامة تصرف سريع وليست باستقامة محجور مقيد، يأبى أن يدور، لأنه قد أعياه أن يدور هي استقامة حياة غلابة، وليست باستقامة أداة كالموازين تسوي بين التبر والتراب لأنها لا تميز بين التبر والتراب."<sup>٤٩٢</sup> يثبت العقاد أن استقامة عمر رضي الله عنه هي استقامة حياة لا استقامة آلة لا حيوية فيها وشبه استقامة بلا حياة باستقامة الميزان الذي لا يميز بين الذهب والتراب. والميزان لا يقدر أن يفرق بين الموزونين، فالتبر والتراب في الميزان سواء إذا وافق وزنهما إنما ما يفرق بينهما العقل والقلب والحياة.

وهذا تمكن أن يثبت أن استقامة عمر رضي الله عنه كانت حيوية وكان لا سوي بين المقضيين حتى أن ينظر إلى ما حولهما. وهو يقول رادا لهم " لا يجوز في اعتقادنا أنه عدل في قضية جبلة ونظائرها عدل آلة أو عدل ميزان. أن الميزان لأقل مخلوق له حياة، أما الفاروق في هذه القضية فقد كان أكبر من الحياة الفانية كان بطلا يؤمن ويعمل بإيمانه"<sup>٤٩٣</sup> ورد شهتهم أن عدل عمر رضي الله عنه عدل آلة وقد استأصل الكاتب شهتهم لما وصف أنه كان أكبر من الحياة الفانية. وتمكن أن يأتي إلى قلب القارئ بسؤال، فكيف يكون عدله عدل آلة وهو أكبر من الحياة الفانية كلها؟

قد تناول العقاد كثيرا من الأحداث والأخبار التاريخية من جانب علم النفس. ونجح في تصوير نفسية عمر بن الخطاب رضي الله عنه نجاحا بالغا ومن أمثاله أنه قام بتصوير الأفكار والأخلاق والسورة في أسلوب رائع فني وهو يقول " فالأفكار والأخلاق جانبان من جوانب النفس الإنسانية، قابلان للضوابط والقيود ولكن ما القول في الدوافع والسورات؟"<sup>٤٩٤</sup> وفي هذه عبارة قدم مقولته أن الإنسان قد يقدر على أن يحكم الأفكار والأخلاق

<sup>٤٩٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٩

<sup>٤٩٣</sup> نفس المرجع، ص ٤٣

<sup>٤٩٤</sup> نفس المرجع، ص ٤٤

أما دوافعه وسوراته فلا يكاد يتغلب عليها. وتمكن الكتاب أن يوجه هذه الفكرة إلى ذهن القارئ بهذا السؤال الملفت للنظر.

بعد ما قدم مقولته قام بإثباتها في صورة فنية وهو يقول "مثل الفكر كمثل السفينة الطافية على وجه النهر، لها شراع، ولها سكان وعليهما معا رقيب من النواتية والريان" وقد شبه الكاتب الأفكار بالسفينة لها شراع وسكان وفيها ملاح وبحار. وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يصور أن الأفكار محكمة وقابلة للقيود والضوابط كسفينة تجرى على النهر حسب إرشادات البحار والملاح وكذلك الفكرة وقد تكون حسب رغبات الإنسان وحوادثه وأما السفينة التي لها شراع وسكان يستطيع البحار والملاح بهما أن يوجهها ويجريها ويوقفها كما يشاء ومتى شاء وكذلك الفكرة قد يملك الإنسان أن يحكم على ما يفكر فيه ويستطيع أن يفكر كما يريد وأن يتوقف متى شاء.

ثم قام العقاد بتصوير الخلق في صورة فنية وهو يقول "ومثل الخلق كمثل النهر المتدفق تحبسه الشواطئ والقناطر، ويفيض في موعد، ويعرف له مجرى، ويحسب له مقدار."<sup>٤٩٥</sup> وقد شبه الكاتب الأخلاق بالنهر المتدفق تحبسه الشواطئ والقناطر فتمكن بهذا التشبيه الرائع أن يصور أن النهر يجري بين شاطئيه ولا يتجاوز جريانه على الشواطئ والقناطر لأنهما تحبسانه وكذلك الخلق عند الإنسان يكون بين الحدود التي وضعها لنفسه ويراهها صوابا في عينيه ولا يتجاوز خلقه هذه الحدود. فالخلق يجري بين الحدود كما يجري النهر بين شاطئيه.

ويلاحظ إضافة إلى هذا أنه وصف هذا النهر بنهر "يفيض في موعد ويعرف له مجرى ويحسب له المقدار" وقد نجح الكاتب بهذه العبارة أن يصور النهر يعرف أين يجري ومتى يجري وكيف يجري وكذلك الخلق عند الإنسان وهو يعرف أن يرتب أخلاقه حسب السياق والأحوال ويعرف مقدار ما يلتزم به من خلق

---

<sup>٤٩٥</sup> نفس المرجع، ص ٤٤

حسب حاجته. فالخلق من ميزة الإنسان.

بعدهما بين العقاد الأفكار والأخلاق يشبه الدوافع والسورات بالسيل العرم وقد صورها في صورة السؤال وهو يسأل " ولكن، ما القول في السيل العرم؟"

"ما القول في السورة الجامعة التي ليست بفكر يسوس ويساس، ولا بخلق متميز بسماته وخصائصه ومراميه؟"<sup>٤٩٦</sup>

وتمكن الكاتب بهذا السؤال أن يأتي إلى ذهن القارئ بأن أمر الدوافع والسورات ليست كالأفكار والأخلاق، فالأفكار محكمة والأخلاق لها مجراها أما السيل العرم فهل يمكن أحد أن يحكمه؟ هل له مجرى؟ هل له موعد يفيض فيه؟ ويصور المؤلف أن تدفق السيل العرم يتجاوز الشواطئ والقناطر ولا يمكن إيقافه ولا يمكن حساب جريانه وكذلك الدوافع الإنسان وسوراته وقد تتجاوز كل الحدود ولا يمكن إيقافها ولا يمكن حسابها.

وفي الجملة كأن الكاتب يشبه نفس الإنسان بالنهر أو الماء فالأفكار كالسفينة الطافية على النهر والأخلاق كالنهر المتدفق والدوافع كالسيل العرم. ومن كل هذا يتبين أن الدوافع شيء لا يمكن السيطرة عليه ولكن يصور العقاد في صورة فنية رائعة أن عمر رضي الله عنه كان قادرا على أن يحكم مشاعره ودوافعه وسورته كالسيل العرم. واحتج لهذا من أكثر اللحظات عاطفية ذاك قصة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وموقف عمر رضي الله عنه يوم وفاته ورد فعله ذلك اليوم وهو يقول " ولا أحسب أن قلبه الكبير جمحت به في الجاهلية أو الإسلام سورة أكبر من سورته، يوم نعي النبي إلى المسلمين، فأنكر أن ينعى، وأبي أن يسمع صوتا بين المسلمين يزعم أن محمدا قد مات، وصاح والناس في رهبة منه، كرهبتهم من شبح الموت المخيم يومئذ على الروس: «والله إني لأرجو أن تقطع أيدي رجال وأرجلهم، يزعمون أنه قد مات"

<sup>٤٩٦</sup> نفس المرجع، ص ٤٥

وإنه يتحدث عن حاله وحال الناس منه ذلك اليوم وشبه رهبة الناس منه برهبة شبح الموت المخيم على رؤوسهم واستطاع الكاتب أن يصور شدة خوفهم من عمر رضي الله عنه بهذا التشبيه وتمكن أن يأتي صورة شبح الموت يقوم فوق رؤوسهم وعمر رضي الله عنه يصيح بينهم، ولا يخاف إنسان من شيء أكثر مما يخاف من الموت في هذه الحياة الفانية.

ثم يقدم العقاد أن عمر رضي الله عنه تمكن أن يسيطر على دوافعه وهو يبين دخول أبي بكر رضي الله عنه إليهم بينما كان عمر رضي الله عنه في هذه الحال وخطب الناس وأقنعهم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسرعان ما أدرك عمر رضي الله عنه الحقيقة أن عاد إليها وتغير موقفه وقد تناولها الكاتب فنيا وهو يقول:

" فأهوى عمر إلى الأرض وأناب.

يا لروعة الشلال الزاخر؟

ويا لروعة السابح القاهر الذي لوي به ليا، كأنما قبض منه على عرف، وأخذ له بعنان!"<sup>٤٩٧</sup>

يلاحظ أن الكاتب يصور أن عمر رضي الله عنه لما علم الحق غير دوافعه وسوراته بسبب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كالسيل العرم شلالا زاخرا وأتى إلى ذهن القارئ بأن السيل العرم يتشابه بشلال الزاخر في تدفق الماء أما السيل العرم فليس له مجرى، وليس له موعد يفيض فيه وله عواقب وخيمة. أما الشلال الزاخر فله مجراه وموعده ثم بعد ذلك منظر الشلال يسر الناظرين.

وكذلك صور تحكم عمر رضي الله عنه على دوافعه وسوراته كأنه يسيطر على فرس سريع كبير بأخذ عنانه. وفيه تشبيه الدوافع "بالسابع القاهر"<sup>٤٩٨</sup>. ويفيد هذا التشبه أن عمر رضي الله عنه كان يعلم أن يحكم على عواطفه ومشاعره كأن الفارس الذي يعلم أن يسيطر على فرسه بليه وبأخذ عنانه.

<sup>٤٩٧</sup> نفس المرجع، ص ٤٥

<sup>٤٩٨</sup> فرس سريع كبير

وقد خاض العقاد في حديث عن نفسية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولخص أن الصفات التي كانت بارزة في شخصيته خمس وهي العدل والرحمة والغيرة والفتنة والإيمان. ويصور الكاتب أن من أعجب الأمور وأندرها في نفس عمر هو اجتماع هذه الصفات الخمس على هذا التركيب وهو يقول " إلا أن هذا وذاك ليس بأعجب الملاحظات، ولا أندرهما في هذا السياق إنما العاجب حقا هذا التركيب الذي ندر مثيله جدا بين خصائص النفوس كائنا ما كان..."<sup>٤٩٩</sup>

ثم بعد ذلك يثبت أن اجتماع هذه الصفات في عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو تركيبية لا التركيب ثم يبين هذه التركيبية ويصورها بتشبيهه في جميل وهو يشبه هذه التركيبية بتركيبية الدواء وهو يقول " وأحرى بنا أن نقول «هذه التركيبية» ولا نقول هذا التركيب، لأن صفاته الكبيرة تتركب كما تتركب أجزاء الدواء، الذي ينفع لغرض واحد مفهوم، والذي ينقص جزء منه، فينقص نفعه كله، ويدخله التناقض والاختلاط."<sup>٥٠٠</sup> فتمكن الكاتب أن يعبر أن كل واحد من الأدوية تصنع لمرض معين من مكونات معينة إذا زادت مكونة من مكوناتها أو نقصت ثم لا تنفع هذا الدواء لتلك الداء.

وكذلك صفات عمر إذا نقص شيء من إحدى صفاته يذهب نفع صفاته كلها وهذا ما صرح العقاد بنفسه مفصلا وهو يقول " ما العدل مثلاً بغير الرحمة التي تمزجه بالإحسان؟ وما العدل والرحمة معا بغير الحماسة الروحية، والغيرة اليقظى التي تجعل كراهة المرء للظلم، كأنها كراهة الضرر الذي يصيبه في نفسه وآله، وتجعل حبه للعدل كأنه حب هواه، وقبله مناه؟ وما العدل والرحمة والغيرة جميعا بغير فتنة تضع الأمور في مواضعها، وتعصم المرء أن ينخدع لمن لا يستحق، ويغفل عن من يستحق وهو حسن القصد غير متهم الضمير؟ وما العدل والرحمة والغيرة والفتنة بغير الإيمان الذي هو الرقيب الأعلى فوق كل

<sup>٤٩٩</sup> نفس المرجع، ص ٤٧

<sup>٥٠٠</sup> نفس المرجع، ص ٤٧

رقيب، والوازع الأخير بعد كل وازع، والمرجع الذي لا مرجع بعده لطالب الإنصاف؟ كل صفة تنمة لجميع الصفات . وكل الصفات روافد لغرض واحد، يتم به نصر الحق وخذلان الباطل.<sup>٥٠١</sup>

وقد أضاف العقاد إلى سيرة عمر رضي الله عنه ما لم يصف به أحد من كتاب السيرة ومن ذلك أنه يزعم أن لكل شخصية من الشخصيات مفتاحا يتمكن به فتح أبوابها ويمكن الدخول إليها وشبه مفتاح الشخصية بمفتاح البيت وهو يقول " مفتاح الشخصية هو الأداة الصغيرة التي تفتح لنا أبوابها تنفذ بنا وراء أسوارها وجدرانها، وهو كمفتاح البيت في كثير من المشابه والأغراض، فيكون البيت كالحصن المغلق، ما لم تكن معك هذه الأداة الصغيرة التي قد تحملها في أصغر جيب، فإذا عالجتها بها فلا حصن ولا إغلاق. وليس مفتاح البيت وصفا له ولا تمثيلا لشكله واتساعه كذلك مفتاح الشخصية ليس بوصف لها، ولا بتمثيل لخصائصها ومزاياها ولكنه أداة تنفذ بك إلى دوائرها ولا تزيد."<sup>٥٠٢</sup>

فاستطاع المؤلف بهذا التشبيه أن يلقي إلى قلب المتلقي أنه إذا فقد دارس الشخصيات أو جهل عن مفتاح شخصية ما فلا يمكن الدخول إلى داخلها كما إذا فقد صاحب البيت مفتاح بيته. ووصف مفتاح الشخصية بوصف مفتاح البيت لأننا لا يمكننا أن نصف البيت بصفة المفتاح ولا يمكن أن نحسب حجم البيت من حجم المفتاح ولا يمكن تصور تصميم البيت من شكل المفتاح وكذلك مفتاح الشخصية عند العقاد.

ويقدم الكاتب أن مفتاح شخصية عمر رضي الله عنه هو "طبيعة الجندي" ثم فصل مفصلا عن صفات الجندي ويثبت هذه الصفات في عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالأدلة والشواهد، ومما يقول العقاد أن طبيعة الجندي كانت في عمر رضي الله عنه تامة حيث اجتمعت فيه جميع الصفات للجندي وهو يقول " فطبيعة الجندي في الفاروق تامة متكاملة بأصولها وفروعها، ويندر أن تتم طبيعة شاملة في رجل واحد، إلا أن يكون كعمر في أصالة الطبع وصراحته وخلوصه واتساقه، فلا يخذل منه جزء جزءا، ولا تقبل منه وجهة حيث تدبر أخرى، وحينئذ

<sup>٥٠١</sup> نفس المرجع، ص ٤٨

<sup>٥٠٢</sup> نفس المرجع، ص ٥١

لا عجب أن تنم له طبيعة واحدة بالغة ما بلغت من تعدد العناصر والألوان والشيات. كما أنه لا عجب أن يشبه الولد أباه؛ لأنه أصيل صريح النسب، بالغاً ما بلغ التعدد في مشابه الأخلاق والجوارح والأعمال.

"

ويؤكد العقاد أن طبيعة عمر رضي الله عنه هو طبيعة الجندي وهذه طبيعة أصيلة فيه لذا يكون جميع أعماله متصفة بطبيعة الجندي. ويظهر بعد ملاحظة التعبير " لا عجب أن يشبه الولد أباه " أنه تمكن به أن يوضح حجته ويثبتها أنها ممكنة ولا غرو في حدوثها. ومعلوم عند الجميع أن الابن يشبه أباه وقد يشبه أباه في صفات عديدة ولا نجد فيه شيئاً من العجب وكذلك لا عجب في رجل كانت طبيعته " طبيعة الجندي " أن يكون جميع أعماله متصلة بها.

ويثبت الكاتب أن عمر رضي الله عنه أسلم بأسباب عدة وما كان إسلامه لسبب واحد ويصور أن أبواب الإسلام كلها كانت مفتوحة أمام عمر رضي الله عنه إلا باباً واحداً وهو باب العداة لما تفتح هذا الباب أيضاً أمامه ولم يلبث عمر رضي الله عنه أن يدخل الإسلام وقد عبر العقاد هذا رائعاً وهو يقول " فإذا تفتحت هذه الأبواب جميعاً بين عمر والإسلام، فباب واحد موصل لن يحجبه طويلاً عن هذا الدين، ولن يحجب هذا الدين طويلاً عنه.

وقد تفتحت في يوم من الأيام.

تفتحت كلها فدخلها دخول العاصفة من جميع الأبواب وأسلم الجاهلي الشريف كما كان ينبغي أن يسلم. " ٥٠٣

وإن الكاتب تمكن بعبارة " تفتحت كلها فدخلها دخول العاصفة من جميع الأبواب " أن ينقل إلى خيال القارئ صورة العاصفة التي تدخل البناء من كل أبوابها وكذلك قام بتصوير سرعة دخوله الإسلام بتشبيهها بسرعة العاصفة وكذلك تفيد هذه العبارة مرة ثانية أن إسلامه لم يكن من باب واحد بل كان من أبواب

٥٠٣ نفس المرجع، ص ٧٣

عدة كما دخلت العاصفة.

وتحدث العقاد بعد قصة إسلامه عما صنع الإسلام بالناس خاصة ما صنع بالصحابة فصور أن الإسلام جعل كل واحد منهم في موضع مناسب يستحقه ويرى أن دين الإسلام هو قدرة بانية منشئة من الله حيث يقوي الضعيف ويزيد قوة الأقوياء ويرشدهم إلى صراط مستقيم، والإسلام أعطى لحياتهم المعنى والترتيب وقد عبر في أسلوب فني وهو يقول "وكان يدا خالقة حاذقة تأخذ الحجارة المبعثرة في التيه، فإذا هي صرح له أساس وأركان، وفيه مأوى للضمائر والأذهان. جاهلي كسبه الإسلام فكسبه العالم الإنساني كله إلى آخر الزمان... ونفس ضائعة ردت إلى صاحبها فعرف منها ما كان ينكر، واطلع منها على ما كان يجهل، ونفع بها أمتة وأما لا تحصى، صنع بها الإسلام أعظم وأفخر ما تصنعه قدرة بناء وإنشاء، حيثما كانت قدرة بناء وإنشاء"<sup>٥٠٤</sup>

وإنه شبه إنشاء الإسلام الأمة بإنشاء صرح وبهذا التشبيه تمكن أن يصور أن الصحابة كانوا كأحجار مبعثرة في التيه ولا موضع لها ولا المعنى في الجاهلية ولما جاء الإسلام فرتبهم كما ترتب الأحجار في الصرح الذي له أساس وأركان حيث كان لهم موضع ومهمة. ويقدم لو لا الإسلام لما انتفع بعمر بن الخطاب رضي الله عنه أمتة وأمم بعده والعالم الإنساني كله.

ويستمر العقاد بتفصيل ما صنع الإسلام بعمر رضي الله عنه وما شاهدت الأمم من الأمور المعجبة منه ومن ذلك عدله وهو يقول "رأت كيف يصبح العدل والحق طبيعة حياة، وكيف يصبح مخلوق من اللحم والدم، وكأنه لا يأكل طعامه ولا يروى ظمأه إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه لا يصحو ولا ينام إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه لا يتنفس الهواء إلا ليمتنع الظلم عن الناس وتدول دولة الباطل بين الناس."<sup>٥٠٥</sup>

<sup>٥٠٤</sup> نفس المرجع، ص ٧٤

<sup>٥٠٥</sup> نفس المرجع، ص ٧٤



وإنه تمكن أن يعبر بقوله " كيف يصبح مخلوق من اللحم والدم .....إلخ" ما صنع عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مجال العدل كان فوق قدر كل مخلوق عادي وتمكن الكاتب أن يعبر فيه عن عجبه من عدله، أي كيف يكون مخلوق من اللحم والدم عادلاً مثله. وإنما يقول الكاتب أن عمر رضي الله عنه التزم العدل في جميع جوانب حياته ولكنه لم ينقل هذه الفكرة في جملة عادية بل أتى في أسلوب رائع وأغلق كل أبواب الشك الذي قد يخامر إلى ذهن القارئ في عدله ولم يشك شاك أنه ترك العدل في لحظة من لحظات حياته بعد عبارته هذه " وكأنه لا يأكل طعامه ولا يروى ظمأه إلا ليعدل ويعرف الحق، وكأنه لا يصحو ولا ينام إلا ليعدل ويعرف الحق، " ولما قال " وكأنه لا يتنفس الهواء إلا ليمتنع الظلم ..... " تمكن أن يعبر أنه كان يعدل حتى في جميع دقائق حياته لأن الرجل لا ينقطع عن التنفس إلا بوفاته.

وعدل عمر رضي الله عنه معروف عند كل مثقفين وكان عادلاً حتى أصبح مثلاً يضرب به في العدل وقد قام الكاتب بتصوير عدله ما لم يصوره أحد وهو يصور أن عناية عمر رضي الله عنه بالعدل والحق في صورة جميلة بديعة وقد شبه العدل والحق بدين عليه وهو يقول " وكأننا العدل والحق دين عليه يطالبه به ألف غريم، وهو وحده أقوى في المطالبة بهما من ألف غريم." <sup>٥٠٦</sup> وإن الكاتب تمكن بتشبيه الحق والعدل بدين أن يعبر أنهما كانتا من واجباته التي يجب عليه أداؤها لأن الدين هو " ما يقترضه الإنسان من شخص ما على أن يؤديه في وقت معين " <sup>٥٠٧</sup> وكذلك استطاع أن يبين بهذا التشبيه أنه أخذ من الناس عدلهم وحقهم كالدين وعليه أن يؤديه إلى رعيته.

ولم يكتف الكاتب بهذا التشبيه بل قام ببيانه وهو دين عليه يطالبه به ألف غريم وإذا طلب غريم واحد الدين من المدين عليه أداؤه، فكيف تكون عنايته لأدائه إذا طلب منه ألف غريم؟ وقد صور الكاتب أن عمر

<sup>٥٠٦</sup> نفس المرجع، ص ٧٤

<sup>٥٠٧</sup> المعاني

ﷺ كان قادرا أن يطالب هو نفسه من نفسه الحق والعدل كالدين كمطالبة ألف غريم، بل كان أقوى في المطالبة بهما من ألف غريم.

ويعتقد العقاد أن العدل من صفاته الأصيلة ويرى كانت هذه الصفة موجودة فيه حتى في الجاهلية وكذلك تتجلى هذه الصفة عند إسلامه وقد ضرب عمر بن الخطاب ﷺ كثيرا من الناس بسبب إسلامهم في جاهليته ولما أسلم تعرف أنه قد ظلم المسلمين وعزم أن يقيم العدل في شأنه فخرج إلى الناس يطلب منهم أن يضربوه. وبعدهما ذكر هذه القصة يصور العقاد أنه فعل ذلك لأن العدل كان من حواس بدنه وهو يقول "وما يشعر أنه وفى لله دينه، وقد ضرب ولم يضرب، وأذى أناسا ولم يؤذ أحد، وما تهدأ حاسة العدل فيه، وقد كانت كأنها من حواس بدنه، إلا أن يحس القصاص في نفسه كما أحس المضروبون بالأمس عدوانه في أنفسهم".<sup>٥٠٨</sup> وقد شبه الكاتب عدله بحاسة من حواس بدنه وتمكن به أن ينقل إلى ذهن القارئ أن صفة العدل كانت تلازمه في جميع أموره كما تلازمه حاسة بدنه.

وكذلك صور نفس المعنى مرة أخرى في صورة فنية وهو يقول "رسخت في طويته خليقة المساواة في العدل حتى أصبحت كالوظيفة العضوية"<sup>٥٠٩</sup> حيث تمكن أن يصور أن المساواة كانت كعضوه تلازمه حيثما هو في جميع المواقف والحالات.

كان عمر ﷺ زاهدا كما كان عادلا حتى قيل إنه إمام الزاهدين وقد صور الكاتب زهده وجيزا رائعا وكان عمر ﷺ لا يأخذ من مال المسلمين إلا لحاجته حتى لا يسمح لنفسه بما يباح للمسلمين وإن وجد ما يغنيه عن مال المسلمين كف يده عنه. وقد صور الكاتب مقدار ما كان يأخذ من بيت المال وقد اقتبس قول عمر ﷺ نفسه لتصويره وهو يقول "ألا وإني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة ولى اليتيم، إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، تقرم الهيمة الأعرابية: القضم لا الخضم".<sup>٥١٠</sup> ثم بين العقاد هذا في قوله

<sup>٥٠٨</sup> نفس المرجع، ص ٧٥

<sup>٥٠٩</sup> نفس المرجع، ص ٢٠٤

<sup>٥١٠</sup> نفس المرجع، ص ٩٥

كما تأكل ماشية البادية قضمًا بأطراف أسنانها لا مضغًا وطحنًا بأضراسها. " وقد شبه أكله من بيت المال بأكل ماشية البادية وإن الكاتب تمكن أن يصور أنه كان يأكل مقدارًا قليلًا من مالهم بهذا التشبيه في صورة رائعة لأن الطعام ما يأكل بأطراف الأسنان يكون خفيفًا قليلًا ولا يحتاج الإنسان إلى أضراسه ليمضغه وليطحنه إلا إذا كان طعام صلبًا قاسًا وكثيرًا.

وقد تحدث العقاد عن علاقة عمر رضي الله عنه مع الصحابة مفصلاً وجعل باباً خاصاً في ذكر علاقته معهم باسم " عمر والصحابة" وأتى بأقوال كثيرة للصحابة والتابعين في مدحه ثم بين الأسباب التي جعلتهم يمدحونه هذا المدح الكريم وكان عمر رضي الله عنه يرمى قدر الصحابة والتابعين كما رعوا قدره وكانت معاملته معهم قائمة على الحق وحده وكان لا يقدم أحداً أو يؤخره من الصحابة على غيرهم إلا بالحق هو يقول " لكنه الحق فوق كل قدر عند هذا القسطاس الذي يعطى كل ذي قدر قدره حيث ينبغي له من تقديم وتأخير، فيقدم من يقدمه عمله ويؤخر من يؤخره عمله ولا عليه من غضب الغاضبين ولوم اللاتمين." ومن أمثاله أن عمر رضي الله عنه قدم أبا عبيد بن مسعود على الصحابة لقيادة لغزو العراق محتجاً أنه أول من أجاب لدعوة الجهاد وكذلك قدم بلالا وصهيباً على أبي سفيان رضي الله عنهم.

وقد صور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان لا يقدر قدر الصحابة إلا بالحق وهو يقول في صورة رائعة "على هذا الوجه وحده ينبغي أن نفهم كل علاقة كانت بين عمر وبين أحد من أكابر الصحابة والتابعين، فهو القسطاس الذي لا يجور، وكأنه لا يعرف الجور لو شاء."<sup>٥١١</sup> وإن الكاتب شبه عمر رضي الله عنه بالقسطاس في موازنة الرجال وتقديرهم، والقسطاس يزن الأشياء كما هي لا يزيد في الوزن ولا ينقص فيه وكذلك كان عمر رضي الله عنه يزن قدر الصحابة حق الموازنة فإذا وجد أحداً متقدماً في الخير قدم على غيره وإذا وجد متأخراً فيه أخره على غيره ثم زادت روعته لما أضاف " كأنه لا يعرف الجور لو شاء " تمكن بهذا التشبيه أن يعبر أن عمر رضي الله عنه كان لا يقدر أن يظلم ولو شاء لأنه يزن كما يزن الميزان فلا يزن الميزان إلا حسب الموزون ليس أقل أو أكثر.

<sup>٥١١</sup> نفس المرجع، ص ١٥٥

قام العقاد ببيان معاملة عمر رضي الله عنه مع النساء مفصلاً وكذلك تناول غيرته في صورة شافية واضحة وكان عمر رضي الله عنه أشد حذراً من فتنة النساء وهو يصور في صورة رائعة حيث يقول " أكتف ما تكون الدروع أرق ما يكون الموضع الذي يلها وأخوفه من الإصابة.. فانظر أين الموضع الحصين المحمي فهناك الموضع اللين الذي يخاف عليه ولا يخدعك عن ذلك خادع من إظهار أو تظاهر غير مشعور به، وغير مقصود. أين أكتف ما تكاثفت الغلظة فيه من درع عمر التي عنيها؟ المرأة ولا نزاع"<sup>٥١٢</sup>

وإن الكاتب شبه غلظة عمر رضي الله عنه بدرع ثم بين أكتف ما يكون الدرع هو الموضع الذي يكون يليه أرق وألين الأشياء، والموضع الذي يخافه صاحب الدرع أشد خوفاً من تعرض الهجمات. ثم بين أشد ما كان يخافه عمر رضي الله عنه هو النساء. وبهذا التصوير الرائع تمكن الكاتب أن يصور أن عمر كان أشد غلظة في شأن النساء ثم تمكن الكاتب أن يبرر أن هذه الغلظة لم تكن من باب الإساءة ولكن من باب الإحسان للأمة وإنما كان عمر رضي الله عنه يغلظ على شأن النساء بشدة حذره من فتنتهن. ومن ذلك أنه " توجس من زواج المسلمين ببنات الأعاجم، لم يتوجس منه لأنه حرام بل لأن " في النساء الأعاجم خلافة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نساءكم."<sup>٥١٣</sup>

قد جمع العقاد أخباراً وقصصاً عديدة عن حياة عمر رضي الله عنه مع أهله في باب خاص وسماه "عمر في بيته" وبين فيه معاشرته مع زوجاته وبين حبه لأبيه وصور حبه لأخيه تصويراً رائعاً. وبعدما ذكرها مفصلاً وهو يلخص " أن قليلاً من الآباء من أحب أبناءه كما أحب أبناءه كما أحب عمر أبناءه وإن قليلاً من الإخوة من أحب أخا كما أحب عمر زيدا أخاه.... بل إن قليلاً من الأصدقاء من أخلص لأصدقائه وعشرائه كما أخلص عمر لكل صديق وعشير."<sup>٥١٤</sup>

<sup>٥١٢</sup> نفس المرجع، ص ١٩١

<sup>٥١٣</sup> نفس المرجع، ص ١٩١

<sup>٥١٤</sup> نفس المرجع، ص ١٩٤

ثم يصور العقاد أن حب عمر رضي الله عنه ورحمته لأهله وأصدقائه كان لا يراه كل ناظر فجأة وإنما يراه فجأة هو شدته وغلظته فعليه أن يبحث هذه الرحمة والحب وراء شدته وغلظته حيث يصور الكاتب تصويراً رائعاً مفصلاً وهو يقول "فإذا أردنا أن ننقب عن وشائج الرحم وصلات المودة في نفس هذا الرجل المخيف فلننقب عنها في ينابيعها الخفية التي تسري منها وترقرق في نواحيها، ولا ننقب عنها في الصخور التي تكتنفها وتطفو عليها وترفع أعلامها.

أو نحن حريون أن ننقب عنها بين هذه الصخور والأعلام ولكن على هدى وبصيرة. فلا نقتع منها برأي العين من بعيد أو قريب، ولا تغتر بما تبديه كأنه كل شيء تحتويه.

فما هذه الصخور والأعلام التي كانت تروع الناظر من هيئة عمر ومن ملامح سيماها؟ هي مظهر قدرته على نفسه لا أكثر ولا أقل، وهي الحارس اليقظ الذي يحمي تلك النفس أن يتسرب إليها الوهن وأن تؤخذ على حين غرة، من حيث يخاف عليها.

والمرء لا يعتصم بقدرته على نفسه وهو آمن، ولا يوقظ الحارس على دخيلته وهو وادع في سريه.. إنما يعتصم بقدرته ويوقظ حارسه حين يحذر، وإنما يحذر من الطارق الذي لا يستهين به ولا يزال على رقبة منه. " ٥١٥

ومن المعلوم حينما نبحت الماء في الأرض بحفر بئر أو بركة أو نحوهما ولا نبحت الماء فوق الصخور وإنما نبحت الماء في ينابيعها الخفية التي يجري منها وترقرق في نواحيها، ولا ننقب عنه في الصخور التي تحيطه وتطفو عليه وترفع أعلامه وكذلك رحمته ومودته لأهله ولغيره ولا نراها ولا نبحتها في مظهره كالصخور والأعلام وبل علينا أن نبحت في ينابيعها. وإن الكاتب شبه الصخور والأعلام بمظهر عمر رضي الله عنه من الشدة والغلظة ثم يبين أنها قدرته على نفسه تحميه من الوهن أو هو الحارس اليقظ الذي يحميه من الوهن.

٥١٥ نفس المرجع، ص ١٩٤

وتمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القراء بأن من الجهالة أن نبحت عن رحمته وحبه في شدته وغلظه التي هي من مظهره التي تحميه من وهن كما أن نبحت الماء فوق الصخور ولا يرى الماء إلا في الينابيع وكذلك رحمته ولا نراها إلا وراء غلظته وشدته. وكذلك تمكن الكاتب أن يأتي بصورة قلب عمر رضي الله عنه الذي تحيطه الغلظة والشدة مملوء بالرحمة والمودة كصورة الينابيع التي تحيطه الصخور والأعلام.

وقد قدم العقاد "طبيعة الجندي" مفتاحاً لشخصية عمر رضي الله عنه. ويشرح أن مفتاح الشخصية يكون واضحاً في الشخصيات الكاملة ويكون غير واضح في الشخصيات المنقوصة. ويعد الكاتب عمر رضي الله عنه من الشخصيات الكاملة فمن الممكن أن يوصف عمر رضي الله عنه بمفتاح الشخصية في صورة واضحة وعبر الكاتب عن هذا في تصوير فني وهو يقول " قد تحيرنا هذه الشخصية المنقوصة ولا تحيرنا الشخصية الكاملة التي تروعا بفضائلها ومزاياها، ثم لا نستعرب منها فضيلة أو مزية، بالقياس إلى انتظام عملها، واتصال أثرها، كالشمس الطالعة تروعا بإشراقها في أوقاتها وبروجها، ثم لا تحيرنا لمحة عين، كما تحيرنا الذبالة الضئيلة، تومض لحظة وتختفي من بعيد." <sup>٥١٦</sup> فتمكن الكاتب أن يعبر بهذا الأسلوب الرائع أن مفتاح الشخصية واضح في الشخصيات الكاملة مثل شخصية عمر رضي الله عنه وهو واضح كإشراق الشمس ولا يتحير أحد في إشراقها بعد إشراقها. أما في الشخصيات المنقوصة فهو مهم كالذبالة الضئيلة قد يتحير ناظرها في إيماضها.

وقد تحدث العقاد عن علاقة عمر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم مفصلاً حتى جعل باباً مستقلاً في ذكر علاقتهما وكان عمر رضي الله عنه يقوم بجانب النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده بقوته وبأسه ومن تأييده للنبي صلى الله عليه وسلم أنه أشار إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقتل رئيس المنافقين عبد الله أبي بن سلول وكذلك أشار إليه أن ينزع ثنثي سهيل بن عمرو رضي الله عنه لما أسر في بدر وغيرهما من الأحداث ويقدم العقاد أن هذه الأعمال لعمر رضي الله عنه من شعوره بالواجب للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن يعرض أمام النبي صلى الله عليه وسلم أقصى ما عنده من القوة ثم يترك النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منها ما يشاء وقام العقاد بتصويره في مثل رائع وهو يقول "مثل عمر في هذه المواقف مثل صاحب المال تنزل الضائقة الحازبة فيبسط ما عنده

<sup>٥١٦</sup> نفس المرجع، ص ٥٢

من المال جميعا ويدع للوالي القائم بالتدبير ما يختار من ماله مقدار ما يريد وذلك أفضل الحسنين وأكرم الواجبين، وهو الواجب الذي يليق بعمر في صحبة الرسول.<sup>٥١٧</sup>

وقد شبه الكاتب في هذا التمثيل عمر رضي الله عنه بصاحب المال وشبه النبي صلى الله عليه وسلم بالوالي. وهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن المتلقي بصور عديدة حيث صور شعور عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالواجب كشعور صاحب المال بواجبه عند نزول النازلة فعليه أن يخرج كل ما عنده من المال ويعرضه أمام الوالي لكي يختار من المال حسب الحاجة وكذلك شأن عمر رضي الله عنه أنه كان يعتقد أن من واجبه أن يعرض أمام النبي صلى الله عليه وسلم كل ما عنده من البأس لكي يختار ويأخذ من قوة عمر وبأسه رضي الله عنه حسب الحاجة ويترك ما زاد على الحاجة عنده.

وكذلك صور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان ناصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يطيعه حيث أمر ويمثل الكاتب ذلك في أسلوب رائع وهو يقول " كان سيفاً للرسول إن شاء ضرب به وإن شاء أغمده في قرابه وأنه كان جلوازه القائم بين يديه وليس من شأن الجلواز أن يمسك كثيراً أو قليلاً من بأسه حتى يؤمر بإمساكه، ويرد إلى الهوادة واللين"<sup>٥١٨</sup> وقد شبه الكاتب عمر رضي الله عنه بالسيف عند الرسول صلى الله عليه وسلم وتمكن بهذا التشبيه أن يصور صورة محارب يحارب بسيفه متى شاء وأغمده متى شاء وكذلك عمر رضي الله عنه كان سيفاً في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفيد به وقوته متى شاء وكيف شاء. وكذلك شبه الكاتب عمر رضي الله عنه بالجلواز للنبي صلى الله عليه وسلم، الجلواز هو الشرطي، والشرطة هي قوة رسمية وظيفتها الحفاظ على النظام العام، وتطبيق القانون الذي تشكله الحكومة فعلى الشرطي أن يفعل ما تأمر به الحكومة بغض النظر عن صوابه أو خطأه وكذلك شأن عمر رضي الله عنه لا يجوز له أن يمسك من بأسه كما يشاء بل يمسك كما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد تحدث العقاد عن علاقة بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مفصلاً ويعتقد أن ما جرى بين عمر وأبي بكر رضي الله عنهما من حوار يوم بيعة أبي بكر رضي الله عنه كافي أن يبين علاقتهما شاملاً حيث يقول " قال عمر: إنك

<sup>٥١٧</sup> نفس المرجع، ص ١٣٦

<sup>٥١٨</sup> نفس المرجع، ص ١٣٦

أفضل مني. وقال أبو بكر: إنك أقوى مني. وقال عمر: إن قوتي لك مع فضلك.<sup>١٩</sup> وكان عمر رضي الله عنه يساعد أبا بكر رضي الله عنه بالمراجعة كما كان يساعد النبي صلى الله عليه وسلم بالمراجعة. ولقد كان من فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه كان يراجع أبا بكر رضي الله عنه في خلافته حتى يرجع عن رأيه وبلغت هذه المراجعة إلى حد أن يقول بعض الناس: والله ما ندري أنت الخليفة أم عمر؟ فيقول أبو بكر رضي الله عنه: هو لو كان شاء. وأن عمر رضي الله عنه خالف أبا بكر رضي الله عنه في كثير من أمور الدولة الإسلامية وسياستها ومن خلاف بينهما: أن أبا بكر يرى أن يقاتل مانعي الزكاة بينما كان عمر رضي الله عنه يقول كيف نقاتل من قال لا إله إلا الله، ومن خلافهما: أن عمر رضي الله عنه رأى أن يعزل خالدًا رضي الله عنه بينما أبا بكر رضي الله عنه أن يعزله قاتلا وهو سيف الله وكذلك خالف أبو بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه في كثير من الأمور.

ثم يصور العقاد مراجعة عمر لأبي بكر رضي الله عنهما والخلاف بينهما كخلاف الرجل الواحد ومراجعته بين رأيين في نفسه حيث يقول العقاد "بل كان الرجلان على اختلافهما في المزاج كأنهما رجل واحد يراجع نفسه بين الرأيين المختلفين، حتى يستقر على أحدهما فإذا هو رأي جميع لا خلاف فيه، لأنهما يصدران عن عقيدة واحدة، ويتجهان إلى غرض واحد، فهما غير متفرقين إلى عمد طويل."<sup>٢٠</sup> وقد شبه الكاتب مراجعة عمر رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه كمراجعة رجل واحد بين الرأيين المخلفين في نفسه وتمكن بهذا التشبيه أن يعبر مهما كان الاختلاف بينهما في الآراء فإذا اختار ولي الأمر أبو بكر رضي الله عنه رأيا منها بعد المراجعة مع عمر رضي الله عنه فكان يرجع إلى رأيه ثم يستقر عليها كأن لم يكن الخلاف بينهما كما إذا وقع الخلاف في نفس رجل واحد بين رأيه ثم يختار ما يحسبه الخير بعد الموازنة بنفسه ثم لا يلوم نفسه لاختياره. وكذلك كان مثل أبي وعمر رضي الله عنهما.

<sup>١٩</sup> نفس المرجع، ص ١٤٨

<sup>٢٠</sup> نفس المرجع، ص ١٤٩



## التصوير بالاستعارة

التصوير بالاستعارة أمر واضح في صفحات كتاب 'عبقرية عمر'. وقد حلل العقاد صفات عمر رضي الله عنه تحليلاً دقيقاً ويعتقد أن كل واحد من صفاته تكونت من أسباب عدة وليس من سبب واحد وعلى سبيل المثال يرى أنه كان عادلاً لأسباب عدة لا لسبب واحد فذكر هذه الأسباب. وقد عبر هذا العقاد في عبارة رائعة وهو يقول "أن الصفة الواحدة تستمد عناصرها من روافد شتى، ولا تستمدتها من ينبوع واحد، ثم هي مع ذلك متفقة لا تتناقض متساندة لا تتخاذل، كأنها لا تعرف التعدد والتكاثر في شيء".<sup>٥٢١</sup>

وإن الكاتب استعار كلمتي روافد وينبوع واستخدمهما في غير معناهما الأصلي. فاستخدم "روافد شتى" في معنى الأسباب الشتى واستخدم "ينبوع واحد" في معنى سبب واحد. وفي الجملة صور الكاتب أن صفته كنهر يستمد من روافد شتى وأنها ليست كنهر يستمد من ينبوع واحد. أو بعبارة أخرى أن صفته تستمد من أسباب شتى ولا تستمد من سبب واحد.

وكانت الرحمة صفة مكينة في نفس عمر رضي الله عنه. ويرى العقاد أنه لا يتيسر لناظر أن يرى هذه الرحمة إلا بعد تروية. ويقدم الكاتب أن شدته وهيبته كانت نقاباً لرحمته الجمة التي كانت في قلبه وقد صور ذلك رائعاً بعد كلامه عن حبه الشديد لأخيه وكثرة بكائه لوفاته وهو يقول "هذا هو عمر من وراء النقاب.. فما كان أحوجه رضي الله عنه إلى ذلك النقاب، وما أقل الغرابة من الشدة الهيبة، حين ينفذ الناظر إلى ما وراءه فيرى مكان الحاجة إليه".<sup>٥٢٢</sup> يلاحظ أنه شبه شدته وهيبته بالنقاب الذي يستر رحمته كما يستر النقاب الحقيقي ما وراءه وتمكن أن يعبر لو لا هذا النقاب قد تغلب عليه رحمته. وكذلك استطاع أن يعبر أنه لا يرى رحمته إلا من رفع هذا النقاب فنظر إلى ما وراءه.

<sup>٥٢١</sup> نفس المرجع، ص ٢١

<sup>٥٢٢</sup> نفس المرجع، ص ٣١

وقد اعتنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عناية بالغة بالشورى في جميع أعماله التي تتعلق بالدولة وكان يستشير من الصحابة الذين جمعهم عمر رضي الله عنه عنده ويقدم العقاد أن المشاورة لفرن عسير وكان عمر رضي الله عنه يعرف كيف يستشير وممن يستشير ثم ذكر أثناء كلامه عن المشاورة أنه كان يأخذ الرأي من العدو إذا وجد عنده الحق وهو يقوله في أسلوب جميل " وكان ربما استشار العدو الذي لا يأمنه، كما فعل في سماع رأي الهرمزان في أمر الحرب الفارسية لأنه بصير يطلب نورا، فإن رأى النور استوى لديه أن يحمل له المصباح عدو أو صديق" <sup>٥٢٣</sup>

ولم يستخدم الكاتب كلمتي النور والمصباح في معناهما الأصلي ولكن في معناهما المجازي ولا يقصد بهما إلا الحق والثواب وقد شبه الكاتب الحق والثواب بالنور والمصباح ثم حذف المشبه منهما. فتمكن الكاتب بهذه الاستعارة أن يأتي إلى خيال المتلقي بصورة رجل يحمل المصباح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإذا رأى الحق كالنور في المصباح أخذه بغض النظر عن كونه صديق أو عدو.

وبيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه باب هام من أبواب حياته ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم جاء المهاجرون والأنصار يقولون هم أحق بالخلافة من غيرهم. ويرى العقاد كان موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقفا حاسما في إطفاء نار الخلاف بينهم. وإن الحرص في السلطة أمر قد يؤدي إلى الخلاف والنزاع بين الناس في أغلب الأحيان كما شهدنا مرارا في صفحات التاريخ. ولما رأى الصحابة عمر رضي الله عنه يبايع أبا بكر رضي الله عنه تابعوه في بيعته وقد صور الكاتب أن بيعة عمر رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه قد أبطل الخلاف في صورة فنية وهو يقول " بايع عمر فقطعت جبهة قول كل خطيب" <sup>٥٢٤</sup>

وهذا التركيب من الاستعارة التمثيلية وهو " مثل عربي أصله أن قوما اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حينين قتل رجل من أحدهما رجلاً من الحي الآخر، وإنهم كذلك إذا تجارية تدعى جبهة أقبلت فأنبأهم

<sup>٥٢٣</sup> نفس المرجع، ص ٩٠

<sup>٥٢٤</sup> نفس المرجع، ص ١٤٨

أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه، فقال قائل منهم: «قطعت جبهة قول كل خطيب»، وهو تركيب يتمثل به في كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصل<sup>٥٢٥</sup> وهذا التركيب الفني الوجيه تمكن الكاتب أن يعبر أن عمر رضي الله عنه قطع الخلاف الذي قد يحدث باسم الخلافة بينهم.

ولما تحدث العقاد عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه بين دور عمر رضي الله عنه في إنهاء قضية الاستخلاف بلا خلاف وقد صور الكاتب هذا في تصوير رائع وهو يقول " فكانت البيعة العامة وتركت شجرة الخلاف لجفاف، فإن لم تبذل لساعتها فهي وشيكة ذبول<sup>٥٢٦</sup> فإن الكاتب شبه الخلاف بالشجرة الحقيقية وذكر من لوازمها وهو الذبول والجفاف حيث تمكن نسبة المحسوس إلى المعنى المجردة. ولو شاء الكاتب لقال فكانت البيعة العامة وترك الخلاف لإنهاء. بل صور كأنه شجرة حقيقة ووصفها أنها ذبلت وجفت بموقف عمر رضي الله عنه الحازم في بيعة أبي بكر رضي الله عنه.

ويصور العقاد أن لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حظا وافرا من ذوق الجمال والأدب واللغة وكان يعتنى باللغة العربية عناية بالغة وكان إذا تلفظ فيعطي لكل حرف قدره وصفته ومخرجه والمعلوم أن اللغة العربية سميت بلغة الضاد نظرا لكونها اللغة الوحيدة التي تشتمل على حرف الضاد بالإضافة أن حرف الضاد يعتبر من أصعب الحروف نطقا عند غير العرب ويحكي العقاد أما عمر رضي الله عنه فكان ينطق الضاد من كلي شذقيه وهي تنطق في الأغلب من شذق واحد ثم يقدم الكاتب كانت الخطابة لعمر رضي الله عنه من مهاراته الفطرية حيث يقول " فكان له فم يمتلئ بالكلام حين يخطب كأنه خلق ليقول، ولوحظ أنه كان ينطق ببعض الحروف كالضاد من كلي شذقيه وهي تنطق في الأغلب من شذق واحد<sup>٥٢٧</sup> وقد شبه الكاتب فمه بالوعاء الذي يمتلئ بالكلام ثم حذف المشبه به والكلمات لا تمتلئ في الفم حقيقة بل هو مجازي فهذا من الاستعارة وتمكن أن يعبر أن الكلمات تفيض من فمه المملوء بالكلمات كما يفيض الماء من الوعاء. وكذلك أن الكاتب صور عمر رضي الله عنه كأنه خلق

<sup>٥٢٥</sup> علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص ٩٨

<sup>٥٢٦</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ١٤٨

<sup>٥٢٧</sup> نفس المرجع، ص ١٧٦

ليقول وبهذه العبارة تمكن أن يأتي إلى ذهن القارئ بأن عمر رضي الله عنه إذا تكلم أتقن في كلامه كل الإتقان حتى يظن سامعه إنما تركيز عمر رضي الله عنه وغاية حياته الإتقان في الكلام خاصة في النطق.

وكذلك صور العقاد كتاباته في صورة رائعة وهو يقول "وكتاباته كلها كأنها خطب مرتجلات، تقرأها فكأنك تصغي إلى خطيب لا تفقد منه إلا الصوت المسموع"<sup>٥٢٨</sup> فتمكن الكاتب بهذا التصوير الفني الرائع أن يأتي إلى قلب القارئ كلما يقرأ كتاباته بصورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم أمامه ويخطب ويسمعه ويشعر به ولا يفقد منه إلا صوت الحقيقي.

### التصوير بالتعبير

يلاحظ أن العقاد استخدم التعبير لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا ظاهر لما تناول قصة ابنه عبد الرحمن وقد قام العقاد بتحليل قصة الحد في عبد الرحمن بن عمر رضي الله عنه مفصلاً ذلك لما شرب عبد الرحمن وسروعة الخمر فسكراً فدخل على الوالي عمرو بن العاص رضي الله عنه وطلباً منه إقامة الحد عليهما. وقد صور العقاد هذا الطلب للحد من طبيعة عمر رضي الله عنه التي ورثها ابنه من أبيه. وتمكن الكاتب أن يعبرها في كلمة رائعة وهو يقول "فعبد الرحمن بن عمر يذهب إلى الوالي لأنه شرب شيئاً ظنه غير مسكر، فإذا هو قد سكر منه ولا مناص من إقامة الحد عليه، وإلا رفع الأمر إلى أبيه.. وهي شنشنة عمرية لا لبس فيها، وهو ابن عمر لا مراة."<sup>٥٢٩</sup>

وإنه نسب هذه الطبيعة إلى اسم عمر رضي الله عنه حتى تمكن أن يأتي إلى خاطر القارئ بطبيعة عمر رضي الله عنه مجملاً بمجرد كلمة "عمرية". وكذلك إذا لوحظت كلمة شنشنة<sup>٥٣٠</sup> يظهر صوتها مناسب لطبيعة عمر رضي الله عنه. ولو قال الكاتب بدلها طبيعة عمرية أو غريزة عمرية لما يشعر القارئ بطبيعة عمر رضي الله عنه كما يشعر من كلمة "شنشنة

<sup>٥٢٨</sup> نفس المرجع، ص ١٧٦

<sup>٥٢٩</sup> نفس المرجع، ص ٢٥

<sup>٥٣٠</sup> طبيعة أو غريزة

عمرية" فإن هذه الكلمة فحسب تعبر عن شدته أثناء صوتها.

قام المؤلف بتحليل قصة إسلامه مفصلا ومنها مشهده مع أختها التي أسلمت من قبله ولما علم عمر رضي الله عنه بإسلامها غضب عليها وضرب وجهها فأدمى وقد صور العقاد هذا في تعبير جميل وهو يقول " فإنه ضربها حين علم بإسلامها فأدمى وجهها، فأدركتها الثورة الخطابية التي فيها منها بعض ما فيه، وقالت وهي غضبي: يا عدو الله! أتضربني على أن أوحده الله؟ قال غير مترئس: نعم فقالت ما كنت فاعلا فافعل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لقد أسلمنا على رغم أنفك" <sup>٥٣١</sup>

وإذا لوحظ تعبير "الثورة الخطابية" يظهر أنه أضاف هذه الثورة إلى أبيهما الخطاب. ويتجلى من هذا التعبير أنهما قد اشتركا في هذه الثورة لأن كلا منهما للخطاب. واستطاع أن يصور أن هذه الثورة كانت في عمر رضي الله عنه أوفى من أختها بقوله "منها بعض ما فيه" ذلك إنما كانت الثورة فيها جزء من ثورته بالموازنة وكذلك تمكن للكاتب أن يصور هذه الثورة مرة ثانية في قوله "قال غير مترئس: نعم" يلاحظ منها مع أن أخته ثارت عليه وما أبطأه شيء أن يردّها نعم بكل هذه الثورة.

وقد اشتهر عمر رضي الله عنه بزهده كما اشتهر بعدله وقد قام العقاد بتصوير زهده تصويرا كافيا ومنه أنه كان لا يأخذ من بيت المال إلا لحاجته الأساسية حتى كان لا يبيع لنفسه ما أباح للمسلمين وهو يقول " ولم يكن يبيع من مال المسلمين أجرا لعمله، إلا ما يقيم أوده وأود أهله عند الحاجة إليه" وإن كلمة "أوده" معناها اعوجاج، ولكن لم يرد بها المعنى الحقيقي والمراد هنا لسد حاجته الأساسية وتمكن الكاتب بهذا التعبير أن يعبر أنه كان لا يأخذ من بيت المال إلا لضروراته ولو لا هذا التعبير " يقيم أوده" لم يأت إلى ذهن القارئ بهذه الصورة.

<sup>٥٣١</sup> نفس المرجع، ص ٢٩

قد قدم العقاد أن صفة الغيرة من صفات عمر رضي الله عنه الأصلية وكذلك يرى أن العرب كلهم غيور أما فكانت غيرة عمر رضي الله عنه تفوق غيرتهم وقد عبر العقاد هذا في أسلوب رائع ولا يخطئ قائل إذا قال أنه أتى بمثل جديد في غيرته وهو يقول " فأحرار العرب كلهم غيور، ولكنك إذا قلت 'العربي الغيور' كأنك سميت عمر بن الخطاب"<sup>٥٣٢</sup> تمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن القارئ باسم عمر رضي الله عنه كلما سمع العربي الغيور. ونجح الكاتب في تعبيره أن يزيح تردد السامع إذا سمع العربي الغيور ولا حاجة إلى أن ينسب صفة الغيرة إلى أحدهم لأن العرب كلهم غيور وكذلك نجح الكاتب في تعبيره أن يصور أن عمر رضي الله عنه فاق غيره من العرب في الغيرة. ولو لا هذا التعبير ما أفاد هذا المعنى.

### التصوير بالتجسيم

يلاحظ أن العقاد استخدم التجسيم لتصوير حياة عمر الفاروق رضي الله عنه. وهذا ظاهر لما تناول رحمته. وقد نجح العقاد في إزالة شك الشاكين ورد شبهات المتهمين ومن تهمتهم أن عمر رضي الله عنه كان رجلاً قاسياً لا يرحم. وقد أتى بروايات وقصص عديدة تثبت رحمة عمر رضي الله عنه وبعد الكلام عن رحمته مفصلاً يقول العقاد أن هذه الرحمة ليست مكشوفة للجميع بل إنما يراها من عاشه معايشة طويلة حيث يقول "رحمة عمر رحمة في غلاف، وليست بالرحمة المكشوفة لكل ناظر ولا مس، ولا تطول بالناس عشرته حتى ينقشع هذا الغلاف عن قلب وديع مفعم بالعطف والمودة، مفتوح الجوانب لكل عاطفة كريمة ولو لم تكن من ولي حميم."<sup>٥٣٣</sup> وقد صور العقاد رحمته كأنها شيء مادي وقد نسب العقاد إليها صفة المحسوس وإنما من الممكن أن يغلف الأشياء المادية فحسب لا المعنويات المجردة النفسية لأن الرحمة شيء غير مادي لا يمكن أن يغلف حقيقة. وهذا النوع من التصوير يسمى التجسيم الفني. فتمكن الكاتب بهذا التصوير أن يأتي إلى ذهن القارئ بصورة رحمته كأنه شيء في الغلاف ثم لا يرى هذه الرحمة إلا من قشع غلاف الشدة التي جعلها

<sup>٥٣٢</sup> نفس المرجع، ص ٣٤

<sup>٥٣٣</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠

عمر ﷺ فوق رحمته.

## التصوير بالتشخيص

استخدام العقاد التشخيص لتصوير حياة عمر بن الخطاب ﷺ جعل كتاب 'عبقرية عمر' أكثر جمالا وفنا. ويعتقد العقاد أن الإيمان صفة من صفاته الأصلية وقد قام بتصويره تصويرا رائعا ومراد العقاد بالإيمان هنا كل ما يعتقد به عمر ﷺ وبعدمه بين الكاتب إيمانه فرق بين إيمانيه قبل إسلامه وبعده ويعتقد العقاد أن الدافع الذي كان في وراء إيدائه المسلمين إيمانه في الجاهلية وكان يعتقد عمر ﷺ أن محمدا ﷺ أهان قريشا وعاب دينها وفرق جمعها ولو لا هذا الاعتقاد لما آذاهم وهو يقول " فلو لم يقع في روع عمر أن محمدا أهان قريشا وانتقص دينها لما تصدى له بأذى، ولو لا حرمة الإيمان الجاهلي عنده لما ثار على إيمان محمد وصحبه."

ثم يفرق بين إيمانيه في الجاهلية والإسلام في صورة فنية حيث يقول " ففي الجاهلية كان إيمانه مضللا فعقم ولم يأت بطائل وفي الإسلام كان إيمانه رشيدا فأتى به الثمرات"<sup>٥٣٤</sup> وإن الكلمة 'العقم' هي في اللغة عقت المرأة: كانت عقيما لا تلد، وقد نسب الكاتب صفة العقم إلى إيمانه وهذه الصفة تنسب إلى الإنسان عادة وقد تمكن بهذه النسبة أن يصور أن إيمانه في الجاهلية لم يلد أو ينجب شيئا ثم لما وصف عن إيمانه في الإسلام قال "فأتى بأطيب الثمرات" وقد يحتمل أن يكون المعنى بالثمرات الأشجار أو الأولاد وقيل: " الثمر في اللغة، هو من ثمرته: من نسله أو من أولاده، ثمرة القلب: الولد." وفي الجملة وقد قام العقاد بتشخيص إيمانه بنسبة صفة البشر إليه. وتمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القارئ بصورة إيمانه في الجاهلية كرجل عقيم وإيمانه في الإسلام كرجل منجب.

<sup>٥٣٤</sup> نفس المرجع، ص ١١١

ويقدم الكاتب أن صفة العدل من صفاته الأصيلة ويعتقد أن هذه الصفة كانت موجودة فيه منذ حياته في الجاهلية وكذلك يثبت الكاتب أن هذه الصفة كانت ظاهرة عند إسلامه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا من الناس بسبب إسلامهم في جاهليته ولما أسلم تعرف أنه قد ظلم المسلمين وعزم أن يقيم العدل في شأنه فخرج إلى الناس يطلب منهم أن يضربوه وليحس ما أحس المضربون من قبل. فبعدما ذكر هذه الأحداث يصور العقاد ما كان عمر رضي الله عنه ليستطيع إلا أن يعدل لأنه كان لا يطيق أن يصبر على ما فعله من قبل للمسلمين وهو يصور هذا في صورة رائعة وهو يقول " فما يستريح وجدانه الحي أن يضرب مسلما لإسلامه ولم يضرب كافرا لكفره، وما يشعر أنه وفيّ لله دينه، وقد ضرب ولم يضرب، وأذى أناسا ولم يؤذ أحد. "٥٣٥

وإن الكلمة "يستريح" هي صفة من صفات الإنسان وقد نسبها الكاتب إلى وجدانه الذي لا حياة له. وقد قام الكاتب بالتشخيص هنا وهو نسبة صفات أو عواطف البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة ونوع التشخيص الذي قام به الأديب هو التشخيص المعنوي لأنه نسب الاستراحة إلى وجدانه وهو شيء معنوي. وزادت روعة التشخيص لما وصف وجدانه بالحي وتمكن الكاتب أن يأتي إلى القارئ بأن وجدانه الحي لم يسترح كما لا يستريح الإنسان الحي.

## الاقْتَبَاس

يلاحظ أن العقاد اقتبس من بيت المتنبي لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهذا ظاهر لما تناول إيمانه القوي. وقد اعتنى الكاتب بتحليل كثير من الجوانب النفسية لعمر رضي الله عنه ومنها إيمانه الشديد ويعد الكاتب إيمانه من صفاته الأصيلة الخمسة وكان عمر رضي الله عنه يؤمن بالأمور الغيبية إيمانا راسخا ووصف الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يؤمن بالغيب كأنه يراه بعينه وصور إيمانه رائعا واضحا باقتباس شعر المتنبي وهو يقول

٥٣٥ نفس المرجع، ص ٧٥



إنه تجاوز حد الإيمان الى حد الرؤية والعيان وحقق مبالغات أبي طيب المتنبي حين وصف الغاية القصوى من الشجاعة والحكمة فقال :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم<sup>٥٣٦</sup>

وعلى الرغم من أن الكاتب يعترف ما قاله المتنبي من المبالغة ولكن يقدم أن هذه المبالغة لم تبق مبالغة في حال عمر رضي الله عنه بل تتحقق في إيمانه حيث تمكن الكاتب بهذا الأسلوب الرائع أن يجمع بين تحقيق المبالغة والإمتاع الشعري أمام القارئ.

### التصوير بالمجاز

استخدم العقاد المجاز لتصوير حياة عمر الفاروق رضي الله عنه وهذا ظاهر لما تحدث عن عدله ويقدم العقاد إسلام عمر رضي الله عنه بابا من عدله. ويبين الكاتب لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج إلى وسط الناس وأعلن إسلامه لهم لكي يأخذ القصاص في نفسه وأراد أن يضربوه المشركون لإسلامه عدلا لما فعل من قبل للمسلمين لأنه ضرب المسلمين وأذاهم ولم يؤذ أحد. فعمر رضي الله عنه في مصارعة مع المشركين الذين يضربونه لما علموا بإسلامه. ويصور الكاتب هذا المشهد جميلا وهو يقول " ثم تنشب المعركة بين هذا الرجل المفرد وبينهم، فيثب على أذناهم منه وأجرئهم عليه عتبة بن ربيعة فيصرعه ويبرك عليه يضربه، ويدخل أصبعيه في عينيه لأنهما عمياوان عن الحق لا يبصران النور!<sup>٥٣٧</sup> وإن الكاتب يقدم إدخال عمر رضي الله عنه إصبعيه في عيني عتبة بن ربيعة فنيا رائعا وأحسن في تعليل ما صنع عمر رضي الله عنه. وتمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن القراء إنما أدخل عمر رضي الله عنه أصبعيه في عينيه أنه وجد أنهما عمياوان عن الحق لا يبصران النور فما حاجة الرجل إلى هاتين العينين فأراد أن يجرح عينيه.

<sup>٥٣٦</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨

<sup>٥٣٧</sup> نفس المرجع، ص ٧٥

## الفصل الرابع

### المقارنة بين 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'

#### التصوير بالتشبيه

استخدم العقاد التشبيهات المتنوعة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم ٢٦ تشبيهاً فنياً، وأربعة منها تشبيهه بليغ، وثلاثة منها تشبيهه تمثيلي، وواحد منها تشبيهه ضماني. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله لكل هذه التشبيهات. فيما يلي

#### مثال للتصوير بالتشبيه:

قد تناول العقاد كثيراً من الأحداث والأخبار التاريخية من جانب علم النفس. ويرى الكاتب الأفكار والأخلاق جانبيين من جوانب النفس الإنسانية، قابلين للضوابط والقيود وأما يرى الدوافع والسورات فهي غير قابلة للقيود والضوابط فلا يقدر إلا قليل أن يحكمها. فاستخدم الكاتب التشبيه لتصويرها وهو يقول "مثل الفكر كمثل السفينة الطافية على وجه النهر، لها شراع، ولها سكان وعليهما معا رقيب من النواتية والريان" وقد شبه الكاتب الأفكار بالسفينة التي لها شراع وسكان وفيها ملاح وبحار. وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يصور أن الأفكار محكمه وقابله للقيود والضوابط كسفينة تجرى على النهر حسب إرشادات البحار والملاح وكذلك الفكرة وقد تكون حسب رغبات الإنسان وحوائه. والسفينة التي لها شراع وسكان يستطيع البحار والملاح بهما أن يوجهها ويجريها ويوقفها كما يشاء ومتى شاء وكذلك الفكرة قد يملك الإنسان أن يحكم على ما يفكر فيه ويستطيع أن يفكر كما يريد وأن يتوقف متى شاء.

ثم استخدم العقاد التشبيه لتصوير الخلق في صورة فنية وهو يقول "ومثل الخلق كمثل النهر المتدفق تحبسه الشواطئ والقناطر، ويفيض في موعد، ويعرف له مجرى، ويحسب له مقدار."<sup>٥٣٨</sup> وقد شبه الكاتب

<sup>٥٣٨</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ٤٤

الأخلاق بالنهر المتدفق تحبسه الشواطئ والقناطر فتمكن بهذا التشبيه الرائع أن يصور أن النهر يجري بين شاطئيه ولا يتجاوز جريانه على الشواطئ والقناطر لأنهما تحبسانه وكذلك الخلق عند الإنسان يكون بين الحدود التي وضعها لنفسه ويراهما صوابا في عينيه ولا يتجاوز خلقه هذه الحدود. فالخلق يجري بين الحدود كما يجري النهر بين شاطئيه.

بعدهما صور العقاد الأفكار والأخلاق شبه الدوافع والسورات بالسيل العرم وقد صورها في صورة السؤال وهو يسأل " ولكن، ما القول في السيل العرم؟ ما القول في السورة الجامعة التي ليست بفكر يسوس ويساس، ولا بخلق متميز بسماته وخصائصه ومراميه؟"<sup>٥٣٩</sup>

وإنه شبه الدوافع والسورات بالسيل العرم وحذف المشبه فهو إذا من الاستعارة. وتمكن الكاتب بهذا أن يقدم أن الدوافع والسورات ليست كالأفكار والأخلاق، فالأفكار والأخلاق محكمة ولهما مجراهما وطبيعتهما وأما السيل العرم فيتجاوز الشواطئ والقناطر ولا يمكن إيقافه ولا يمكن حساب جريانه وكذلك الدوافع الإنسان وسوراته وقد تتجاوز كل الحدود ولا يمكن إيقافها ولا يمكن حسابها.

ثم يصور العقاد في صورة فنية رائعة أن عمر رضي الله عنه كان قادرا على أن يحكم مشاعره ودوافعه وسورته كالسيل العرم. واحتج لهذا من أكثر اللحظات عاطفية في حياته ذاك قصة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان عمر رضي الله عنه لا يطيق أن يسمع نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وهدد بقتل من قال إن الرسول قد مات صلى الله عليه وسلم. فبينما كان عمر رضي الله عنه في هذه الحال خطب أبو بكر رضي الله عنه الناس وأقنعهم بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسرعان ما أدرك عمر رضي الله عنه الحقيقة عاد إليها وتغير موقفه وقد تناولها الكاتب فنيا وهو يقول:

" فأهوى عمر إلى الأرض وأناب.

يا لروعة الشلال الزاخر؟

<sup>٥٣٩</sup> نفس المرجع، ص ٤٥

ويا لروعة السابح القاهر الذي لوي به ليا، كأنما قبض منه على عرف، وأخذ له يعنان! "٤٥٠

وإن الكاتب يصور أن عمر رضي الله عنه لما علم الحق غير دوافعه وسوراته بسبب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كالسيل العرم شلالا زاخرا. فالسيل العرم يتشابه بشلال الزاخر في تدفق الماء، وأما السيل العرم فليس له مجرى، وليس له موعد يفيض فيه وله عواقب وخيمة. وأما الشلال الزاخر فله مجراه وموعده ثم بعد ذلك منظر الشلال يسر الناظرين.

وفي الجملة أن الكاتب شبه نفس الإنسان بالنهر أو الماء، والأفكار بالسفينة الطافية على النهر، والأخلاق بالنهر المتدفق، والدوافع بالسيل العرم، والدوافع والسورات القابلة للضوابط والقيود بالشلال الزاخر. ومن كل هذا يتبين أن الدوافع شيء لا يمكن السيطرة عليه ولكن صور العقاد فنيا أن عمر رضي الله عنه كان قادرا على أن يحكم مشاعره ودوافعه وسورته كالسيل العرم حيث جعله شلالا زاخرا.

#### مثال للتصوير بالتشبيه الضمني:

قد بين العقاد معاشره عمر رضي الله عنه مع زوجاته والنساء مفصلا وصور حبه لأبيه ولأخيه تصويرا رائعا. ويرى العقاد أن حب عمر رضي الله عنه ورحمته لأهله وأصدقائه لا يراه كل ناظر فجأة وإنما يراه فجأة هو شدته وغلظته فعليه أن يبحث هذه الرحمة والحب وراء شدته وغلظته حيث يصور الكاتب تصويرا رائعا مفصلا باستخدام التشبيه الضمني وهو يقول "فإذا أردنا أن ننقب عن وشائج الرحم وصلات المودة في نفس هذا الرجل المخيف فلننقب عنها في ينابيعها الخفية التي تسري منها وترقرق في نواحيها، ولا ننقب عنها في الصخور التي تكتنفها وتطفو عليها وترفع أعلامها. أو نحن حريون أن ننقب عنها بين هذه الصخور والأعلام ولكن على هدى وبصيرة. فلا ننقب منها برأي العين من بعيد أو قريب، ولا نغتر بما تبديه كأنه كل شيء تحتويه. فما هذه الصخور والأعلام التي كانت تروع الناظر من هيبة عمر ومن ملامح سيماها؟ هي مظهر قدرته على نفسه لا

٤٥٠ نفس المرجع، ص ٤٥

أكثر ولا أقل، وهي الحارس اليقظ الذي يحى تلك النفس أن يتسرب إليها الوهن وأن تؤخذ على حين غرة، من حيث يخاف عليها. " ٥٤١

ومن المعلوم حينما يُبحث الماء في الأرض بحفر بئر أو بركة أو نحوهما ولا يُبحث الماء فوق الصخور وإنما يُبحث الماء في ينابيعها الخفية التي يجري منها وترقرق في نواحيها، ولا يُنقب عنه في الصخور التي تحيطه وتطفو عليه وترفع أعلامه وكذلك رحمته ومودته لأهله ولغيره ولا توجد في مظهره كالصخور والأعلام وبلى على الباحث أن يبحثها في ينابيعها. وإن الكاتب شبه الصخور والأعلام بمظهر عمر رضي الله عنه من الشدة والغلظة وتمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القراء بأن من الجهالة أن يبحث عن رحمته وحبه في شدته وغلظه التي هي من مظهره كما أن يبحث الماء فوق الصخور ولا يرى الماء إلا في الينابيع وكذلك رحمته ولا ترى إلا وراء غلظته وشدته. فاستطاع العقاد أن يفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه (الصخور والأعلام) ممكن في المشبه به (هيئته وشدته).

#### مثال للتصوير بالتشبيه التمثيلي:

قد تحدث العقاد عن علاقة عمر رضي الله عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم مفصلاً وكان عمر رضي الله عنه يقوم بجانب النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ويؤيده بقوته وبأسه ويقدم العقاد أن عمر رضي الله عنه كان يرى من واجبه للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعرض أمام النبي صلى الله عليه وسلم أقصى ما عنده من القوة ثم يترك النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منها ما يشاء وصوره العقاد بالاستخدام التشبيهي التمثيلي وهو يقول "مثل عمر في هذه المواقف مثل صاحب المال تنزل الضائقة الحازبة فيبسط ما عنده من المال جميعاً ويدع للوالي القائم بالتدبير ما يختار من ماله مقدار ما يريد وذلك أفضل الحسنين وأكرم الواجبين، وهو الواجب الذي يليق بعمر في صحبة الرسول." ٥٤٢

٥٤١ نفس المرجع، ص ١٩٤

٥٤٢ نفس المرجع، ص ١٣٦

وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن المتلقي بصور عديدة حيث شبه في هذا التمثيل عمر رضي الله عنه بصاحب المال وشبهه النبي صلى الله عليه وسلم بالوالي وشبه شعور عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالواجب بشعور صاحب المال بواجبه عند نزول النازلة فعليه أن يخرج كل ما عنده من المال ويعرضه أمام الوالي لكي يختار من المال حسب الحاجة وكذلك شأن عمر رضي الله عنه أنه كان يعتقد أن من واجبه أن يعرض أمام النبي صلى الله عليه وسلم كل ما عنده من البأس لكي يختار النبي صلى الله عليه وسلم ويأخذ من قوة عمر رضي الله عنه وبأسه حسب الحاجة ويترك ما زاد على الحاجة عنده.

#### مثال للتصوير بالتشبيه البليغ:

وكذلك صور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان ناصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان يطيعه حيث أمر وقد صورته باستخدام التشبيه البليغ وهو يقول " كان سيفاً للرسول إن شاء ضرب به وإن شاء أغمده في قرابه وأنه كان جلوازه القائم بين يديه وليس من شأن الجلواز أن يمسك كثيراً أو قليلاً من بأسه حتى يؤمر بإمساكه، ويرد إلى الهوادة واللين"<sup>٥٤٣</sup> وقد شبه الكاتب عمر رضي الله عنه بالسيف عند الرسول صلى الله عليه وسلم وتمكن بهذا التشبيه أن يصور صورة محارب يحارب بسيفه متى شاء ويغمده متى شاء وكذلك عمر رضي الله عنه كان سيفاً في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستفيد به وقوته متى شاء وكيف شاء. وكذلك شبه الكاتب عمر رضي الله عنه بالجلواز للنبي صلى الله عليه وسلم، الجلواز هو الشرطي، والشرطة هي قوة رسمية وظيفتها الحفاظ على النظام العام، وتطبيق القانون الذي تشكله الحكومة فعلى الشرطي أن يفعل ما تأمر به الحكومة بغض النظر عن صوابه أو خطأه وكذلك شأن عمر رضي الله عنه لا يجوز له أن يمسك من بأسه كما يشاء بل يمسك كما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم. ولم يذكر العقاد في هذين التشبيهين وجه الشبه وأداته.

استخدم هيكل التشبيهات المتنوعة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم ١٣ تشبيهات فنية، وستة منها تشبيهه بليغ، واثنان منها تشبيهه تمثيلي. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله لكل هذه

<sup>٥٤٣</sup> نفس المرجع، ص ١٣٦

التشبيهات. فيما يلي

### مثال للتصوير بالتشبيه التمثيلي:

تحدث هيكل عن اجتهاد عمر رضي الله عنه مفصلاً ويعتقد أن اجتهاده هو الذي عصم الحياة الاجتماعية في عهده من التدهور وكان عمر رضي الله عنه أشد حذراً من أسباب الوهن الذي يصيب الأمة المسلمة ويقدم الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يرى مهما وصلت الروح سموها وهي معرضة لوقوع إلى درك أسفل إن فقدت السبب الذي رفعها وقد صور الكاتب هذه الفلسفة باستخدام التشبيه التمثيلي وهو يقول " فقد أدرك بإلهامه أن النفس الإنسانية، حين تندفع إلى السمو الروحي، معرضة دائماً للجوانب الأهواء تميل بها إلى المستوى الذي يلائم طباعها وسلائقها، كطائرة ترتفع محلقة في الجو، وهي معرضة أبداً للانحدار، بحكم جاذبية الأرض، إذا ضعفت القوة التي رفعتها في أجواز الأثير"<sup>٥٤٤</sup> وإن الكاتب شبه حال الروح السامية بطائرة تطير في أعلى السماء وهي معرضة للانحدار بحكم الجاذبية إذا فقدت قوته وكذلك أمر الروح إذا فقدت قوتها تنحدر. وقد تمكن الكاتب بهذا التصوير الرائع أن يفهم القارئ الفلسفة التي يقدمها في صورة فنية وسهلة.

### مثال للتصوير بالتشبيه البليغ:

كان الناس في حزن شديد لوفاة عمر رضي الله عنه وجزعوا عليه وقد صورها هيكل عن حزن الناس وسبب حزنهم الشديد لوفاة باستخدام التشبيه البليغ حيث يقول " يكون الضعفاء والبؤساء أقوى شعوراً بوقوع الكارثة التي نزلت بهم؛ فقد كان عمر لهم أبا وأخا، وكان لهم حصناً حصينا وملجأً أميناً."<sup>٥٤٥</sup> وإن الكاتب شبه عمر رضي الله عنه بالأب والأخ والحصن والملجأ، وبهذا التشبيه تمكن الكاتب أن يعبر أن الناس حزنوا لوفاة، ولاسيما الضعفاء والفقراء لتوقعهم الفقدان ما يتمتعون منه من حقوق الأبوة والأخوة وكانوا يرونه حصناً يحفظهم وملجأً يظلمهم. وقد عبر الكاتب نفس المعنى في موضع آخر باستخدام التشبيه البليغ حيث

<sup>٥٤٤</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٥٣٠

<sup>٥٤٥</sup> نفس المرجع، ص ٥٨٩

يقول " لم يبتغ عمر من الخلافة شيئاً إذن لنفسه، .... كان يرى الخلافة أبوة تلقي على الخليفة، واجبات للمسلمين هي واجبات الأب نحو أبنائه، والحنان والبر أقدس عواطف الأبوة وأسمائها، .... فقد كان يرى الحنان والبر بعض واجبات الحكم كإقامة العدل والمحافظة على الأمن سواء.<sup>٥٤٦</sup> وإن الكاتب يقدم أن عمر رضي الله عنه كان يرى الخلافة كأبوة، وقد شبه الكاتب هنا الخلافة بالأبوة.

يتبين من كل هذا أن عباس محمود العقاد استخدم ١٣ تشبيهاً أكثر من محمد حسين هيكل. ولما استخدم العقاد أربعة من التشبيه البليغ وثلاثة من التشبيه التمثيلي وواحداً من التشبيه الضمني، استخدم هيكل ستة من التشبيه البليغ واثنين من التشبيه التمثيلي، ولم يستخدم التشبيه الضمني. وإن العقاد استخدم معظم تشبيهاته لتصوير نفسية عمر رضي الله عنه وشخصيته، بينما استخدم هيكل التشبيه لتصوير موضوعات متنوعة مثل أحوال ميدان الحرب وجغرافية البلاد المفتوحة. واستخدام التشبيه لتصوير شخصية عمر رضي الله عنه ونفسيته قليل عند هيكل.

## التصوير بالاستعارة

اعتمد العقاد على الاستعارات المتنوعة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم ٦ استعارات فنية، ومنها أربعة استعارة تصريحية، وواحد من كل من الاستعارة المكنية والتمثيلية. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله لكل هذه الاستعارات فيما يلي

### مثال للتصوير بالاستعارة التصريحية

قد اعتنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عناية بالغة بالشورى في جميع أعماله التي تتعلق بالدولة وكان يستشير من الصحابة الذين جمعهم عمر رضي الله عنه عنده ويقدم العقاد أن المشاورة لفرن عسير وكان عمر رضي الله عنه يعرف كيف يستشير وممن يستشير ثم ذكر أثناء كلامه عن المشاورة أنه كان يأخذ الرأي من العدو إذا وجد عنده الحق

<sup>٥٤٦</sup> نفس المرجع، ص ٤٩٢



وهو يقوله في أسلوب جميل وهو يقول "وكان ربما استشار العدو الذي لا يأمنه، كما فعل في سماع رأي الهرمزان في أمر الحرب الفارسية لأنه بصير يطلب نورا، فإن رأى النور استوى لديه أن يحمل له المصباح عدو أو صديق" ٥٤٧

ولم يستخدم الكاتب كلمتي 'النور' و'المصباح' في معناهما الأصلي ولكن في معناهما المجازي ولا يقصد بهما إلا الحق والثواب وقد شبه الكاتب الحق والثواب بالنور والمصباح ثم حذف المشبّه منهما. فتمكن الكاتب بهذه الاستعارة أن يأتي إلى خيال المتلقي بصورة رجل يحمل المصباح إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا رأى الحق كالنور في المصباح أخذه بغض النظر عن كونه صديق أو عدو.

#### مثال للتصوير بالاستعارة التمثيلية

بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه لحظة حاسمة من حياته ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم جاء المهاجرون والأنصار يقولون هم أحق بالخلافة من غيرهم. ويرى العقاد كان موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقفا حاسما في إطفاء نار الخلاف بينهم. وإن الحرص في السلطة أمر قد يؤدي إلى الخلاف والنزاع بين الناس في أغلب الأحيان كما شهدنا مرارا في صفحات التاريخ. ولما رأى الصحابة عمر رضي الله عنه يبايع أبا بكر رضي الله عنه تابعوه في بيعته وقد صور الكاتب أن بيعة عمر رضي الله عنه أبا بكر رضي الله عنه قد أبطل الخلاف في صورة فنية وهو يقول "بايع عمر فقطعت جبهة قول كل خطيب" ٥٤٨

وهذا التركيب مثال للاستعارة التمثيلية وهو "مثل عربي أصله أن قوما اجتمعوا للتشاور والخطابة في الصلح بين حيين قتل رجل من أحدهما رجلاً من الحي الآخر، وإنهم كذلك إذا بجارية تدعى جبهة أقبلت فأنبأهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل فقتلوه، فقال قائل منهم: «قطعت جبهة قول كل خطيب»، وهو

٥٤٧ العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ٩٠

٥٤٨ نفس المرجع، ص ١٤٨

تركيب يتمثل به في كل موطن يؤتى فيه بالقول الفصل<sup>٤٩</sup> وهذا التركيب الفني الوجيه تمكن الكاتب أن يعبر أن عمر رضي الله عنه قطع الخلاف الذي قد يحدث باسم الخلافة بينهم.

### مثال للتصوير بالاستعارة المكنية

يصور العقاد أن عمر رضي الله عنه كان يعتني باللغة العربية عناية بالغة وكان إذا تلفظ فيعطي لكل حرف قدره وصفته ومخرجه ويحكي العقاد أن عمر رضي الله عنه كان ينطق الضاد من كلي شذقيه وهي تنطق في الأغلب من شذق واحد فيقدم الكاتب أن الخطابة لعمر رضي الله عنه من مهاراته الفطرية حيث يقول " فكان له فم يمتلئ بالكلام حين يخطب كأنه خلق ليقول، ولوحظ أنه كان ينطق ببعض الحروف كالضاد من كلي شذقيه وهي تنطق في الأغلب من شذق واحد<sup>٥٠</sup> وقد شبه فمه بالوعاء الذي يمتلئ بالكلام ثم حذف المشبه به والكلمات لا تمتلئ في الفم حقيقة بل هو مجازي فهذا من الاستعارة وتمكن أن يعبر أن الكلمات تفيض من فمه المملوء بالكلمات كما يفيض الماء من الوعاء. وكذلك أن الكاتب صور عمر رضي الله عنه كأنه خلق ليقول وبهذه العبارة تمكن أن يأتي إلى ذهن القارئ بأن عمر رضي الله عنه كان إذا تكلم أتقن في كلامه كل الإتقان حتى يظن سامعه أنما تركيز عمر رضي الله عنه وغاية حياته الإتقان في الكلام خاصة في النطق.

اعتمد هيكل أيضا على الاستعارات لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم ٤ استعارات فنية، وثلاثة منها استعارة تصريحية، وواحد من الاستعارة المكنية. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله لكل هذه الاستعارات فيما يلي

### مثال للتصوير بالاستعارة التصريحية

كان يزدجرد من حفيد كسرى الذي تولى ملك فارس لما تنازع أمراؤها وقوادها لسلطان، فذهب ملوهم إلى أن يولوا العرش لرجل من آل كسرى حتى تتحد كلمتهم تحت ملكه وقد أخفته أمه حين قتل أبوه ولم تخرجه

<sup>٤٩</sup> علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. ص ٩٨

<sup>٥٠</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ١٧٦

إلا في هذا الموقف لتتحد كلمتهم. فتولى يزجرد الملك وهو في الحادية والعشرين من عمره، بعدما كان محروما له في صباه. ولم يطل تمتعه بالعرش طويلا لما رماه المسلمون من عرشه في القادسية. وقد أرشده القائد الأعلى رستم ألا يقاتل العرب في القادسية حتى تستقر بلاد فارس ولكن رفضه واضطره ليقاتل المسلمين فهزموا.

وقد صور الكاتب هم يزجرد ويأسه وحمية شبابه وعجزه في صورة فنية حيث يقول "ماذا يستطيع يزجرد إزاء ذلك كله وقد كانت تبلغه أنباؤه فتزيدهما على همه وتدفع اليأس إلى نفسه، لولا أن أبقت حمية شبابه سرايا من الأمل يلمع أمامه فيخدعه عن الواقع، ويغريه بالتعلق بعرش حرمه صبيا، فلما اعتلاه تزلزلت قوائمه، وتزعزعت أركانه! وهيمات لسراب أن يحقق أملا، أو يدفع للقضاء حكما!"<sup>٥١</sup> وإن الكاتب شبه أمل يزجرد بسراب وحذف المشبه، وإذا رأى ملتمس الماء سرايا يفر إليه ظانا أنه ماء فلا يعلم حقيقته إلا بعد وصوله إياه وكذلك كان يزجرد لما تولى العرش أمل بقاءه في العرش طويلا وانهمام المسلمين ولكن لم ير لأمله كالسراب حقيقة.

#### مثال للتصوير بالاستعارة المكنية

يبين هيك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يلهم الرأي وكأنما حدث بما ظن وقص قصة الأذان ودور إلهام عمر رضي الله عنه فيه، بعد ما ذكر الكاتب قصة وراء الأذان يصور الكاتب الأذان تصويرا حسيا حيث يقول " من يومئذ بدأ الأذان للصلاة يعطر جو المدينة كل يوم خمس مرات"<sup>٥٢</sup> وإن الكاتب شبه الأذان بعطر وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو فوح عطرة. وبهذا التصوير تمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القارئ بصورة بخار الأذان العطرة تنتشر مع صوت الأذان في جو المدينة، وأن يذيقه حس الأذان وأن يشم رائحته العطرة وحتى يحن القارئ أن يسمعه مرة أخرى. وهذا يعتبر أيضا مثالا لتصوير بالتجسيم.

<sup>٥١</sup> هيك، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ١٧٦

<sup>٥٢</sup> نفس المرجع، ص ٥٩

ويظهر من هذا أن عباس محمود العقاد استخدم استعارتين أكثر من محمد حسين هيكل. ولما استخدم العقاد أربع استعارات تصريحية وواحدًا من كل من الاستعارة المكنية والتمثيلية، استخدم هيكل ثلاث استعارات تصريحية وواحدًا من الاستعارة المكنية، ولم يستخدم الاستعارة التمثيلية. وكذلك ملحوظ أن العقاد استخدم معظم الاستعارات لتصوير نفسية عمر رضي الله عنه وشخصيته، بينما هيكل استخدم الاستعارة لتصوير تاريخ عصره وأحداثه مثل حال مكة، وقصة الأذان، ويأس ملك يزدجرد.

### التصوير بالتعبير أو بالكلمة المفردة

قد استخدم العقاد التعبير أو الكلمة المفردة لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم أربعة من هذا النوع. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله يلي:

#### مثال للتصوير بالتعبير أو بالكلمة المفردة

قد قام العقاد بتحليل قصة الحد في عبد الرحمن بن عمر رضي الله عنه ذلك لما شرب عبد الرحمن وسرعة الخمر فسكرا فدخل على الوالي عمرو بن العاص رضي الله عنه وطلبا منه إقامة الحد عليهما. وقد صور العقاد هذا الطلب للحد من طبيعة عمر رضي الله عنه التي ورثها ابنه من أبيه. وتمكن الكاتب أن يعبرها في كلمة رائعة وهو يقول "فعبد الرحمن بن عمر يذهب إلى الوالي لأنه شرب شيئا ظنه غير مسكر، فإذا هو قد سكر منه ولا مناص من إقامة الحد عليه، وإلا رفع الأمر إلى أبيه.. وهي شنشنة عمرية لا لبس فيها، وهو ابن عمر لا مرأء."<sup>٥٥٣</sup>

وإن العقاد نسب هذه الطبيعة إلى اسم عمر رضي الله عنه حتى تمكن أن يأتي إلى خاطر القارئ بطبيعة عمر رضي الله عنه مجملا بمجرد كلمة "عمرية". وكذلك يتبين من الكلمة "شنشنة"<sup>٥٥٤</sup> صوتها مناسب لطبيعة عمر رضي الله عنه. ولو قال الكاتب بدلها طبيعة عمرية أو غريزة عمرية لما يشعر القارئ بطبيعة عمر رضي الله عنه كما يشعر من كلمة "

<sup>٥٥٣</sup>العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ٢٥

<sup>٥٥٤</sup> طبيعة أو غريزة

شنشنة عمرية" لو لا هذه التعبير أو الكلمة لم يكن المتلقي ليتخيله ولم يشعر بهذا التأثير.

ويظهر بعد مقارنة التصوير بالتعبير أو بالكلمة المفردة في 'عبقرية عمر' 'والفاروق عمر' أن عباس محمود العقاد استخدم أربعة من هذا النوع وفي نفس الوقت لم يلاحظ الباحث أن هيكلا استخدم التعبير أو بالكلمة المفردة لتصوير سيرة عمر رضي الله عنه.

## التصوير بالتجسيم

قد استخدم العقاد التجسيم لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولم يلاحظ الباحث إلا مثالا واحدا لهذا النوع من التصوير.

### مثال للتصوير بالتجسيم

قد نجح العقاد في إزالة شك الشاكين ورد شبهات المتهمين ومن تهمتهم إليه أن عمر رضي الله عنه كان رجلا قاسيا لا يرحم. وقد أتى العقاد بروايات وقصص عديدة تثبت رحمة عمر رضي الله عنه. ويقول العقاد بعد الكلام عن رحمته مفصلا أن هذه الرحمة ليست مكشوفة للجميع بل إنما كان يراها من عاشره معاشرة طويلة حيث يقول "رحمة عمر رحمة في غلاف، وليست بالرحمة المكشوفة لكل ناظر ولا تمس، ولا تطول بالناس عشرته حتى ينقشع هذا الغلاف عن قلب وديع مفعم بالعطف والمودة، مفتح الجوانب لكل عاطفة كريمة ولو لم تكن من ولي حميم." <sup>٥٥٥</sup>

وقد صور العقاد رحمته كأنها شيء مادي وقد نسب العقاد إليها صفة المحسوس وإنما من الممكن أن يغلف الأشياء المادية فحسب لا المعنويات المجردة النفسية لأن الرحمة شيء غير مادي لا يمكن أن يُغلف حقيقة. وهذا النوع من التصوير يسمى التجسيم الفني. فتمكن الكاتب بهذا التصوير أن يأتي إلى ذهن

<sup>٥٥٥</sup> نفس المرجع، ص ١٩٠

القارئ بصورة رحمته كأنه شيء في الغلاف ثم لا يرى هذه الرحمة إلا من قشع غلاف الشدة التي جعله عمر رضي الله عنه فوق رحمته.

قد استخدم هيكل أيضا التجسيم لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولم يلاحظ الباحث إلا مثالا واحدا لهذا النوع من التصوير.

### مثال للتصوير بالتجسيم

لما تحدث الكاتب قصة وراء الأذان صور الكاتب الأذان تصويرا حسيا حيث يقول " من يومئذ بدأ الأذان للصلاة يعطر جو المدينة كل يوم خمس مرات"<sup>٥٥٦</sup> وقد صور هيكل الأذان كأنه شيء مادي وقد نسب هيكل إليه صفة المحسوس، فليس العطر من صفة المعنويات ولا تكون الرائحة إلا للأشياء المحسوسة. وهذا النوع من التصوير يسمى التجسيم الفني. وبهذا التصوير تمكن الكاتب أن يأتي إلى قلب القارئ بصورة بخار الأذان العطرة تنتشر مع صوت الأذان في جو المدينة، وأن يذيقه حس الأذان وأن يشم رائحته العطرة وحتى يحن القارئ أن يسمعه مرة أخرى.

ويظهر بعد مقارنة التصوير بالتجسيم في 'عبقرية عمر' والفراروق عمر أن كل واحد من العقاد وهيكل أتى بواحد من هذا النوع.

### التصوير بالتشخيص

قد أتى العقاد بالتشخيص لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولم يلاحظ الباحث إلا مثالين لهذا النوع من التصوير. وقد اختار الباحث ما رآه أجذب مثال وأجمله منهما.

<sup>٥٥٦</sup> هيكل، محمد حسين. الفراروق عمر. ص ٥٩

## مثال للتصوير بالتشخيص

يقدم العقاد أن صفة العدل من صفات عمر رضي الله عنه الأصيلة ويعتقد أن هذه الصفة كانت موجودة فيه قبل إسلامه. وقد صور العقاد عدله أثناء كلامه عن قصة إسلامه. وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيرا من الناس بسبب إسلامهم في جاهليته ولما أسلم تعرف أنه قد ظلم المسلمين وعزم أن يقيم العدل في شأنه فخرج إلى الناس يطلب منهم أن يضربوه وليحس ما أحس المضربون من قبل. فبعدما ذكر هذه الأحداث يصور العقاد ما كان عمر رضي الله عنه ليستطيع إلا أن يعدل لأنه كان لا يطيق أن يصبر على ما فعله من قبل للمسلمين ويصور العقاد هذا في صورة رائعة وهو يقول " فما يستريح وجدانه الحي أن يضرب مسلما لإسلامه ولم يضرب كافرا لكفره، وما يشعر أنه وفيّ لله دينه، وقد ضرب ولم يضرب، وأذى أناسا ولم يؤذه أحد." ٥٥٧

وإن الكلمة "يستريح" هي صفة من صفات الإنسان وقد نسبها الكاتب إلى وجدانه الذي لا حياة له. وقد قام الكاتب بالتشخيص هنا، وهو نسبة صفات أو عواطف البشر إلى أفكار مجردة أو إلى أشياء لا تتصف بالحياة ونوع التشخيص الذي قام به الأديب هو التشخيص المعنوي لأنه نسب الاستراحة إلى وجدانه وهو شيء معنوي. وزادت روعة التشخيص لما وصف وجدانه بالحي وتمكن الكاتب أن يأتي إلى القارئ بأن وجدانه الحي لم يسترح كما لا يستريح الإنسان الحي.

يظهر بعد مقارنة التصوير بالتشخيص في 'عبقرية عمر' والفاروق عمر أن عباس محمود العقاد استخدم تشخيصين وفي نفس الوقت لم يلاحظ الباحث أن هيكلا استخدم التشخيص لتصوير سيرة عمر رضي الله عنه.

٥٥٧ العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ٧٥

## التصوير بالكناية

قد استخدم هيكل الكناية لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد لاحظ الباحث أنه استخدم أربع كنايات في 'الفاروق عمر'. وقد اختار منها مثالا ما رآه أجذب وأجمل أدناه:

### مثال للتصوير بالكناية

لما تحدث هيكل عن حال عمر رضي الله عنه المالية بين أنه لم يستطع أن يكسب من تجارته كثيرا بسبب غلظته حيث يعبر عنها فنيا باستخدام الكناية " لعل غلظته هي التي حالت بينه وبين الإفادة من التجارة ما أفاد غيره، فهو لهذه الغلظة لم يكن يستطيع بالتجارة أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهباً".<sup>٥٥٨</sup> وإن الكاتب لم يُرد بالتعبير " أن ينبع الماء من الحجارة، ولا أن يحيل التراب ذهباً" معنى حقيقيا بل وقد أتى به كناية يريد بها أن يحصل امرأ فائدة من عمل ما أو بمعنى آخر أن يستفيد امرأ من اجتهاده. ومن المعلوم أن الحارث يمكن باجتهاده أن يحرق فيحصد ثمرة فهو إذن يحيل التراب ذهباً، وكذلك حافر البئر أو البركة ينبع الماء من الحجر بعد جهده الطويل. وإنما أراد الكاتب به أن يقول أن عمر رضي الله عنه لم يستطع أن يكسب فائدة كثيرة من تجارته ولكن عبرها في تعبير فني يتذوق به القارئ.

يظهر بعد مقارنة التصوير بالكناية في 'عبقرية عمر' و'الفاروق عمر' أن محمد حسين هيكل استخدم الكناية أربع مرات، بينما لم يلاحظ الباحث أن العقاد استخدم الكناية لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

## التصوير بالمبالغة الفنية

قد استخدم هيكل المبالغة الفنية لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد لاحظ الباحث أنه استخدم أربع مبالغات فنية في 'الفاروق عمر'. وقد اختار منها مثالا ما رآه أجذب وأجمل أدناه:

<sup>٥٥٨</sup> نفس المرجع، ص ٣٩



## مثال للتصوير بالمبالغة الفنية

قد صور هيكل جمال الحياة الناعمة اللينة في البلاد المفتوحة الذي ألفوا المسلمون فيها فنيا باستخدام المبالغة الفنية حيث يقول " وإلى جانب هذا كله كانت تقوم آثار الفن بارعة رائعة في معابد الروم ومقابرهم وما فيها من تماثيل وفنون أبدع صناعاتها في تصويرها أي إبداع، وفي كنائس المسيحيين وأديارهم وما فيها من صور تكاد تنطق بما أراد مصوروها أن تنطق به،<sup>٥٥٩</sup> ويلاحظ من التعبير " صور تكاد تنطق بما أراد مصوروها أن تنطق به " أنه ليس من المعقول بأن تنطق الجوامد وقد أتى الكاتب به مبالغة فنية، وتمكن الكاتب بهذه المبالغة أن يأتي إلى قلب القارئ بحيوية تلك الصور وجمالها كأنه يراها بعينه. وهذا النوع من المبالغة يسمى الإغراق.

يظهر بعد مقارنة التصوير بالمبالغة الفنية في 'عبقرية عمر' و'الفاروق عمر' أن محمد حسين هيكل استخدم المبالغة الفنية أربع مرات، بينما لم يلاحظ الباحث أن العقاد استخدم المبالغة الفنية لتصوير حياة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

## التصوير بالمجاز

قد استخدم العقاد المجاز لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ولم يلاحظ الباحث إلا مثالا واحدا لهذا النوع من التصوير.

## مثال للتصوير بالمجاز

يقدم العقاد إسلام عمر رضي الله عنه بابا من عدله. ويبين الكاتب لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج إلى وسط الناس وأعلن إسلامه لهم لكي يأخذ القصاص في نفسه وأراد أن يضربوه المشركون لإسلامه عدلا لما فعل من قبل للمسلمين لأنه ضرب المسلمين وآذاهم ولم يؤذهم أحد. فعمر رضي الله عنه في مصارعة مع المشركين الذين

<sup>٥٥٩</sup> نفس المرجع، ص ٥٣٠

يضربونه لما علموا بإسلامه. ويصور الكاتب هذا المشهد جميلا وهو يقول " ثم تنشب المعركة بين هذا الرجل المفرد وبينهم، فيثب على أذناهم منه وأجرئهم عليه عتبة بن ربيعة فيصرعه ويبرك عليه يضربه، ويدخل أصبعيه في عينيه لأنهما عمياوان عن الحق لا يبصران النور!"<sup>٥٦٠</sup> وإن الكاتب يقدم إدخال عمر رضي الله عنه إصبعيه في عيني عتبة بن ربيعة فنيا رائعا وأحسن في تعليل ما صنع عمر رضي الله عنه. وتمكن الكاتب أن يأتي إلى ذهن القراء إنما أدخل عمر رضي الله عنه أصبعيه في عينيه أنه وجد أنهما عمياوان عن الحق لا يبصران النور فما حاجة الرجل إلى هاتين العينين فأراد أن يجرح عينيه.

يظهر بعد مقارنة التصوير بالمجاز في 'عبقرية عمر' و'الفاروق عمر' أن عباس محمود العقاد أتى بواحد من هذا النوع في كتابه. وفي نفس الوقت لم يلاحظ الباحث أن هيكلا استخدم المجاز لتصوير سيرة عمر رضي الله عنه.

### الاقتباس

وقد اقتبس العقاد شعرا لأبي طيب المتنبي لتصوير شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يلاحظ الباحث أنه اقتبس من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف.

### مثال للاقتباس

اعتنى العقاد بتحليل كثير من الجوانب النفسية لعمر رضي الله عنه ومنها إيمانه الشديد ويعد الكاتب إيمانه من صفاته الأصلية الخمسة وكان عمر رضي الله عنه يؤمن بالأمر الغيبية إيمانا راسخا ووصف الكاتب أن عمر رضي الله عنه كان يؤمن بالغيب كأنه يراه بعينه فصور إيمانه رائعا واضحا باقتباس شعر المتنبي وهو يقول " إنه تجاوز حد الإيمان الى حد الرؤية والعيان وحقق مبالغات أبي طيب المتنبي حين وصف الغاية القصوى من الشجاعة والحكمة فقال :

<sup>٥٦٠</sup> العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ص ٧٥

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قوم أنت بالغيب عالم<sup>٥٦١</sup>

وعلى الرغم من أن الكاتب يعترف ما قاله المتنبى من المبالغة يصور أن هذه المبالغة لم تبق مبالغة أو بعيدة عن الواقع في حال عمر رضي الله عنه بل تتحقق في شأن إيمانه حيث تمكن الكاتب بهذا الأسلوب الرائع أن يجمع بين تحقيق المبالغة والإمتاع الشعري أمام القارئ.

قد استخدم هيكل الاقتباس لتصوير سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد استخدم أربعة من هذا النوع. وقد اختار الباحث أجذب مثال وأجمله يلي:

### مثال للتصوير بالاقتباس

قد صور هيكل وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه تصويراً فنياً دقيقاً وبعدهما بين الكاتب روتينه اليومي يوم مقتله يصور مشهد طعنه، حيث عبر الكاتب عن وقت طعنه فنياً باستخدام الاقتباس وهو يقول " كبر للصلاة ودخل في تلك الساعة من ذلك اليوم ولما يكد يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، فلما بدأ ينوي للصلاة ليكبر إذا رجل ظهر فجأة قبالة، فطعنه بخنجره ثلاث طعنات أو ست طعنات إحداها تحت سرتة، وأحس عمر حر السلاح".<sup>٥٦٢</sup> وإن التعبير " يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر " مقتبس من الآية ١٨٧ في سورة البقرة. وهذا يكشف عن مهارته في إحكام الصلة بين كلامه والكلام الذي أخذه.

يظهر بعد مقارنة التصوير بالاقتباس في 'عبقرية عمر' و'الفاروق عمر' أن محمد حسين هيكل استخدم الاقتباس أربع مرات، وثلاثة منها من القرآن الكريم، وواحد من الحديث النبوي، بينما لم يلاحظ الباحث أن العقاد اقتبس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف بل اقتبس العقاد بيتاً للمتنبى.

<sup>٥٦١</sup> نفس المرجع، ص ١٨٨

<sup>٥٦٢</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٥٧٧

## مقارنة عامة

'عبرية عمر' لعباس محمود العقاد 'والفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل كتابان ذوا أهمية فنية في الأدب العربي الحديث. وهذان الكتابان يقومان المقام الأول في أدب السير العربي الحديث. وإن أُلّف كتاب جمع فيه طريقة هذين الكتّابين فقد يكون الناتج مثالا لسيرة كاملة. وقد قال سيد قطب " التراجم بمعناها الاصطلاحي الكامل لا يزال ناقصا في المكتبة العربية. وإنه ليكمل حين تجتمع طريقة العقاد الشاعرية إلى طريقة هيكل الاستعراضية مع تحرير النصوص وتحقيق الحوادث وتوافر الإدراك الصحيح لروح الفترة وروح الشخصية."<sup>٥٦٣</sup>

وغرض المؤلف من كتابة كتاب ما له أثر كبير في أسلوب الإنتاج. وقد بين العقاد غرضه من هذا الكتاب في مقدمته " كتابي هذا ليس بسيرة لعمر ولا بتاريخ عصره على نمط التواريخ التي تقصد بها الحوادث والأنباء، ولكنه وصف له، ودراسته لأطواره، دلالة على خصائص عظمته، واستفادة من هذه الخصائص لعلم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة."<sup>٥٦٤</sup> وأما هيكل فلم يقصد من كتابه ما قصد إليه العقاد وهو يقول " وأنا لم أقصد من هذا الكتاب إلا ما قصدت إليه من كتاب أبي بكر: أن أؤرخ للإمبراطورية الإسلامية، لذلك لم أقف من حياة كلا الرجلين إلا عند ما يتصل بقيام الإمبراطورية وانفساح رقعتها."<sup>٥٦٥</sup> ويظهر من محتويات هذين الكتّابين قصدهما من الكتابة جليا. ولم يتناول العقاد فتوحات عمر ﷺ لأنها لسيت داخلية في غرضه. وأما هيكل فقد تناول فتوحاته في صورة مفصلة حتى جعل لكل واحد منها فصلا خاصا، لأن لها دورا هاما في قيام الإمبراطورية الإسلامية. وأما كل من العقاد وهيكل فيتحدان في غرضهما في رد تهمة المستشرقين وتقديم الإسلام وشخصياته البارزة في صورة صحيحة.

<sup>٥٦٣</sup> قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ص ١٠٥

<sup>٥٦٤</sup> العقاد، عباس محمود. عبرية. ص ٥

<sup>٥٦٥</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ٥٧٥

وأما هذان الكتابان من ناحية شمولية الموضوع فإن العقاد ركز على حياة عمر رضي الله عنه وشخصيته وصفاته ونفسيته فحسب. كما قال سيد قطب " لدينا طريقة العقاد في رسم صور نفسية للبطل بعرض خصائصه الأساسية البارزة، والتدليل عليها بحوادث منتقاه من تاريخه لها دلالتها على هذه الخصائص، دون الدخول في تفصيلات حياته، وتتبع خطاه، وكتب العبقريات كلها من هذا الطراز.<sup>٥٦٦</sup> وأما هيكل فلم ينحصر على حياة عمر رضي الله عنه فحسب بل صور ما حدث في عصره، أو بكلام آخر كتاب 'الفاروق عمر' هو تاريخ لعصر عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكذلك لم يهتم العقاد بتصوير جغرافية البلاد، بينما صور هيكل المكان تصويرا مفصلا، يلاحظ هذا بشكل جلي في تصويره للبلاد المفتوحة.

كما سبق الذكر أن العقاد تناول كثيرا من الأحداث في صورة موجزة وترك منها ما لا يهم غرضه. فالقارئ الجديد لسيرة عمر رضي الله عنه قد يجد صعوبة ليفهمها جيدا. أما هيكل فكان إذا تناول حادثا من حياته يشرح خلفية الأحداث حتى يفهم القارئ جيدا. ويظهر بعد مقارنة ترتيب الموضوع في هذين الكتابين أن العقاد لم يحافظ على التسلسل الزمني. أما هيكل فتناول سيرة عمر رضي الله عنه حسب التسلسل الزمني. يظهر بعد ملاحظة هذين الكتابين من الناحية الفنية أن العقاد اعتمد على الشاعرية والأسلوب البلاغي. وأما هيكل فاعتمد على التقنيات السردية أكثر من الشاعرية والأسلوب البلاغي. مثل تقنية الاسترجاع، وتقنية تقديم البطل. وقد اختار الباحث لهما مثلا ما رآه أجذب وأجمل أدناه:

## الاسترجاع

لا يوفي كاتب السيرة حقه إذا انحصر دوره في تقديم المتعة الأدبية إلى القراء فلم ينقل إليهم معلومات تاريخية، بل عليه أن يعبر الأحداث التاريخية في أسلوب فني جذاب وقد عبر الكاتب عن حروب الردة وقاتل الفرس في أيام أبي بكر موجزا وقد سردها الكاتب باستخدام تقنية الاسترجاع حيث يقول "وامتطى المثني

<sup>٥٦٦</sup> قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ص ١٠٣

جواده ورجع أدراجه الحيرة، وجعل وهو في طريقه إليها يذكر أيامًا خلت في خلافة أبي بكر، حين قضى العلاء بن الحضرمي على الردّة في البحرين، فانضم هو إليه وقعد بكل طريق للمرتدين المهزمين الذين يعيشون في الأرض فسادًا، ثم سار مشاطنا الخليج الفارسي يقاوم دسائس الفرس ويقضي على أنصارهم من القبائل حتى بلغ مصب الفرات، عند ذلك أمدّه الصديق بخالد بن الوليد فسار المثنى تحت لواء القائد العبقرى يدوخ معه جيوش كسرى وتفتض جنودهما الأمصار وتفتح الحيرة والأنبار وعين التمر وغيرها من البلاد، حتى يبلغ خالد الفراض على تخوم الشام من شمالي العراق.....<sup>٥٦٧</sup> وإن الكاتب لخص عن بعض أعمال عسكرية في أيام أبي بكر رضي الله عنه في استرجاع يذكره المثنى بن حارث رضي الله عنه عند رجوعه من المدينة إلى الحيرة.

### مشهد دخول البطل / مشهد تقديم البطل

قد تحدث الكاتب عن مظهر عمر رضي الله عنه الجسمي كما فعله كثيرون من كتاب السيرة بل إنه تميز بأسلوبه في تصوير طبيعة بدنه. عادة كاتب السيرة يصور طبيعة مترجم عنه بعد ذكر اسمه أو بعدما بين للقارئ أنه يتحدث عن المترجم عنه. وأما هيكل فبدأ بتصوير مظهره البدني وبعض صفاته ثم أخبر القارئ أن المتحدث عنه هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإن الكاتب صور مظهره البدني أثناء تصويره سوق الجاهلية وهو يقول " كان بين الذين يستمعون لهذا الشاعر شاب تجاوز سنه العشرين، ضخم جسيم مديد القامة، تعلق هامته هامات الجمع كله، أبيض اللون تعلوه حمرة تضرب بلونه إلى السمرة، وقد كان ينصت إلى الشاعر إنصات إعجاب يدفعه لمهز رأسه الحين بعد الحين، أية اغتباطه بما سمع وطربه له ودقة تذوقه إياه، لم يشارك الصائحين في صياحهم؛ لأن مفاخرة الشاعر بقبيلته لم تعنه، وتعريضه بالقبيلة الأخرى لم يعنه كذلك؛ فهو ليس من هذه القبيلة ولا من تلك، بل لعل القبيلتين كانتا بعيدتين عن موطنه بعدا زاده انصرافاً عن أمرهما إلى المتاع بجمال الشعر الذي يسمعه، وأتم الشاعر قصيدته فأقام الفتى ينصت لما يقول الحكيم،

<sup>٥٦٧</sup> هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. ص ١٠٧

فلما جنح القوم للسلم انصرف يتقدم جماعة من أصحابه مسرعا في مشيته حتى لقد شق على تابعيه أن يلحقوا به، ذلك لأنه كان أروح في رجليه سعة فلا يعرف في المشي بطئا، وكان أصحابه يحادثونه عليهم يستوقفونه فلا يفوتهم بسعة خطوه، واتصل هذا الحديث متنقلا من الحوار الهادئ إلى جدل فيه عنف وشدّة، عند ذلك وقف الشاب، وقد احمرت عيناه وبدت عليه أمارات الغضب، فنفخ وفتل شاربه الطير وقال: بهذا الفتى تخوفوني! لست للخطاب إن لم أصرعه لأول ما ألقاه!"<sup>٥٦٨</sup>

وإن الكاتب بدأ بتصوير شاب مجهول للقارئ ثم صور صفته بعد صفة حتى اكتملت صورته أمام القارئ، وإنه بدأ كلامه بأنه شاب فعمره فحجمه فقامته فلونه فبعض صفاته حتى ظهرت صورة هذا الشاب في خيال القارئ وعطش القارئ ليعلم هذا الشاب فأخبر أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمقال هذا الشاب نفسه. وتوجد هذه التقنية في الأفلام الحديثة كثيرا، فيظهر البطل أمام المشاهدين بعد تعريف مثير طويل له حتى يطمع المشاهدون ظهوره في المشهد.

---

<sup>٥٦٨</sup> نفس المرجع، ص ٣٠





## خاتمة البحث

### خلاصة البحث

هذه الدراسة المعنونة بـ "التصوير الفني في سيرة عمر الفاروق: دراسة مقارنة بين 'الفاروق عمر' لحسين هيكل 'وعبقرية عمر' للعقاد" تحتوي على أربعة أبواب وخمسة عشر فصلا، وكل باب قد ناقش فكرة رئيسية فيما يختص بالموضوع، حيث حدد الباحث في الباب الأول المعنون بـ "السير في الأدب العربي" يحتوي على خمسة فصول. فتناول الباحث في الفصل الأول دلالات السيرة وأنواعها. وتناول في الفصل الثاني تطور فن السيرة في الأدب العربي وتناول في الفصل الثالث عناصر الأدب في السيرة وتداخل السيرة مع الفنون الأخرى. وفي الفصل الرابع تناول أهداف السيرة الغيرية وشروطها. وفي الفصل الخامس حلل الباحث إحدى عشرة سيرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قديما وحديثا بشكل موجز.

والباب الثاني المعنون بـ "تحليل كتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل يحتوي على ثلاثة فصول تناول الباحث في الفصل الأول حياة محمد حسين هيكل وشخصيته وفي الفصل الثاني حلل السير الإسلامية لهيكل وفي الفصل الثالث حلل كتاب 'الفاروق عمر' وركز الباحث فيه على ما جلبه المؤلف جديدا في كتابه.

والباب الثالث المعنون بـ "تحليل كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد يحتوي على ثلاثة فصول تناول الباحث في الفصل الأول حياة عباس محمود العقاد وشخصيته وفي الفصل الثاني حلل سلسلة 'عبقرية' العقاد وفي الفصل الثالث حلل كتاب 'عبقرية عمر' وركز الباحث فيه على ما أتى به المؤلف جديدا في كتابه.

والباب الرابع الموسوم بـ "التصوير الفني في 'الفاروق عمر' 'وعبقرية عمر' يحتوي على أربعة فصول فتناول في الفصل الأول مفهوم التصوير الفني وفي الفصل الثاني يستعرض التصوير الفني في 'الفاروق

عمر'. وفي الفصل الثالث يستعرض التصوير الفني في 'عبقرية عمر'. وفي الفصل الرابع قارن الباحث

التصوير الفني في 'الفاروق عمر' و'عبقرية عمر'.

## نتائج البحث

- السيرة تحتوي على دلالات الأحداث البيولوجية الواقعة بين ولادة شخص وموته، من طفولة ونضج وأمراض وغيرها، فهي صور للوجود الحيواني الجسماني، وقد يرتبط بها كثير من العواطف الإنسانية
- السيرة فن من فنون الأدب فإذا كان عند كاتب السيرة عاطفة وفكرة ثم أداهما إلى القارئ كان ذلك أدبا، إلا أنه إذا كانت الأفكار هي الغرض الأول منها والعاطفة تابعة لها كان الناتج أدبا عاما كالتاريخ. وأما إذا كانت العاطفة هي الغاية الأولى والفكرة سند لها فكان الناتج أدبا خاصا يعد من الفنون الرفيعة. أما الإسراف في الصورة الأدبية والمبالغة في الفن فيجعل السيرة بعيدة عن الحقائق والواقع.
- إن عنصر الخيال ضروري في كل أنواع الأدب وبدونه يكون من المستحيل في أغلب الأحيان إثارة العاطفة. أما الخيال في السيرة، فليس حرا طليقا ولكنه مقيد بالوثائق والبيانات والوقائع التي حدثت واقعا، وإذا دخل الخيال السيرة بلا قيد وهي السيرة الرواية التاريخية.
- اتخذ كتاب السيرة في القديم السيرة وسيلة لنقل المعلومات أمثال ابن الجوزي والإمام السيوطي. وفي العصر الحديث اتخذ كتابها وسيلة لنقل المعلومات مع الذوق الأدبي ومنهم طه حسين، عباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل.
- لم يتخذ محمد حسين هيكل الطريقة المتبعة في كتابة السيرة واستخدم فيها أسلوبا أدبيا حيث اعتمد على التقنيات السردية والصورة الأدبية. ورد لكثير من اتهامات أعداء الإسلام خلال تصوير أحداث حياته. وركز فيه على تاريخ قيام الإمبراطورية الإسلامية. ولم يكتف على حياة عمر وشخصيته وصفاته بل تناول كثيرا من أحداث عصره مفصلا.

- كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد تحليل لحياة عمر الفاروق ﷺ، بدلا من إلقاء الضوء على جميع الأحداث التي وقعت في حياة عمر ﷺ، يركز العقاد على تحليل حياة عمر ﷺ من ناحية علم النفس وعلم الأخلاق وحقائق الحياة وكذلك ركز على دفاع عن عمر ﷺ والإسلام من تهجمات أعداء الإسلام والمستشرقين في أسلوب تحليلي أدبي علمي.
- كتاب 'الفاروق عمر' لمحمد حسين هيكل يعد من السير ذات قيمة أدبية في العصر الحديث، حيث اعتمد على أدوات التصوير الفني مثل التصوير بالتشبيه والتصوير بالاستعارة والتصوير بالتجسيم والتصوير بالكناية والتصوير بالمبالغة الفنية.
- واعتمد هيكل على التقنيات السردية مثل الاسترجاع والمكان حيث يتمتع القارئ بقراءتها قراءة الرواية.
- كتاب 'عبقرية عمر' لعباس محمود العقاد من السير ذات أهمية أدبية في العصر الحديث حيث اعتمد على أدوات التصوير الفني مثل التصوير بالتشبيه والتصوير بالاستعارة والتصوير بالتجسيم والتصوير بالتشخيص والتصوير بالتعبير.
- يتشابه هذان الكتابان في غرض منهما في الدفاع عن الإسلام ورد تهجمات المعارضين.
- كل من هيكل والعقاد استخدمتا الصورة الفنية لتصوير حياة عمر بن الخطاب ﷺ إلا أن العقاد أكثر استخداما لها من هيكل.
- استخدم هيكل التصوير بالكناية والتصوير بالمبالغة الفنية بينما لم يستخدم العقاد هذين التصويرين. واستخدم العقاد التصوير بالتشخيص والتصوير بالتعبير بينما لم يستخدم هيكل نفسيهما.
- اهتم هيكل بالتسلسل الزمني في 'الفاروق عمر' أما العقاد فلم يهتم به في 'عبقرية عمر'.

## الاقتراحات والتوصيات

وبعد هذه الدراسة يدرك الباحث أن لهذا الموضوع أبعادا متنوعة وكذلك أن سير عباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل تتطلب دراسات بأوجهها المختلفة لمن لديه عناية بالسير العربية الحديثة عموما وعن سيرهما خصوصا. وهنا يود الباحث أن يضع بعض العناوين البحثية التي تعين الباحثين على إجراء البحث في هذا الصدد منها:

١. التقنيات السردية في 'الفاوق عمر'
٢. مساهمة كتاب 'عبقرية عمر' لعلم النفس

## المصادر والمراجع

### المصادر:

### القرآن الكريم

١. العقاد، عباس محمود. عبقرية عمر. ط ١٠. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦.
٢. هيكل، محمد حسين. الفاروق عمر. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٤.

### المراجع:

١. د إبراهيم، عبد الله. السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي الغربي. ط ١. ١٩٩٢.
٢. ابن هشام، أبو محمد عبد الله. السيرة النبوية. القاهرة: دار الفجر للتراث. ٢٠١٣.
٣. ابن منظور: لسان العرب. دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٩٤، مادة سير.
٤. إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه. ط ٦. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٦.
٥. أمين، أحمد. النقد الأدبي. القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢. ص ٣٠.
٦. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. التحقيق: عامر حسن صبري. مملكة البحرين: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ٢٠١٣.
٧. ب ك، عبد الحميد. مساهمة عباس محمود العقاد في تطور النثر الإسلامي. ٢٠١٥. المكتبة المركزية للجامعة كاننور.
٨. الجزيري، محمد مجدى. نظرة جديدة إلى فلسفة الفن عند العقاد. طنطا: المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٩٣.

٩. الجرجاني، عبد القاهر. أسرار البلاغة في علم البيان. بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢.
١٠. الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. ط٥. القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٤.
١١. حسن، محمد عبد الغني. التراجم والسير. دار المعارف، ١٩٥٥.
١٢. الحسنات، مريم حماد عليان. السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي. ٢٠١٣. الجامعة الإسلامية غزة.
١٣. د الحفناوي، جلال السعيد مصطفى. " سيرة الفاروق عمر بين شبلي النعماني وهيكل " Google books، مجلة الفيصل، ٢٢-٠٣-٢٠٢٣.
١٤. حسين، طه. الشيخان. وندسور: مؤسسة هندواوي، ٢٠١٣. ص ٧.
١٥. الخضري بك، الشيخ محمد. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. بيروت: دار الكتب العلمية.
١٦. الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح. نظرية التصوير الفني عند سيد قطب. ط١. عمان: دار الفاروق، ٢٠١٦.
١٧. الدايم، يحي إبراهيم عبد. الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٤.
١٨. رضا، محمد. تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب. مصر: المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر، ١٩٣٦.
١٩. زعرب، أحمد موسى محمد. اتجاهات المقالة عند محمد حسين هيكل. دراسة أدبية تحليلية نقدية. ٢٠١٧. الجامعة الإسلامية بغزة.
٢٠. زلط، أحمد. محمد حسين هيكل بين الحضارتين الإسلامية والغربية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

٢١. الدكتور الزحيلي، وهبة. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. م ١. دمشق: دار الفكر.
٢٢. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تاريخ الخلفاء. ط ٢. دولة قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٣.
٢٣. شرف، عبد العزيز. أدب السيرة الذاتية. لبنان: الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٢.
٢٤. شيهو، رابي محمد. رواية السيرة الغيرية بين الواقع والتمثيل رواية جبل قاف لعبد الإلاه بنعرفة أنموذجا. كلية الآداب والعلوم: جامعة آل البيت، ٢٠١٢.
٢٥. الشايب، أحمد. أصول النقد الأدبي. ط ٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٢.
٢٦. شرقاوي، أدهم. عندما التقيت عمر بن الخطاب. ط ١. دولة الكويت: دار الكلمات للنشر والتوزيع، ٢٠١٧.
٢٧. د الشامى، يحيى. العقاد كاتباً وشاعراً. بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٥.
٢٨. الشائب، أحمد. الأسلوب: دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. ط ٨. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١.
٢٩. الصلابي، علي محمد محمد. فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره. ط ١. الشارقة: مكتبة الصحابة، ٢٠٠٢.
٣٠. ضيف، أحمد شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر. ط ١٣. مصر: دار المعارف.
٣١. ضيف، شوقي. الأدب العربي المعاصر في مصر. ط ١. مصر: دار المعارف. د.ت
٣٢. ضيف، شوقي. الترجمة الشخصية. ط ٤. مصر: دار المعارف. ١٩٥٦.



٣٣. العطار، مها. السيرة الفنية في الأدب العربي حتى أوائل الثمانيات. دمشق: مطبعة الدواوي، ١٩٩٥.

٣٤. عباس، إحسان. فن السيرة. ط ١. عمان: دار الشروق، ١٩٩٦.

٣٥. عبد النور، جبور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، لبنان، ط ٢، ١٩٨٤.

٣٦. علي، حازم فارس. فن السيرة في الأدب الأيوبي كتاب الاعتبار أنموذجا. ٢٠١١ كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط.

٣٧. العمري، أحمد خيرى. استرداد عمر من السيرة إلى المسيرة. ط ١. جدة: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠١٣.

٣٨. العقاد، عباس محمود. الديوان. ط ٤ ج ١. القاهرة: دار الشعب. ١٩٩٦.

٣٩. العقاد، عباس محمود. الصديقة بنت صديق. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤٠. العقاد، عباس محمود. أنا. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤١. العقاد، عباس محمود. دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية. ط ٢. القاهرة: نهضة مصر، ٢٠٠٦.

٤٢. العقاد، عباس محمود. حياة القلم. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٩.

٤٣. العقاد، عامر. معارك العقاد السياسية. بيروت: دار الجيل، ١٩٧٣.

٤٤. العقاد، عباس محمود. عبقرية محمد. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤٥. العقاد، عباس محمود. عبقرية محمد. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤٦. العقاد، عباس محمود. عبقرية الصديق. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤٧. العقاد، عباس محمود. عبقرية الإمام علي. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٤٨. عطية، نجاح طلعت. محمد حسين هيكل والدعوة إلى الأدب القومي المصري حتى ١٩٣٢.
١٩٩٣. بيروت: الجامعة الأمريكية.
٤٩. علي جارم، مصطفى أمين. البلاغة الواضحة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩٩.
٥٠. غنيم، حنان أحمد. التصوير الفني في شعر سيد قطب. ٢٠٠٧. الجامعة الإسلامية غزة.
٥١. الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. ط. مؤسسة الرسالة. ٢٠٠٥.
٥٢. الفاخوري، حنا. الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث. ط١. بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦.
٥٣. القصاص، محمد بن جلال. عمالة عباس العقاد للفكر الغربي. أسرة قراء دار السلام.
٥٤. قطب، سيد. النقد الأدبي أصوله ومناهجه. ط ٨. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣.
٥٥. قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن الكريم. ط ١٧. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤.
٥٦. كريم، سامح. ما يبقى من العقاد رسالة. بيروت: دار القلم. ١٩٧٨.
٥٧. كريم، سامح. عباس محمود العقاد حاضر الغائب. دار مصر اللبنانية، ٢٠٠٤.
٥٨. المقدسي، أنيس. الفنون الأدبية وأعلامها: في النهضة العربية الحديثة. ط٦. بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٠.
٥٩. مندور، محمد. النقد والنقاد المعاصرون. القاهرة: دار نهضة مصر. ٢٠٠٣.
٦٠. مندور، محمد. في الأدب والنقد. القاهرة: نهضة مصر. ١٩٨٨.
٦١. النجار، حسين فوزي. التاريخ والسير. القاهرة: دار القلم، ١٩٦٤.
٦٢. النعماني، شبلي. سيرة الفاروق. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

٦٣. نصيف، أحمد ضاري. العقاد ودوره في الحركة الأدبية الحديثة. ٢٠١٨. جامعة النيلين، جمهورية السودان.

٦٤. هيكل، محمد حسين. مذكرات في السياسة المصرية. ج١. القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٣.

٦٥. هيكل، محمد حسين حياة محمد. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤.

٦٦. هيكل، محمد حسين الصديق أبو بكر. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.

٦٧. هيكل، محمد حسين. مذكرات الشباب. وندسور: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢.

٦٨. اليحي، إبراهيم يحيى. لماذا ندرس السيرة. موقع نصرة رسول الله. د.ت.

69. Islamika Vijnana Kosham. Vol 14. Kozhikode: Islamic Publishing House, 2022.

70. Karakunnu, Sheikh Mohammed. Farooque Umer. Kozhikode: Islamic Publishing House, 1984.

71. Moulavi, K.C. Komukutty. Umar Farooq. Calicut: P.K. Brothers, 1961.

72. Wafi, Saifudheen. Umarul Farooq. Chemmad: Book Plus, 2019.

## المواقع:

١. د المجيد، عبد. "عناصر الأدب". الأدب العربي. ٢١-٢٣-٢٠٢٣.

<http://www.arabiconweb.com>

٢. "محمد رضا". مكتبة النور. <https://www.noor-book.com>

٣. د الزبيدي، عبد الحكيم. "ملحة عمر لباكثير: هل تتحول إلى مسلسل تلفزيوني؟". رابطة

أدباء الشام. ٢٢-٢٣-٢٠٢٣ م. <https://www.odabasham.net>

٤. النبي، محمد سعيد حسب. "عبقرية العقاد - ١". صحيفة اللغة العربية. ٢٤-٢٣-٢٠٢٣.

[https://www.arabiclanguageic.org/view\\_page.php?id=2663](https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id=2663)

٥. <https://bohotti.blogspot.com/2016/07/blog-post.html>

٦. ريان، إسرائ حيدر. المبالغة وأنواعها في علم البلاغة. ٢٠٠٩/١٠/٥.

ahdafona.wordpress <https://ahdafona.wordpress.com/>

٧. كتاب الشيخان – طه حسين". موسوعة أخضر للكتب 22-03-2-2023

<https://a5dr.com/wiki/كتاب-الشيخان-طه-حسين/>

## **CERTIFICATE**

This is to certify that the thesis entitled ‘Artistic depiction in the biography of Umar Al Farooq; A Comparative Study on Hussein Heikal’s Al Farooq Umar and Aqqad’s Abqariyyah Umar’ submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language & literature is a bonafide study and research work done by Abdul Wahab K under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any degree/ diploma in any university. It is also certified that any modifications suggested by adjudicators have been incorporated into this thesis.

**Dr. ABDULLA NAJEEB M.**

(Research Guide)

Assistant Professor Department of Arabic  
Sullamussalam Arabic College, Areekode

Place: MES Mampad College

Date:

## **DECLARATION**

I hereby declare that this thesis entitled ‘Artistic depiction in the biography of Umar Al Farooq; A Comparative Study on Hussein Heikal’s Al Farooq Umar and Aqqad’s Abqariyyah Umar’ has been written by me under the supervision of Dr. Abdulla Najeeb M, Assistant Professor & Research Guide, PG & Research Department of Arabic, Sullamusslam Arabic College, Areekode, at the Department of Arabic, MES Mampad College, in fulfilment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic language and literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and no part of this thesis has hitherto been submitted for the award of any Degree/ Diploma in any university.

**ABDUL WAHAB K.**

Place: MES Mampad College

Date:

**ARTISTIC DEPICTION IN THE BIOGRAPHY OF UMAR AL  
FAROOQ: A COMPARATIVE STUDY ON HUSSEIN  
HEIKAL'S AL FAROOQ UMAR AND AQQAD'S  
ABQARIYYAH UMAR  
(Revised Copy)**

Thesis submitted to the University of Calicut  
In partial fulfilment of requirements for the award of the degree of

**DOCTOR OF PHILOSOPHY  
IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE**

By  
**ABDUL WAHAB K.**

Under the supervision of  
**Dr. ABDULLA NAJEEB M.**  
Assistant Professor, Sullamussalam Arabic College, Areekode &  
Research Supervisor, MES Mampad College



**Department of Arabic  
MES Mampad College (Autonomous)  
UNIVERSITY OF CALICUT  
2023**